397

HARLEQUIN

روايات أحلام

هاربة إلى عينيك

هيلين بروكس

www.hamasatrewaiya.com
jewelry

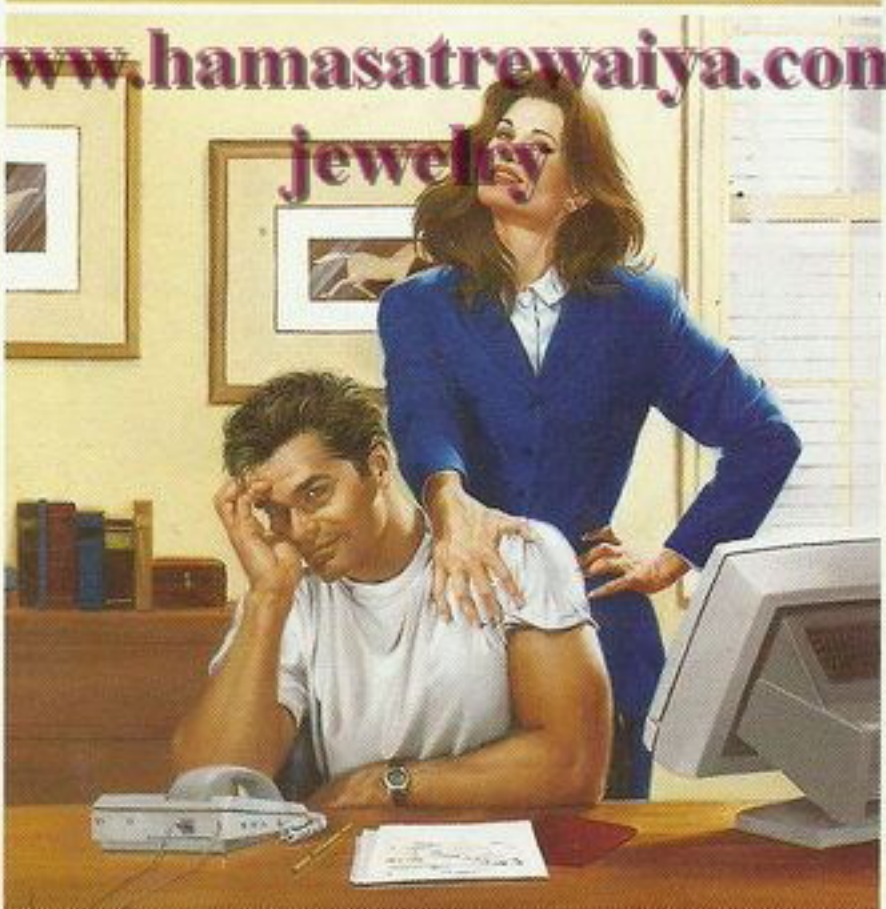

هاربة إلى عينيك

كيف يجرؤ ميتشل غراي على تعليمها ما الذي عليها أن تفعله أو لا تفعله.

- لا يمكننا جميعا أن نعيش على هوانا مثلك سيد غراي.

فنعبث بالحياة ونخرق القواعد كما تشاء.

هل بامكانها ترويض شخص مثله؟

حتى الآن، لم يتورط ميتشل إلا بعلاقات لا روابط فيها. إلا أن ذلك المغامر الخطر أصبح أخيرا بتلك العاطفة الحادة التي تهدد بجرفه.

علاقته مع كاي ستشكل خطرا عليه؛ فهل ينسحب كما تعود أم يحترق لأول مرة بلهب الحب... ويحرقها معه؟

www.hamasatrewaiya.com
jewelry

لبنان	2500ل.ل	1دينار	
سوريا	75ل.س.	10ريال	
الأردن	1.5دينار	8جنيه	
الكويت	750فلس	15درهم	
الإمارات	10دراهم	2دينار	
قطر	10ريال	1ريال	

ISBN 9953-15-365-5

١ - دعني أعيش!

بدت المكاتب أنيقة، ومترفة جداً. مظاهر الغنى الفاحش ظهرت في أنحاء المكان، حتى على أرض المكاتب الخشبية ذات اللون الأصفر الشاحب. استطاعت كاي الاحساس بجو العمل الشديد الصرامة من وراء الأبواب الزجاجية، وهي تمر أمامها في طريقها إلى مكتب مدير الشركة. بدا الهواء ساكناً في ذلك المكان، أمّا المصعد الكهربائي الذي أقلها من قاعة الاستقبال المغطاة بالسجاد السميك إلى الطابق الخامس فكان مثالاً لأحدث طراز أنيق للمصاعد.

دقت على الباب الذي وضعت عليه لافتة كتب عليها «الآنسة جينا رايت، سكرتيرة السيد غراي»، وانتظرت حتى رفعت المرأة التي في الداخل رأسها عن آلة الطباعة أمامها قبل أن تفتح الباب. بالرغم من ذلك، فإن الوجه الجميل البارد الذي ظهر أمام كاي لم يبادلها ابتسامتها، إنما قابلتها العينان الخضراوان بتعابير حذرة. وجدت كاي نفسها تقول ببرودة: «لدي طرد بريدي للسيد غراي، وعليّ إيصاله على عجل».

لم تبتسم المرأة، ولم تتكلم. بالكاد رفعت يدها لتتسلم المغلف من يد كاي بغطرسة مهينة تماماً.

فكرت كاي بسخرية: من الواضح أن سكرتيرة السيد غراي تعتقد أن التحدث مع موظفة متواضعة هو أمر مهين. لاحظت أن نظرات المرأة قد توقفت عند كل أثر في سترتها الجلدية التي ترتديها وهي تقود الدراجة. سارت عبر المكتب الكبير، ووضعت المغلف في اليد التي كانت بانتظارها. عندئذ فقط فُتح الفم الأحمر الوردي ليقول باختصار: «انتظري في الخارج، إلى أن ينظر السيد غراي إلى المغلف».

أمر مذهل! استدارت كاي على الفور، وهي مدركة أن خديها قد اصطبغا باللون الأحمر. غادرت المكتب من دون أن تتفوه بأية كلمة أخرى. وقفت للحظة بهدوء في الممر، متمنية أن يزول اللون من خديها قبل أن تضطر إلى التحدث مع تلك المرأة ثانية. سارت باتجاه المنطقة المخصصة للزوار، وجلست على أحد المقاعد الضخمة المنتفخة، ثم مدت يدها إلى إحدى المجلات ذات الصفحات اللماعة.

الشركة التي استخدمتها كي توصل الوثائق إلى شركة غراي كارغو العالمية طلبت منها إحضار رد على الرسالة التي أوصلتها. وهكذا، عندما ترغب سكرتيرة السيد غراي تسليم الجواب، بإمكانها القدوم بلطافة والبحث عنها.

* * *

على الرغم من غضبها، لم تمر بضع دقائق حتى وجدت كاي نفسها منغمسة في قراءة قصة امرأة سمينة جداً قررت إجراء عملية لمعدتها. عرض المقال التسلسل الزمني للأوقات الصعبة التي مرت بها المرأة طوال سنتين متواصلتين، وهي تصارع لتستعيد المقياس الطبيعي لجسمها، والذي كان عليه قبل أن يتخلى عنها زوجها بعد وفاة طفليهما في حادث مروع. بدت كاي مأخوذة بالقصة إلى درجة جعلتها تبتسم عندما نظرت إلى الصورة التي أخذت للمرأة في ما بعد. تظهر المرأة في هذه الصورة نحيلة، واثقة من نفسها، وهي تبتسم بين ذراعي رجل جديد. كادت تتمتم بشتيمة لذلك الزوج الذي هجر زوجته وهي في أمس الحاجة إليه، ما جعلها تتجه إلى الأكل بنهم كبير، عندما أدركت أنها ليست بمفردها.

رفعت عينين بنيتين مدافعتين، متوقعة أن ترى السكرتيرة الأنيقة المظهر أمامها. تجمدت للحظة ما إن سمعت صوتاً ذكورياً مرحاً يقول: «هذا مثير للاهتمام. أليس كذلك؟».

بدا الرجل طويل القامة، وسيماً بصورة قاسية وعدائية. عيناه الزرقاوان اللتان تلتمعان بشرارات فضية لا تدلان على أية نعومة أو دفء، كذلك شعره الأسود وجسمه النحيل القوي. كل ما استطاعت التفوه به من خلال صدمتها التي ثبتتها على المقعد: «أنا . . ماذا؟».

أشار الرجل إلى المجلة بنفاد صبر قائلاً: «المجلة . . . هل هي عن أحدث ابتكارات الموضة، أم آخر صيحات تصفيف الشعر؟».

التحدث إليها بتنازل واضح حركها من الداخل، وكأنها تلقت حقنة من الأدرينالين. قفزت كاي على قدميها وتنفست بعمق. دفعت إلى الوراء شعرها الأحمر الكثيف الأجعد، الذي ينتشر بغير انتظام حول وجهها في كل مرة تنزع الخوذة عن رأسها، ذلك الشعر الذي تخلت منذ وقت طويل عن محاولة ترتيبه.

قالت ببرودة: «لا هذا ولا ذاك، مجرد مقالة تؤكد أن الرجال هم كالخنازير. وفي الواقع، ربما هذا ليس عادلاً بالنسبة للخنازير».

رمش بعينيه وقال: «أحقاً؟».

ساد الصمت بينهما للحظة. لاحظت كاي وهي تشعر بالرضى أن مرحه وتنازله قد اختفيا عندما قال ببرودة: «أنت هي الساعية، على ما أعتقد؟».

حسناً! هذا أفضل من تسميتها فتاة البريد السريع. إنها متأكدة أن هذا ما وصفتها به سكرتيرته. هزت كاي رأسها موافقة، وقالت: «نعم، أنا كذلك».

قالت ذلك ببرودة، لكن قلبها راح يدق بقوة ما إن استوعبت أنه بلا شك مهندل غراي نفسه.

لم يقل شيئاً للحظة، لكنه لم يكن بحاجة ليفعل، فعيناه الباردتان قالتا ذلك بوضوح. تعلم كاي أن مقاييس جسمها النحيل وقامتها القصيرة ليست بالمقاييس المثالية لموظفي البريد السريع. لكنها لحسن الحظ تتعامل فقط مع الوثائق، الرسائل، والرزم الصغيرة، لذا فهي ليست بحاجة إلى العضلات القوية. كما أن دراجتها القديمة، والتي ما زالت فعالة، تستطيع الانطلاق بسرعة عبر المواصلات الكثيفة، حتى إنها تصل أحياناً إلى وسط بلدة رومفورد الشديد الزحمة بسهولة.

- منذ متى تعملين لدى شركة شروود للبريد السريع؟

كلماته بحد ذاتها لم تكن مؤذية حقاً، لكن نبرته أوحت بأن أصحاب الشركة مجانين لاستخدامهم إياها.

شعرت بسعادة كبيرة في داخلها، لم تسمح بأن يظهر شيء منها في صوتها البارد، أو على وجهها الخالي من أي تعبير. قالت كاي: «منذ أن أسستُ

www.liilas.com

الشركة . . . منذ ثلاث سنوات».

لم يرمش الرجل عينه هذه المرة، وهذا يظهر الكثير من سيطرته على نفسه. كان على كاي الاعتراف بذلك، لكنها علمت أنها فاجأته مرة ثانية. ومع أن وجهه ظل جامداً كالصخر، استمر في مراقبتها بثبات . . . ضاقت عيناه الفضيتان، قبل أن يسير عبر الغرفة إلى حيث تقف.

على الفور شعرت كاي كأنها أصبحت قزماً، وهذا أمر غير مفرح في مثل هذه الظروف، لكنها رفعت ذقنها الصغير بصورة لا شعورية وهي تنتظر ردة فعله.

- اجلسي، آنسة . . . ؟

- شيروود . . . السيدة شيروود.

فكرت كاي بفرح: لا يمكنك مجاراتي في اللعب، على ما أعتقد! رأته ينظر إلى يديها الخاليتين من أي خاتم، بينما كانت تجلس على المقعد الذي أخلته لتوها. راقبته وهو يجلس على المقعد المقابل، ولم ترغب بتفسير الأمر أكثر، فهذا موضوع لا يعنيه.

- ثلاث سنوات!

جلس بارتياح، ملقياً كاحل رجله على ركبة الرجل الأخرى، بطريقة متفاخرة جداً، وتابع: «لِمَ لم أسمع بشركتك من قبل؟».

ابقي هادئة . . . ولَا تهذري! حذرت كاي نفسها بصمت. لا شك أنه يدرك الجو المهدد بالخطر الذي يحيكه، ومن المحتمل أنه ناجح جداً في فن المكر، أو الاكراه. لكنه لا يخيفها، ولا للحظة واحدة! قالت بصوت هادىء: «ربما لأننا لا نزال شركة صغيرة، فنحن نتعامل مع الملفات، الوثائق، الرسائل والصور . . . هذا النوع من الأشياء».

كانت تعلم أن الوثيقة مستعجلة. لقد وصلتها اليوم من شركة للمحامين في البلدة. إنها وثيقة بحاجة لتوقيعه، هذا كل ما أخبرت به. سألها بنعومة: «هل زوجك شريك في الشركة؟».

- لا!

ذلك هو التفسير الوحيد الذي كانت مستعدة لإعطائه. لكن عندما امتد

الصمت بينهما إلى درجة لا تحتمل، وجدت نفسها تقول بقساوة: «إنني مطلقة، وقد أنشأت الشركة بعد انفصالنا. ليس له أية علاقة بها».

نظرت إلى المغلف بين يديه، وقالت بصوت حاسم: «إذا كانت الوثيقة جاهزة، سآخذها. هل يمكنني ذلك؟ علمت أن الحاجة مستعجلة إليها».

لم يجبها على طلبها، بل قال بصوته العميق المنخفض: «أود أن أعرف كيف بدأت عملك، سيدة شروود. المغامرة بإنشاء أعمال صغيرة أمر مذهل. ألا تعتقدين ذلك؟ ما الذي دفعك إلى اختيار عمل غير ثابت وغير عادي؟».

عمل غير ثابت! حدقت كاي به، وعيناها البنيتان الكبيرتان لا تظهران شيئاً من الارتباك الهائل الذي دار في رأسها. عملها ليس مجرد عمل غير ثابت بل غاية للبقاء والاستمرار.

للحظة شعرت برغبة لتنهض على الفور، فتخطف المغلف وتغادر، لكن عقلها الواعي منعها. نظراته المتأملة الباردة لم تشعرها بالارتياح، كما أن جلوسها هنا في هذه المكاتب الضخمة البالغة الفخامة في بذلتها القديمة البالية، أمام رجل يرتدي ثياباً من محلات آرماني على أقل تقدير، ليس بأمر مسلٍ بالنسبة لها. لكن، مع أن هذا الرجل يعطيها الشعور بعدم الاهتمام والتميز، فلن تعطيه الرضى كي يعتقد أنه أثار قلقها.

قاومت الرغبة في أن تعبث بشعرها، وندمت بشدة لأنها لم تأخذ وقتها لتعقده إلى الوراء كذيل الفرس، كما تفعل عادة عندما تنزع الخوذة. عمدت إلى ترتيب أفكارها المتسارعة؛ الخطوط الرئيسية هي كل ما يحتاج إلى سماعه . . . لا شيء شخصي.

كاد يفقدها توازنها بالكامل، في اللحظة التي كانت ستبدأ فيها الكلام، عندما قال: «كم تبلغين من العمر؟ بكل الأحوال، إذا لم يكن هذا سؤالاً وقحاً».

إنه سؤال وقح جداً، في رأي كاي! الشعور بالانزعاج أظلم عينيها البنيتين وحولهما إلى لون أسود داكن، لكنها تمكنت من إبقاء صوتها تحت السيطرة عندما قالت بصوت هش: «إنني في السادسة والعشرين».

وأضافت بصمت: لكن هذا أمر لا يعنيك مطلقاً.

www.banesaurewaiya.com

تحركت شفتاه قليلاً قبل أن يقول: «لا تبدين أكبر من ابنة الثامنة عشرة بيوم واحد».

شعرت بالانزعاج لأنه ذكر ذلك ببساطة. لسوء الحظ، ملامح وجهها الفاتنة مغطاة بنمش خفيف على أنفها، ما يجعلها تبدو كأنها لا تزال مراهقة، وعندما تحاول معالجة الوضع تنتهي كأنها فتاة صغيرة تلعب بأدوات التجميل.

ذكرت نفسها أن الزبون دائماً على حق، مع أنها تعلم من خلال تجربتها مع الزبائن، أنهم نادراً ما يكونون على حق. أخذت نفساً عميقاً، وقالت تذكره بصوت هادىء: «سألتني كيف بدأت عملي؛ حدث ذلك بالصدفة، حقاً. طُلب مني أن أنقل رسالة لشخص ما كخدمة في أحد الأيام، وكان المرسل يعلم أنني أسكن في الشارع نفسه والرسالة كانت مستعجلة...».

قاطعها، ليسأل بنعومة: «من كان المرسل؟».

- رئيسي.

قالت ذلك بنبرة قصدت بها أن تكون مُحكمة الإيجاز.

تجاهل مقصدها ليسأل: «وكنت تعلمين لدى...؟».

- شركة صغيرة للمحاسبة.

كرهت كاي كل دقيقة أمضتها هناك، لكن كان ذلك عملاً متوفراً، وكانت هي بحاجة ماسة للعمل. بعد أن تخرجت من الجامعة بشهادة في إدارة الأعمال، شعرت أنه يجب عليها أن تستعملها، لكن منذ اليوم الأول شعرت كأنها وتد في غير مكانه.

تابعت، وهي تحاول أن تتجاهل نظرته الثاقبة: «بكل الأحوال، بدأت أفكر بالأمر. كنت أعلم أن هناك مكاتب للبريد وسكة الحديد، من دون التحدث عن الخدمات الخاصة وما يشابهها. عندما قمت ببعض التحقيقات وجدت أن العديد من الشركات ترسل رسائل مستعجلة، ملفات.. وثائق.. وغيرها من الأمور، إما بواسطة سيارة الأجرة أو بوسائل متوفرة لدى شركات النقل. في بعض الأوقات ترسلها بشاحنة، وأحياناً يقوم السائق بالسفر لمسافة عشرين ميلاً لنقل رسالة واحدة. أما شركتي فهي الأرخص والأسرع».

قال بجدية: «إني متأكد من ذلك، سيدة شيروود».

استمرت كاي بالنظر إلى مكان ما وراء كتفه وهي تتابع: «رسمت مخططاً تمهيدياً، وصممت كراسة قامت بطبعها مطبعة محلية لي...».

- ماذا كتبت فيها؟

نظرت إليه الآن بقوة، إنها تكره أن يقاطعها شخص ما، فكيف بمقاطعتها لمرتين في دقائق قليلة؟

راح الرجل يحدق بها متسائلاً، وهو يجلس بكسل وارتياح، ملقياً ذراعيه على ذراعي المقعد. ماتت الكلمات الحادة التي كانت ستتفوه بها في حلقها ما إن شعرت بانجذاب قوي نحوه، وكأنها أصيبت بتيار كهربائي.

ساد صمت مخيف قبل أن تتمكن من استجماع قوتها لتقول بسرعة: «إننا نستطيع تقديم خدمات سريعة ومباشرة من الباب إلى الباب، حيث ننقل الرسائل والوثائق... إلى آخره، إلى أي مكان في منطقة رومفورد. وإننا نؤمن الخدمة في اليوم نفسه، بالإضافة إلى رقم الهاتف للاتصال مباشرة».

- ننقل؟

- كان أخي بدون عمل في ذلك الوقت، وكان قادراً على البقاء بجانب الهاتف ليرى إن كانت فكرتي ستنجح. وهذا ما حدث! وهكذا، خلال شهرين تركت عملي السابق وانضممت إليه. بدأنا مع دراجة فقط.

وأشارت إلى ملابسها قبل أن تكمل: «الآن أصبح لدينا شاحنتان، وأحد أصدقاء أخي يعمل عندنا. أسسنا مكتباً خاصاً في البلدة السنة الماضية، وهناك الكثير من العمل، لذا نحن نفكر في استخدام موظف آخر».

جلس مستقيماً، ما جعلها تتحرك هي أيضاً. هزّ رأسه ببطء وقال: «أمر مثير للاعجاب! هل لديك بطاقة عمل؟».

- بالطبع!

تورد خداها على الفور، ولم تستطع أن تخفي ذلك، فشعرها الأحمر يتماشى مع بشرتها البيضاء التي تتورد لأتفه الأسباب. بحثت بارتباك داخل بذلتها الجلدية، وأخرجت بطاقة أنيقة صغيرة، قدمتها له ما إن نهضا عن مقعديهما.

قدم لها المغلف، وقال فجأة بنبرة تسمح لها بالانصراف: «يجب ألاّ أؤخرك أكثر من ذلك».

كان يقف كالبرج بقربها، وما إن اقتربت منه ومدت يدها، حتى أغلق أصابعه النحيلة الطويلة على يدها الصغيرة. احتاجت كاي إلى قدرتها كلها لتسيطر على نفسها، فلا تبعد يدها بسرعة ما إن شعرت بلمسته. قالت لنفسها بيأس: هذا جنون . . وهو مثير للسخرية! بينما راحت الدماء تندفع في عروقها بسبب الرائحة الخفيفة للعطر الذي ملأ أنفها لثوان قليلة.

- إلى اللقاء، سيدة شيروود.

أدرك ميتشل غراي تماماً أن الفتاة الصغيرة النحيلة التي تقف أمامه لم تقل شيئاً عن نفسها مع أنها ظاهرياً أخبرته بكثير من الأمور. بشعرها الكثيف الذي يصل إلى كتفيها، والنمش الناعم الذي يغطي بشرتها البيضاء منتشراً فوقها كالبهار، إنها بدون شك ليست من النساء اللواتي يعجب بهن. لا مجال مطلقاً لذلك! فالنساء اللواتي يثرن انتباهه متحررات، أنيقات، يخترن ثيابهن بعناية، والأكثر أهمية من ذلك كله هو أنهن يجارينه في ما يريده؛ وقت جيد مع كثير من المرح والضحك، ولا شيء أكثر من ذلك، أما هو فيحرص دوماً على ألاّ يطول الأمر كثيراً. فكر متجهماً وهو يراقبها إلى أن اختفت عن ناظريه داخل المصعد.

سأل نفسه بصمت: إذاً، ما الذي جعله يريد معرفة المزيد عن . . . عاين البطاقة في يده، كاي شيروود؟ وشعر بالضيق بشكل غامض من نفسه.

إنها من النوع الضئيل الجسم، وكأنها في السادسة عشرة من عمرها، مع أنها ليست في السادسة عشرة. أليس كذلك؟ كما أنها امرأة متزوجة . . . أو كانت متزوجة. امرأة بدأت العمل بدون خبرة في هذا المناخ الاقتصادي الصعب، ونجحت بذلك.

ازداد تجهم وجهه عمقاً؛ هذه المرأة الشابة التي خرجت للتو من المكتب، تمكنت من القيام بعمل جديد بدون أي خبرة سابقة، ما يثبت أن لديها الكثير من الشجاعة والتصميم. إذاً ما هي قصتها؟

بعد ذلك عمل ميتشل على التخلص نهائياً من كل فكرة تدور حول كاي شيروود، رافضاً أن يفكر بالقوام النحيل تحت الثياب الجلدية، ذلك القوام الذي راح يتمايل بتحفظ وهي تبتعد. لقد تأخر فعلاً عن موعد عمل في وسط لندن، ولا بد أن سائقه بانتظاره منذ خمس عشرة دقيقة. لماذا يقف هنا الآن؟

عقله العملي الحاذق دفعه للحركة، فسار بخطى واسعة نحو المصعد. سرعان ما استحوذ الاجتماع القادم على تفكيره، فهو يعلم أنه اجتماع صعب. ما إن فتح الباب حتى رمى البطاقة في جيب سترته العلوي، لكن ليس قبل أن يحفظ الاسم ورقم الهاتف في ذاكرته كمرجع للمستقبل.

* * *

- إذاً ما هو الشيء السيء بشأنه؟ ألأنه سألك بعض الأسئلة المتعلقة بالعمل، كاي؟

رفعت أم كاي حاجبيها بحيرة، واعترفت كاي أن هذا الأمر مفهوم. بعد أن اخبرتها بكل كلمة تفوهت بها مع ميتشل غراي وبشكل لم يظهر تكبر الرجل أو الجو المتوتر الذي ساد بينهما على الإطلاق.

أنهت كلامها بضعف: «كان . . . حسناً . . ! كل ما حدث كان مثيراً للسخط».

حدّقت لينورا بابنتها للحظة قبل أن تقول بطريقة دبلوماسية: «حسناً! انسي أمره الآن، اتفقنا؟ لا أعتقد أنكما ستجتمعان مجدداً، ولديك ما يكفي من المشاكل لتفكري بها. أنت لم تنسي أنه عيد الخريف في المدرسة هذا المساء. أليس كذلك؟».

ابتسمت كاي بسخرية وقالت: «لن تسمح لي البتان بذلك».

بادلتها أمها الابتسامة، واعترفت لينورا براون بحزن: «إنهما تنبضان بالحياة، لكنك كنت مثلهما في عمرهما، كنت تعتبرين العالم كله مغامرة ضخمة».

هزّت كاي رأسها، وهي لا تزال تبتسم. فكرت في أعماقها: كنت كذلك حتى الوقت الذي التقيت فيه بيبري، ثم تغيرت بين ليلة وضحاها. لِمَ لم أستطع أن أرى ما الذي يفعله بي؟

أسقطت نظراتها عن وجه أمها، ورشفت رشفة من فنجان قهوتها. يقولون إن الحب أعمى، لكن في حالتها كان الحب أعمى، أصم وأخرس.

استمرت أمها في التحدث وهي تقطع الخضار لحساء الدجاج الذي تعده للعشاء، بذلت كاي كل ما في وسعها لتبدو كأنها تسمع لكن خيالها أخذها في

رحلة إلى الماضي.

تعرفت على بيري قبل سنة من زواجهما في عيد ميلادها الحادي والعشرين، وكانا قد حصلا للتو على شهادتهما الجامعية، لكن بعد مرور عدة شهور على زفافهما أجبرت نفسها على الاعتراف أنها ارتكبت خطأ شنيعاً. الضغط الذي عاشته أثناء المرحلة الجامعية، لا سيما في السنة الأخيرة المرهقة حيث عملت بجهد كما لم تعمل يوماً في حياتها، جعلها عمياء عن رؤية الأخطاء التي تشوب علاقتهما.

كان بيري شاباً وسيماً، ولديه سحر خاص به. كان يجذب الناس إليه كما يجذب النور الفراشات، وذلك بسبب شخصيته القوية. لكنه كان أيضاً بارداً، يحب السيطرة على الآخرين، وهذا ما فعله معها. كانت مجنونة بحبه ومنشغلة جداً، حتى إنها لم تلاحظ أنهما يفعلان كل شيء على طريقته. بعد مرور عدة أسابيع على الزواج، وبعد لقائها مع صديقة تعرفها منذ أيام المدرسة، عملت بشدة على الخروج من الخدر الواهم الذي كان يحيطها به بعناية.

ما الذي تفعله بنفسها؟ سألتها صديقتها القديمة ببراءة تامة إن كانت مريضة، أم تراها تعمل بشكل دائم فهي تبدو نحيفة.

بدا النقاش حرجاً لكليتهما، ولم تطل كاي بالحديث. لكن عندما عادت إلى المنزل، إلى الشقة الصغيرة التي استأجرتها مع بيري في بلغرافيا، ألقت نظرة طويلة قاسية على صورتها في مرآة غرفة الحمام. كان شعرها معقوداً بربطة مشدودة إلى ما وراء رأسها، لأن بيري لا يطيقه منسدلاً على كتفيها، ولم تكن تضع أية زينة على وجهها لأن بيري يكره التصنع. لم يزعجها الأمر إلا عندما نظرت إلى فمها وإلى تعابير عينيها، ففي تلك اللحظة اتضح كل شيء لها: بدت عادية، زرية الملبس. أدركت ذلك فجأة، وهي تنظر إلى الثوب الذي ترتديه، وهو واحد من الأشياء الكثيرة التي أصر بيري على شرائها لها. كانت تعمل على قتل نفسها وهي تحاول إسعاد بيري في كل شيء يريده، بدلاً من أن تتحمل تعليقاته اللاذعة أو صمته البارد عندما تقول شيئاً أو تفعل شيئاً لا يوافق عليه.

وقفت هناك، مذهولة، مصدومة لبعض دقائق. منذ متى هي كذلك؟ سألت نفسها وقد شعرت بالخدر عندما واجهت الحقيقة. إنهما سعيدان، أليس

كذلك؟ إنها محظوظة جداً لأنه زوجها، أليس كذلك؟ فهو يعاملها بطريقة حسنة جداً، وهو لطيف معها... سمعت صدى جوابها في رأسها: كل شيء رائع عندما تفعل تماماً ما يريده، حينها يبدو أفضل زوج في العالم. فهو يعلّمها كيف تلبس، كيف تصفف شعرها. هو الذي يقرر متى يخرجان ومتى يبقيان في المنزل، وما هي البرامج التي يشاهدانها على التلفزيون. أصدقاؤهما هم أصدقاؤه، وهما يأكلان الطعام الذي يحبه، ويشربان المشروب الذي يختاره.

فركت وجهها بيدها المرتجفة، فيما راحت أفكارها تتسارع. لم يكن الأمر كذلك في البداية. أليس كذلك؟ ليس في الشهر الأول.. والثاني. لكن بعد ذلك حصل تغير ماكر وخفي.. حصل الأمر بطريقة غامضة. أما الأمر المناني للعقل والذي لا يصدق فهو أنها لم تر ذلك حتى الآن. لم تدرك أن ذلك ما يحدث لها، لأن بيري رجل مرح، فاتن ولا يقاوم عندما يود أن يكون كذلك. لم تفكر أنها بدون وعي منها تضحي بنفسها على مدار الساعة. بدا الأمر وكأنها تحولت إلى شخص آخر، إلى إنسانة غريبة عنها. حتى عندما أقنعها بألا تبحث عن عمل في الوقت الحالي، بل تمضي بعض الوقت في ترتيب الشقة وتجهيز منزل لهما...

- هكذا سأتمكن من خلق صورة واضحة لك عندما أكون بعيداً.

قال لها ذلك ليخدعها عندما أعلنت أنها تريد أن تستعمل شهادتها الجامعية.

- سأعلم أنك ستكونين هنا عندما أعود إلى المنزل. نحن لسنا بحاجة إلى ما ستتقاضينه، عزيزتي. ليس الآن... وبما أنني أعمل عند والدي، فلن نحتاج مطلقاً للمال.

حدقت بالمرآة لوقت طويل ذلك اليوم. بعدئذٍ استحمت، وغسلت شعرها، ووضعت كريماً مرطباً على جسمها، هو هدية من والديها لمناسبة عيد الميلاد. ارتدت بنطلون جينز أسود ضيقاً وقميصاً قصيرة وجدتها في أسفل خزانتها، وهي قميص اشترتها قبل زواجها ببيري. اعتنت بزينة وجهها، وصففت شعرها بتموجات أنيقة. استغرق الكثير من الوقت، فشعرها لديه طريقته الخاصة في التموج، لكنها في نهاية الأمر بدأت تتعرف على الفتاة التي رأتها في المرآة.

بعدئذ، خرجت واشترت قطعتين من البفتاك للعشاء بدلاً من العمل على تحضير الدجاج الذي طلبه بيري، كما اشترت صحيفة فيها إعلانات عن وظائف شاغرة.

عندما عاد بيري إلى المنزل ذلك المساء وجد طاولة عشاء رومنسية وضعت عليها الشموع والعشاء والشراب، كما وجد زوجة معطرة أنيقة ومبتسمة، بالإضافة إلى ستة مغلفات تحتوي على طلبات للعمل جاهزة للإرسال.

ما زالت كاي حتى الآن تجفل عندما تتذكر الأشياء التي قالها، والقسوة التي رافقت كلامه. لكن تلك كانت بداية النهاية.

بعد فترة قصيرة أدركت أنها حامل، مع أنها كانت تتناول حبوباً لمنع الحمل، إلا أن ذلك لم يمنع بيري من فرض نفسه عليها في إحدى الليالي، أما ما أنهى زواجهما نهائياً فهو اكتشافها أن بيري يقيم علاقة غرامية مع إحدى السكرتيرات في شركة والده. بعد ذلك مرت بوقت عصيب من البؤس واليأس والحزن، لكن عبر كل ذلك اكتشفت أنها أقوى بكثير مما توقعت.

بقيت في الشقة بعد أن رمت بيري خارجاً، واستمرت في العمل. لم تتوقف عن العمل إلاّ قبل ثلاثة أسابيع من ولادة ابنتيها التوأمين، ثم عادت إلى العمل بعد فترة قصيرة، ما إن تمكنت من إيجاد حاضنة جيدة. كرهت كثيراً الابتعاد عنهما، لكن النفقة التي كان يدفعها بيري لم تكن كافية، كما أنه غادر المنطقة بعد فترة قصيرة من ولادتهما، فلم يبق لديها الكثير من الخيارات، إلا العودة والعيش مع والديها.

بعد وقت قصير أصيب والدها بسكتة قلبية أودت بحياته، تبين بعدها أنه خسر أمواله في سوق الأسهم ما ترك أرملته بدون أي فلس. وفي الوقت نفسه خسر أخوها المتزوج عمله. كان ذلك قبل ولادة ابنه الثاني.

رفعت كاي رأسها الآن، وقد عادت إلى الحاضر ما إن سمعت صوت إغلاق الباب الأمامي. وهذا يعني أن جارهم قد أحضر التوأمين من المدرسة.

- ماما!

ما إن فتح باب المطبخ حتى انطلقت طفلتان شعرهما كألسنة النار، كالمنجنيق إلى داخل الغرفة. حضرت كاي نفسها لهجوم ضار من الأذرع الصغيرة، وهي

تشعر بإحساس عميق من الشكر والسعادة. ابنتاها هما كل حياتها، إنهما أنفاسها وسبب وجودها. لقد ساعداها لتتخطى أسوأ مرحلة في حياتها. لأجلهما . . ولأجلهما فقط لم تكن قادرة على ترك نفسها تنهار في هاوية اليأس والخيبة عندما تحطم زواجها. ولادتهما ملأتها بإحساس من الفرح والدهشة. إن هاتين الطفلتين الصغيرتين هما حقاً لها . . . لها وحدها!

- مامي . . . حصلت على نجمة ذهبية اليوم، لأنني جلست جامدة كالفأرة خلال ساعة سرد القصة.

- الآنسة هنسون وضعت رسمتي على الحائط . . . إنها صورتكما، أنت وجدتي.

- الصورة ليست جيدة كالنجمة الذهبية. أليس كذلك، مامي؟

- بل هي كذلك. إنها جيدة وربما أفضل. أليس كذلك، مامي؟

تسلقت جورجيا وإميلي إلى حضنها، ولفتا أذرعتهما حول عنقها بينما كانتا تحاولان الجلوس في وضع ممتاز، وكادتا تخنقانها أثناء القيام بذلك. . لم ينقذها إلاّ جرس الهاتف الذي رن بقوة.

أجابت أمها على الهاتف، وما لبثت أن قالت: «إنه لك».

كانت قد سمعت الرنين ما إن دخلت الفتاتان الغرفة. ما إن خلصت كاي نفسها، حتى قبلت وجهي الفتاتين، وقالت لهما إنهما فتاتان ذكيتان. همست المرأة العجوز بصوت هادىء: «إنه هو، كاي! ذلك السيد غراي الذي أخبرتني عنه».

- ماذا؟

وضعت أم كاي يدها على سماعة الهاتف، ما إن لاحظت كم بدا صوت كاي عالياً. حركت لينورا يدها برعب وهي تضغط السماعة على صدرها، وقالت: «اهدئي. . . ! سيسمعك».

نظرت كاي إلى الهاتف كأنه سيحرقها. لم تبذل أي مجهود لتمسك به، بل همست تحدث أمها: «كيف عرفتِ أنه هو؟».

- قال لي ذلك، بالطبع. إلاّ إذا كنت تعرفين أكثر من شخص واحد يدعى ميتشل غراي!

www.hanasatin-jewelry.com

كيف حصل على رقم هاتفها، بحق السماء؟ البطاقة التي أعطته إياها كُتب فيها رقم هاتف المكتب فقط! أخذت كاي سماعة الهاتف، وأمسكتها بحذر شديد وهي تقول: «مرحباً! كاي شيروود تتكلم».

حمل الصوت العميق نبرة ناعمة كالمخمل، وهو يقول: «عمت مساء سيدة شيروود. أتمنى ألاّ تمانعي لاتصالي بك في المنزل. حاولت الاتصال بك على الرقم الذي أعطيتني إياه، لكن السيد براون... أخوك كما فهمت، قال لي إنني سأكون أكثر حظاً إن اتصلت بك في المنزل في هذا الوقت من النهار».

يا للفرح! شكراً، بيتر. حاولت كاي أن تظهر بعض الحماس في صوتها عندما قالت: «لا! على الإطلاق، سيد غراي. كيف يمكنني مساعدتك؟».

ساد بعض الصمت قبل أن يتحدث الصوت المسيطر ثانية: «أتساءل إن كنت حرة مساء الغد؟».

لم تشعر كاي يوماً بصدمة كهذه في حياتها. علمت أن فمها قد فتح من الدهشة، وأن شيئاً ما في وجهها قد أوقف الشجار بين الشقيقتين لأنهما، مثل أمها، أخذتا تحدقان بها بفضول واضح.

راحت الأفكار في رأس كاي تتسارع، وتتعثر فوق بعضها البعض. أتراه يقترح الذهاب إلى موعد معه؟ لا يمكن أن يفعل ذلك... هل يفعل؟ لا! لا بد أنه يعني نوعاً من الأعمال؛ أمسية لتوصيل شيء ما، ربما؟ لا بد أن الأمر كذلك...

ما لبثت أن تخلصت من أوهام تلك الفكرة عندما أضاف: «لدي بطاقات للمسرح، وفكرت... ربما في الذهاب إلى العشاء أولاً؟».

قالت كاي لنفسها: قولي شيئاً... أي شيء، ما عدا كلمة موافقة. بللت شفتيها، وكذبت بلطف وهي تقول: «إني آسفة، سيد غراي. لكنني مشغولة ليلة الغد».

- ربما في وقت ما من الأسبوع القادم. ما رأيك؟

حدقت برعب في الوجوه الثلاثة التي ظهر الاهتمام عليها بوضوح، وصاحباتها يتحلقن حول طاولة المطبخ. وعندما لم تتلقَ أية مساعدة قالت بحذر: «إني آسفة! في الواقع، هذه الأوقات مليئة بالعمل بالنسبة إلينا، وجميعنا

منهمكون جداً».

سأل الرجل بنعومة: «ألا تأخذين وقتاً لتتناولي الطعام؟».

وأضاف قبل أن تحظى بفرصة لتجيب: «ماذا بشأن تناول الغداء، إذاً؟ قبل أن تقولي لي إنك آسفة مرة أخرى، ربما يجب عليّ أن أذكر أنني أرغب في التحدث عن اقتراح عمل أفكر فيه».

إذاً هذا ليس موعداً! شعرت كاي بالارتياح. ومن دون أن تفكر، لم تدرك كم تغير صوتها وهي تقول: «اقتراح عمل؟ آه! بالطبع، سيد غراي».

تابعت بحماس: «لنقل نهار الإثنين؟».

قال بجفاء مطلق: «حسناً! سأتصل بك في مكتبك عند الساعة الواحدة. إلى اللقاء، سيدة شيروود».

أنهى الرجال الاتصال قبل أن تستوعب كاي أن اقتراح الذهاب إلى المسرح وتناول العشاء لا يتوافقان في العادة مع البحث في عرض عمل.

٢ - هروب إلى الفراغ

لو أن كاي أحصت عدد المرات التي رفعت الهاتف فيها صباح نهار الإثنين لتلغي موعد الغداء مع ميتشل غراي لبلغت مئات المرات.

لم تفكر بشيء آخر خلال عطلة الأسبوع. أعادت جديثهما في ذهنها حتى شعرت بالأزيز في دماغها، وبأن أعصابها تكاد تبل.

فتارة تقول لنفسها إنها ستكون في منتهى الغرور إذا اعتقدت أن رجلاً ثرياً، ناضجاً وفاتناً مثله قد يرغب بمواعدتها، وإن الاجتماع المقترح لا بد أن يكون اجتماع عمل؛ وتارة تتذكر صوته عندما اقترح الذهاب إلى المسرح وتناول العشاء، ويتردد الصدى في رأسها، فتنطلق مخاوفها من جديد.

اتصلت ببيتر ما إن أنهت المكالمة مع ميتشل غراي بعد ظهر نهار الجمعة، لكن أخاها لم يكن متعاوناً معها بصورة دقيقة. قال لها بصوت مرح عندما تحدّته: «لماذا أعطيته رقم هاتف منزلك؟ حسناً! لم لا؟ إنه ليس رقماً سرياً، أليس كذلك؟ فأنت لست وزيرة سابقة أو شيئاً من هذا القبيل».

عضت كاي على شفتها وصلّت لتحتفظ بصبرها. فهي تحب بيتر كثيراً، وزوجته وولديه يعنون الكثير لها. لكن في هذه اللحظة، رغبت في ضربه بقوة ومن دون أي إحساس بالندم. بعد مرور عدة دقائق على طرحها الأسئلة بإلحاح، أصبح بيتر فاقداً لصبره. سألها بغضب: «ماذا تعنين بقولك كيف بدا؟ أي نوع من الأسئلة الغبية هو هذا؟ أخبرتك أنه اتصل وأراد التحدث إليك، قال إنه تحدث إليك في وقت باكر هذا اليوم، وإن هناك شيئاً آخر يريد بحثه معك. وعندما قلت إنك لست هنا سألني إن كان لديك رقم هاتف آخر ليتمكن من الاتصال بك، وهكذا قلت له نعم!».

ألغت كاي من ذهنها فكرة شراء الجهاز الموسيقي له بمناسبة عيد الميلاد و

استبدلته بجوارب. قالت بضيق: «لا أريد أن أراه».

قال بيتر بتعاطف أخوي صادق: «إذاً، لا تفعلي!».

- ليس الأمر سهلاً كما تعلم. ماذا إذا كان يرغب في البحث بأمر مفيد للعمل؟ ماذا ستفعل؟

- كاي، صححي لي إن أخطأت: نحن نتحدث عن موعد غداء، أليس كذلك؟ الرجل لا يقترح عليك الذهاب لرؤية منزله أو يدعوك إلى قضاء عطلة الأسبوع في مزرعة بعيدة. ما هي مشكلتك؟

عند هذا الحد قطعت كاي الاتصال بعنف. قالت لابنتيها إن خالهما أكثر الرجال إثارة للسخط في العالم، وذلك قبل أن يبدأن جميعاً بالاستعداد للذهاب إلى عيد الخريف. هناك تمكنت من نسيان ميتشل غراي ولو لفترة قصيرة.

كلمات بيتر الأخيرة عادت إلى مخيلتها الآن وهي تنظر بتوتر إلى ساعة يدها. عشر دقائق ويبدأ العد العكسي... أغلقت عينيها بقوة للحظة قبل أن تفتحهما ثانية. قالت تحدث نفسها بصوت عالٍ في المكتب الصغير الواقع في الطابق الأرضي لمبنى جديد: «إذاً، ما هي مشكلتك؟».

اعترفت لنفسها بحزن؛ أنها لا تعلم. هذا أمر جديد وليس من عاداتها. فهي امرأة عملية حتى الصميم، ليس لديها وقت للأوهام أو للعواطف المتأرجحة. لكن هناك شيء ما يتعلق بميتشل غراي...

لم يكن بيتر في المكتب وكذلك صديقه، فهما يقومان بتسليم بعض الأشياء، وهذا يعني أنها تنتظر بمفردها من دون أي حديث يلهيها ويبعد أفكارها عن اللقاء القادم. بالطبع يمكنها التجول والذهاب لزيارة مصلح الساعات أو المحاسب، وهما المكتبان الباقيان في الطابق الأرضي من واجهة المبنى، وهكذا تتمكن من تمضية الوقت بسرعة. لكن مع عدم وجود شخص سواها لتلقي الاتصالات، سيكون عملها هذا بمثابة عدم تحمل للمسؤولية.

نظرت إلى سترتها الخفيفة وتنورتها القصيرة المصنوعة من الحرير الأزرق، واللتين اشترتهما من أجل زفاف ابنة عمها، وللمرة الثانية شعرت بالامتنان لأن هذا اليوم من أيام تشرين الأول مشمس ودافىء. إنها لا تنفق الكثير على نفسها لشراء الثياب الأنيقة مؤخراً، فالتوأمان تأخذان اهتمامها كله، إذ تضيق

أحذيتهما على أقدامهما قبل أن تتمكن من رمش عينيها، وهناك مئات الأشياء التي هي بحاجة لشرائها لهما قبل أن تهتم بنفسها. لكنها في الحقيقة لا تريد شيئاً، فبذلتها الجلدية هي بذلة العمل، أما الأمكنة التي تذهب إليها برفقة التوأمين فهي الحديقة العامة والمسبح المحلي.

هل اهتمت بوجهها بما فيه الكفاية لتذهب إلى موعد الغداء مع ميتشل غراي؟ للمرة الألف منذ أن وصلت إلى المكتب ذلك الصباح، فتحت الدرج الأخير في مكتبها، والتقطت مرآة اليد الصغيرة التي تحتفظ بها هناك.

حدّقت بها بقلق عينان بنيتان واسعتان تحت حاجبين جميلين مستقيمين. كحل الرموش هو الزينة الوحيدة التي تضعها. ومسدت خصل شعرها المتدلية من العقصة العالية لذيل الفرس في أعلى رأسها...

- شعرك جميل جداً!

رفعت كاي رأسها في اللحظة نفسها التي رمت فيها المرآة بسرعة داخل الدرج وأقفلته، ما جعلها تخسر ظفراً من أظافرها.

كان ميتشل غراي يقف داخل المكتب المفتوح! في اللحظة نفسها سجلت كاي في ذاكرتها تقاسيم الوجه الوسيم القاسي، بكل ملامحه الحادة، الذي تجعله أكثر قوة وسيطرة. لعنت نفسها في سرها أنها، وبعد أن أمضت الصباح كله بالمراقبة، سمحت بتشتت ذهنها ما جعل ميتشل يدخل في لحظة غير مؤاتية.

عكس صوتها جزءاً مما تشعر به عندما قالت: «سيد غراي، لم أسمعك تدخل».

رفع حاجبيه، وجاء صوته كسولاً ومرحاً بطريقة ما: «أعتذر لذلك».

- لا، لم أكن أقصد...

توقفت بشكل مفاجىء عن الكلام. لأنها قالت لنفسها إن هذا ما عنته بالفعل، وهي ستنفجر إذا كانت ستقول كلاماً منافياً لذلك، حتى لو كان غراي يحمل لها اقتراح عمل. ضعطت على فمها الناعم، عندما رأت فمه يتحرك برضى. إنه يعتقد ذلك مسلياً، أليس كذلك؟ هو يعتقد أنها مضحكة!

نهضت على قدميها بلباقة بقدر ما سمح لها كرسيها القديم البالي. شدت تنورتها لتعيدها إلى مكانها ما إن رأت العينين الفضيتين تنظران إلى ساقها.

قالت: «هل تمكنت من إيجادنا بسهولة؟».

سارت نحوه ومدت يدها لتصافحه، مصممة على الإمساك بزمام الوضع.

هزّ ميتشل رأسه. وحمل صوته نوعاً من اللطف المرح عندما قال: «وُلِدَ سائقي ونشأ في هذه المنطقة، ولا أعتقد أن هناك ممراً أو حياً هنا لا يعرفه».

سائقه... آه! بالطبع، رجل مثل ميتشل غراي لديه سائق. قالت ذلك لنفسها بيأس. من المحتمل أنه لم يقصد أن يقول ذلك بهذه الطريقة، لكنه يذكرها بحبث أنه هو من يملك كل أوراق اللعب بيده وأنها لن تتمكن من السيطرة على الموقف وهي بقربه.

سألته عندما لمست يدها يده: «هل قلت شيئاً عن اقتراح عمل؟».

- لنتطلق إلى الغداء أولاً.

لم يكن بحاجة ليسأل مرة ثانية، فالاحساس بدفئه أفقدها رباطة جأشها وأثار قلقها. تماماً كما حدث معها من قبل، بل أكثر طالما هما بمفردهما هنا. لم تقدّر كاي حقاً كم هي عادية وبسيطة مفروشات مكتبها حتى سار إلى الداخل، بشخصيته المميزة المتعالية. تمنت بصدق لو أنها تستطيع أن تقول عنه إنه شديد التكلف، لكنها أدركت أن ذلك غير صحيح. فهو رجل بكل ما في الكلمة من معنى. رجل مخيف أيضاً.

شعرت بالارتباك وهي تقفل باب مكتبها بالمفتاح، لأن حواسها مدركة، وبشكل فعال، لوجود القامة الفارعة بانتظارها أمام الباب الرئيسي للمبنى. ما إن أصبحا في الشارع المكتظ بالناس حتى أمسك ميتشل بمرفقها، وكل ما استطاعت كاي القيام به هو ألا تبتعد عنه.

قادها عبر الرصيف المليء بالمارة قائلاً: «السيارة هنا».

سارا نحو سيارة بنتلي طويلة أنيقة تقف بمحاذاة الرصيف، يقودها سائق مرتدياً زياً خاصاً، يجلس دون حراك على المقعد الأمامي. ما إن أصبحا في الداخل، على مقعد السيارة الجلدي، شدّت كاي بتنورتها قبل أن تجلس بهدوء بقدر ما تستطيع.

- خففي عنك، كاي.

شعورها بالصدمة لسماع اسمها بذلك الصوت العميق الغامض جعلها تدير

رأسها لتلتقي بنظراته. رأت العينين الزرقاوين تركزان بكثير من الاهتمام على وجهها.

- أستميحك عذراً؟

حاولت أن تبدو باردة متعجرفة، لكن تقطع أنفاسها أفشل محاولتها. بدا قوياً.. وقريباً جداً ضمن حدود السيارة. وكما حدث من قبل، العطر المثير الرقيق الذي يضعه جعل نبضها يتسارع بجنون.

قال محاولاً تهدئتها: «تبدين متوترة... خفّفي عن نفسك. لا داعي لأن تكوني كذلك، صدقيني. اسمعي! هل يساعدك إن قلت لك بوضوح واعترفت على الفور أن ليس هناك أي اقتراح عمل، وأن هدفي هو فقط دعوتك إلى تناول الغداء في مكان مريح، حيث يمكننا التحدث لنحظى بفرصة لنتعرف على بعضنا أكثر؟».

هل يساعد؟ هل...؟

- أوقف السيارة!

- عفواً؟

حتى لو استطاع هذا الرجل الجذاب أن يبدو بريئاً، وأن تبدو إجابته لطيفة على صراخها الغاضب، فهو لن يقدر على خداعها. نظرت إليه بغضب وقد اصطبغ وجهها بلون داكن، وظهر العناد على فمها. فمن الوقاحة التي لا تصدق أن ترى أنه لا يشعر بأي خجل من نفسه.

قالت من بين أسنانها: «قلت لك: أوقف السيارة!».

- سيحصل ذلك في الوقت المناسب.

يا للوقاحة! إنه يبتسم أيضاً... هل يتخيل أنه لا يقاوم؟

تابع ميتشل: «أريد أن أشرح أولاً. لقد أوضحت لي أنك قررت عدم رؤيتي ثانية».

قاطعته بغضب شديد: «كم أنت محق!».

رد عليها بصوت ناعم كالحرير: «لهذا فإن كل هذا الخداع غلطتك وحدك».

- غلطتي؟

- بالطبع!

تراجع إلى الوراء في مقعده ما إن انتهى من الكلام. يبدو بوضوح أنه يستمتع بارتباكها وهزيمتها، ما جعلها ترغب في صفعه لو أنها تجرؤ.

- اسمع، سيد غراي! أنا لا أعلم أي نوع من الألعاب تقوم به، لكنك اخترت الفتاة الخاطئة.

تابعت بحدة واضحة: «لا تعجبني طريقة رجل الكهف، إذا كان هذا ما تفكر فيه. وبصراحة، أجد تصرفك هجومياً. أريد الخروج من السيارة الآن وبسرعة».

تلمست مقبض الباب، ولم تتفاجأ عندما اكتشفت أن الباب مقفل.

سألها ببرودة: «ألست تبالغين قليلاً؟ كل ما أردته هو أن أرافقك لتناول الغداء».

لا يمكن أن يحدث هذا! لا يمكن أن تكون محجوزة في السيارة مع رجل غريب عنها، وهو يأخذها إلى مكان لا أحد يعرف أين هو!

على الفور قالت ما تفكر فيه كأنه خطوة إضافية للتخلص منه: «تعرف أمي أن لدي موعد غداء معك اليوم، سيد غراي، وكذلك أخي».

قال بنعومة: «توقعت ذلك. فليس من الحكمة عدم إعلام شخص واحد على الأقل عن مكان وجودك في هذه الأيام، لا سيما في عمرك هذا».

كان صاحب الشعر الأسود قد استدار، ونظر إلى الخارج من النافذة منذ عدة لحظات، أما الآن فلقد تعمد مواجهتها. رفع حاجباً أسود، وأضاف بسخرية: «ها قد وصلنا! والآن، حاولي أن تتصرفي كسيدة ناضجة. حاولي التظاهر أنك هادئة، وأنك المرأة العاملة التي أتت إلى الغداء مع زميل لها، اتفقنا؟ هذا سيوفر علينا معاً أي إحراج».

الإحراج! لم تستطع التخيل أن ميتشل غراي عانى يوماً من ذلك الشعور في حياته كلها. وُجدت العجرفة أولاً، ثم وجد هذا الرجل، وهي لا تستطيع أن تجد الكلمة المناسبة لوصفه. في الواقع ما خطر ببالها ليس كلمة تستطيع التفوه بها أمام الناس.

نظرت إلى الخارج من نافذة السيارة، فوجدت أنها توقفت أمام مطعم كانت

www.hanasatrewards.com

قد سمعت به لكنها لم تدخله يوماً. والسبب في ذلك هو أن سعر وجبة الطعام فيه بحاجة إلى قرض ثانٍ. شعرت في تلك اللحظة أن فكرة الغداء مناسبة جداً. نظرت إلى الرجل الضخم الغامض الجالس بقربها، ورأت أن نظراته منصبة عليها، وقد ظهر لمعان قلق في أعماق عينيه. ما الذي يفكر فيه؟ وما الذي يتوقع أن تفعله في هذه اللحظة؟

إنه شخص مسيطر إلى أبعد الحدود. وهي تعرف هذا النوع تمام المعرفة، فكرت بذلك بضيق ما إن لمع وجه بيري في مخيلتها للحظة. لكنها لن ترضى بما يحدث الآن، ولا للحظة واحدة. تكريس حياتها بأكملها لبيري كاد يدمر حياتها، والأيام التي كانت تسمح فيها لرجل بأن يملي عليها الأوامر مضت منذ وقت طويل.

عاشت كاي صراعاً قوياً بعد وفاة والدها وحاجة أمها إليها. رجعت إلى رومفورد، تاركة شقتها في لندن، وأخذت قرضاً لشراء المنزل الصغير الذي يعشنَ فيه اليوم. لم تسمح لها أموالها إلا بشراء منزل صغير، يحتوي على غرفتي نوم، وفوق ذلك كان إيفي كوتدج مهدم وبحاجة إلى تجديد وترميم. فالمنزل الذي بني عام ١٩٢٠ لديه سحر خاص به، وغرفتا النوم تطلان على ما كان سابقاً حديقة جميلة مشذبة بطريقة فنية. الحديقة محاطة بسياج من الأزهار، وفيها أرجوحة، نافورة ماء مصنوعة من القرميد. لكن أثناء زيارتهن الأولى للمكان بدا كأنه غابة صغيرة.

استثمار والدها الفاشل لم يمنح أمها القدرة على المشاركة في دفع المال، لكن، شيئاً فشيئاً، ومع كثير من المساعدة من بيتر وأصدقائه، تمكنت من إجراء التصليحات والطلاء، وتحول المكان إلى مكان أنيق وجميل. الآن، الباب الزجاجي الأمامي لإيفي كوتدج يُفتح على غرفة جلوس مشرقة، في داخلها مدفأة كبيرة تنشر الدفء والسحر. غرفة المطبخ والطعام مناسبة تماماً لاحتياجاتهنَّ، مع وجود التوأمين في إحدى غرفتي النوم، وكاي وأمها في الغرفة الثانية، هنَّ جميعاً سعيدات، كما أن الحديقة قد تحولت إلى واحة على مدار السنة. والأهم من كل شيء، هو أن العودة إلى رومفورد انقذت أمها من الانهيار العصبي المحتم، الذي قال الطبيب إنه وشيك الحدوث. كان على لينورا

أن تعتني بالتوأمين خلال النهار بينما تذهب كاي إلى العمل، إذ لا مجال مطلقاً لدفع أجر مربية. وجود ابنتها وحفيدتيها معها بصورة دائمة، وشعورها بأنها مطلوبة ومفيدة مرة ثانية، كان المؤثر الفعال الحقيقي الذي تحتاجه المرأة الكبيرة.

كان من الصعب جداً الاستمرار بعد رحيل بيري، لكنها لم تتمكن فقط من البقاء حية، بل تمكنت من تأمين منزل آمن لابنتيها ولأمها، وإنشاء عمل صغير منتج. هذا ما فكرت به كاي وهي تخرج من السيارة. تجاهلت يد ميتشل غراي الممدودة، إذ لا مجال مطلقاً لتنسجم مع هذا الرجل المتفاخر المتوحش، وهو سيعلم ذلك قريباً، وبطريقة قاسية جداً.

سارت أمامه إلى داخل المطعم، وهي تشعر بإحساس غريب يسيطر عليها. ما إن توقفا أمام الأبواب حتى أمسك بمرفقها. قال متحدثاً إلى رئيس الخدم الذي أصبح بسرعة بقربهما: «مرحباً، انجلو. هل طاولتي جاهزة؟».

- بالطبع، سيد غراي.

قادهما الرجل وهو ينحني قليلاً، إلى طاولة منزوية، حيث بإمكانهما أن يريا كل ما حولهما فيما هما محجوبان عن الأنظار. الخضوع الذي شاهدته كان كافياً ليجعلها أكثر غضباً، فضغطت على أسنانها بقوة. إذا كان الجميع يتعاملون بهذا الشكل مع ميتشل غراي، فلا عجب أن غرور الرجل قد توسع إلى أكبر حجم ممكن!

ظهر نادل المشروبات في اللحظة التي جلسا فيها إلى طاولتهما.

- هل ترغبين في شراب ما وأنت تنظرين إلى قائمة الطعام؟

قال ميتشل غراي ذلك بلطف كافٍ لكن كاي لاحظت المرح الخفي الذي ظهر على فمه. رفعت حاجبيها وتمنت أن يظهرا عدم موافقتها وهي تقول: «شراب قبل الغداء؟».

- لدينا الوقت الكافي... هل أنت على عجلة من أمرك؟

استراح على مقعده، وسحب ربطة عنقه، ثم فك الزرين العلويين في قميصه.

رطبت كاي حلقها. فشخصيته الجذابة القوية هي أكثر سيطرة بسبب عدم إدراكه لمقدار تأثرها به، وهذا ما أغضبها، فردة فعلها على تصرفاته الطبيعية تثير

قلقها. ردت ببرودة: «لا».

بيتر وطوم يقومان بالأعمال اليوم، ومع أن بيتر أقلها من المنزل بإحدى الشاحنتين عند الصباح، إلا أنها قررت أن تستقل سيارة أجرة عند العودة، وهي تعلم أن أخاها سيعمل حتى وقت متأخر.

- أفضل ألاّ أثقل على معدتي بالشراب.

- إني متأكد من ذلك.

أربع كلمات صغيرة، لكنه تمكن من جعلها تبدو كالإهانة لها، كما فكرت كاي بغضب. تمكنت من منع نفسها من قول الكلمات القاسية التي كانت تحرق لسانها. نظرت إلى قائمة المشروبات مرة ثانية؛ وبما من الأفضل لها أن تأخذ شراباً ما. فهي بحاجة لأي شيء لتتمكن من وضع ميتشل غراي في مكانه الصحيح.

قالت بهدوء: «سأتناول «الانتقام الحلو»، من فضلك».

اختارت الشراب لأجل اسمه فقط لا من أجل المواد التي يتألف منها وهي شراب جوز الهند، عصير الحامض، الموز وبعض البهارات. صفر قليلاً من بين أسنانه وقال: «هل أنت متأكدة؟ إنه حاد جداً».

ابتسمت بنعومة وقالت: «هكذا هو الانتقام».

هزّ كتفيه العريضتين، وقال للخادم بكسل: «الانتقام الحلو للسيدة، وأنا سأشرب «الذئب في ثياب الحمل»».

فكرت كاي: إلاّ في هذه الحالة، فالذئب هو في ثياب الذئب! راحت تحدق بالجهة الجانبية لوجهه القاسي المتجهم، قبل أن يدير رأسه وينظر إليها ثانية...

سألها بنعومة بعد مرور عدة دقائق: «إلى متى ستبقين مزعجة مني؟».

أجبرت نفسها ألاّ تخفض عينيها، وتابعت التحديق به، مع أن عينيه الزرقاوين الباردتين بدتا ثاقبتي النظرات.

- هل عليّ الشعور بالامتنان لأنك خدعتني للقدوم إلى هنا وتناول الغداء معك؟

- ليس هذا بالتحديد.

لمعت عيناه وهو ينظر إليها، فعلمت أنه لا يأخذ حديثها هذا بجدية. إنه أكثر

وقاحة مما تستطيع الكلمات أن تصفه.

قال: «لكن بالتأكيد هناك جرائم أسوأ من اصطحاب امرأة جميلة إلى الغداء؟».

- وماذا تسمي تلميحك بأن لديك عملاً لمؤسستي؟

إن كان يعتقد أنه يستطيع كسب رضاها بالكلام المنمق، فعليه أن يفكر أكثر من ذلك. رفضت كاي أن تعترف بتسارع دقات قلبها.

- لكنك أخبرتني من قبل أن لديك الكثير من العمل، وأنك لا تعرفين ماذا ستفعلين بشأنه، لذلك لم أعتقد أن الأمر مهم بالنسبة لك.

ابتسم لها لكن كاي لم ترد له الابتسامة. قال متملقاً بصوت ناعم كالحرير: «بالإضافة إلى أنني حاولت التقرب إليك بطريقة صادقة أولاً، لكنك أبعدتني بإطلاق النار علي. فلم تتركي لي خياراً آخر».

كان ذلك أسخف حديث تبادلته مع أحدهم. حدقت ببرودة به، راغبة أن يتوقف قلبها عن سرعة الخفقان. صوته الدافئ الكسول وفمه الجميل جزء من برنامج استمالتها، وهذا أمر واضح تماماً كوجود أنفه في وجهه. لا بد أنه جرب هذه الطريقة في التقرب من أية امرأة ونجح بذلك تماماً. لم تعتقد كاي أنه ممن يتعرضون إلى الرفض عادة. في الحقيقة، من المحتمل أنه لم يقابل بالرفض مطلقاً من قبل.

وصل النادل حاملاً الشراب. وقبل أن تحظى بفرصة لتقول أي شيء، ظهر رئيس الخدم كالجني بعد مرور لحظة وهو يحمل قائمتيّ طعام كبيرتين مزخرفتين. تمتم بلطف: «القريديس والاسكلوب مع الكافيار مطلوبة جداً اليوم، سيد غراي، أم تراك تفضل الدجاج مع الفطر البري والهليون؟ سأترككما لتفكرا لعدة دقائق».

- شكراً لك، انجلو. كما أننا نريد شراباً حلواً مع الغداء، أليس كذلك؟

استدار محدثاً كاي عندما تفوه بالكلمتين الأخيرتين.

أجابت وهي تبتسم: «لا أرغب في أي شراب آخر».

ابتعد رئيس الخدم، بعد أن نظر بتوتر نحو كاي، التي رشفت قليلاً من شرابها الأصفر اللون. وجدته مقبولاً حتى وصل الشراب إلى حلقها. عندها

تحول المذاق الشهي إلى مذاق حاد، حتى كادت عيناها تدمعان. لم يبالغ ميتشل عندما قال إنه حاد جداً! أجبرت كاي نفسها على الاعتراف بذلك مدركة أن هناك نظرة هادئة تراقب وجهها. أجبرت نفسها على أن تأخذ رشفة أخرى. لم تشعر أنه سيء الآن بعد أن استعدت لمذاقه، ولم تنظر مباشرة عبر الطاولة إلى أن غاب البريق من عينيها واستعادت سيطرتها كاملة على نفسها.

قالت بهدوء: «إنه شهي حقاً!».

رد عليها بوقار: «يسعدني أنه أعجبك».

خنزير ساخر! تظاهرت كاي أنها تقرأ القائمة. شعرت بأنها منزعجة ومرتبكة، لكنها صممت على عدم إظهار ذلك. ستعمل على المحافظة على كرامتها وستبقى باردة حتى النهاية، أو... ستموت وهي تحاول.

قام رئيس الخدم بجولته المعتادة، وعاد في اللحظة التالية مبدياً الكثير من اللطف، وتلقى طلبهما بفرح مفرط. ما إن ابتعد حتى نظرت كاي إلى محيطها الأنيق المضاء بنعومة. لاحظت الأصوات المنخفضة للأحاديث اللطيفة، والحيوية التي تتدفق في الجو العام، والمتناسب تماماً مع الأشخاص الموجودين في ذلك المكان.

من الأفضل لها أن تتناول الطبق الأول الذي قدم لها قبل أن تضع خطتها قيد التنفيذ. ستعمد إلى تهدئته بأمان مزيف، وهذا سيجعلها قادرة على التأثير به على المدى الأبعد. لذلك.. عليها البدء بالتحدث معه.. عليها على الأقل أن تُظهر أنها تقبلت الوضع الراهن.

- سيد غراي...

صحح لها بلطف: «ميتشل، من فضلك».

هزّت رأسها بعناد، وتابعت بصوت هادىء: «ميتشل، أنا حقاً لا أرى سبباً يدعوني إلى قبول دعوة الغداء معك. أتخيل أن عدداً لا يحصى من النساء سيشعرنَ بسعادة قصوى لمرافقتك».

جلس بارتياح أكثر على كرسيه. أنهى شرابه، ووضع الكوب الفارغ على الطاولة قبل أن يقول: «هذا أمر محتمل!».

وإن أراد أن يكون صادقاً حقاً، فهو نفسه لا يفهم السبب الذي دفعه

لمطاردتها، فذلك كما يبدو بوضوح، عمل غير ناجح أيضاً. لطالما افتخر بنفسه لأنه رجل منطقي وحكيم جداً، والتصرفات اللاعقلانية ليست خياره. إذاً، من هذه المرأة النحيلة بشعرها الكثيف المتدلي على كتفيها، والنمش الذي يغطي وجهها، والتي تغلغلت تحت جلده؟ كم يكره أن يعترف أنه لم يتمكن من إبعادها عن أفكاره لأكثر من عدة دقائق منذ أن وقعت عيناه عليها!

حدقت كاي به... أمر محتمل! أهذا كل ما سيقوله في هذه المسألة؟ التقت نظراته بنظراتها؛ بدت عيناه ثاقبتين، ولم يرمش له جفن، كما التوى فمه الأنيق بسخرية.

سألته بتلميح متعمد: «لكنك لا تشعر بالرغبة في الاستفادة من خدماتهن على ما يبدو!».

ابتسم بهدوء وقال: «هل تعتقدين أنني أعمد إلى التوسل لأتمكن من الحصول على امرأة، كاي؟ أؤكد لك أنني لم ألجأ مطلقاً إلى هذه الوسيلة».

- لم أفكر للحظة واحدة أنك فعلت.

وهذا صحيح! فما قالته هو مجرد محاولة سخيفة لتهزأ به وتزعجه. اعترفت بذلك بصمت، وهي تشعر بالانزعاج من نفسها.

نظر إليها بهدوء للحظة، وقال: «جيد. أخبريني قليلاً عنك».

أجبرت نفسها على الابتسام بسرعة، و قالت: «أعتقد أنني فعلت ذلك وفي الحقيقة، إنه دورك الآن. كيف يمكن أن نقرأ المعلومات الشخصية عنك؟».

- حسناً! لنبدأ. الاسم: ميتشل تشارلز غراي. العمر: خمسة وثلاثون عاماً. الوضع العائلي: أعزب. الأم: إيرلندية. الأب: إنكليزي، وكلاهما ماتا في حادث تحطم سيارة عندما كنت في الخامسة عشرة من عمري. أنشأت شركة خاصة بي وأنا في العشرين من عمري باستثمار ميراثي ومعه قرض كبير من البنك، وعندما أصبحت في الثلاثين تفرعت أعمالي لتضم مبانٍ وعقارات في سوث أمبتون، بورتسموث وبلايموث. هل هناك شيء آخر تودين معرفته؟

أمر مثير للاهتمام! اعترفت كاي بذلك وهي تشعر بضيق مفاجىء في صدرها. هي لا تريد أن تشعر بالاهتمام نحو هذا الرجل، ولا بأية طريقة ممكنة. قالت بحذر: «أنت ناجح جداً».

هزّ رأسه. التواضع المزيف كما يبدو بوضوح ليس واحداً من عيوبه! أضافت بتلقائية: «هل أنت سعيد؟».

لم يجب ميتشل على الفور. ضاقت عيناه وقال: «سعيداً؟ السعادة هي شعور هش، ألا تعتقدين ذلك؟ أنا لا أؤمن بها، إن أردت الصدق».

لم تستطع أن تتوقف، فهي تريد أن تعرف المزيد. علقت قائلة: «أحقاً؟ إذاً بماذا تؤمن؟».

- العمل الجدي، التصميم، الثروة والنجاح. العنصران الأولان هما اللذان يوصلان إلى العنصرين الأخيرين، إذا اتحدا مع العنصر السحري الذي يسمى الحظ.

- صحيح!

تابعت بهدوء: «إذاً، أنت رجل صنعت نفسك بنفسك، وتتمتع باستقلاليتك. هل هذا مختصر مفيد عادل بالنسبة إليك؟».

- يمكنني قول ذلك.

تجعد حاجباه وقال متسائلاً: «وماذا عنك؟ هل أنت امرأة صنعت نفسها بنفسها، وتستمتع باستقلاليتها؟».

امرأة صنعت نفسها بنفسها! ستكون مغرورة جداً إن قارنت شركتها الصغيرة بأعمال غراي كارغو العالمية. لكن كاي لم تشعر بالرغبة في ذكر ذلك الآن، فهزّت رأسها وقالت: «نعم».

سأل ببساطة: «هل لديك صديق... في مكان ما؟».

لقد خرجت في موعد أو اثنين في السنوات الثلاث الأخيرة، وذلك بعد أن أوضحت وبشكل مطلق أنه موعد لا يتعدى حدود الصداقة. في الواقع، لا رغبة لديها في تقديم رجل غريب إلى التوأمين. فهي ببساطة لا تريد أبداً أن تتورط مع أي رجل ثانية، على الأقل ليس في المستقبل المنظور. ربما عندما تكبر التوأمان وتتمكنان من الاعتناء بنفسيهما، قد تفكر بإنشاء علاقة إذا التقت بالرجل المناسب. لكن عليه أن يفهم أن مسألة الزواج، والارتباط حتى الموت، هما خارج الموضوع. لقد ذهبت إلى هناك من قبل وانتهى الأمر، وهي ما زالت تحمل الجروح النفسية والعاطفية إثر ذلك. لن تسلم زمام أمرها بعد اليوم لأي

كان، كما فعلت سابقاً.

أخذت كاي نفساً عميقاً وقالت بهدوء: «صديق؟ لا! لا أملك الوقت ولا الرغبة لأي نوع من الارتباط العاطفي».

تحرك على كرسيه، وانحنى إلى الأمام نحوها، وقال: «يبدو هذا الأمر قاسياً. أليس كذلك؟ هل كان زواجك بهذا السوء حقاً؟».

لا رغبة لديها مطلقاً بالتحدث عن زواجها، أو عن أي شيء آخر له صفة شخصية مع هذا الرجل. نظرت إلى الوجه القاسي الوسيم، وضمت يديها إلى بعضهما في حضنها لتؤكد أنها مرتاحة ومسيطرة بشكل كامل على نفسها، ثم قالت ببرودة: «لقد انتهى الأمر، وأنا لا أنظر إلى الوراء أو أتحدث عن الماضي».

- بكلمات أخرى، عليّ أن أهتم بشؤوني الخاصة!

شبك ذراعيه فوق صدره، وأخذ يتأملها بتلك النظرات الثاقبة التي وجدتها كاي مقلقة جداً. تابع بعد برهة: «وماذا عن إنشاء عائلة في المستقبل؟ ماذا عن الأطفال؟ ألست شابة جداً لتغلقي الباب على ذلك كله؟».

لم تجب عن ذلك السؤال مباشرة، بل سألته بنبرة ناعمة: «وماذا عنك؟ هل هذا ما ترغب به: مأوى، بيت وعائلة؟».

نظر إليها نظرة قاسية قبل أن يتكور فمه في ابتسامة حاقدة، ثم تمتم بنعومة: «أمر مؤثر! لا. ليس هذا ما أريده، فأنا لا أتصور نفسي رب عائلة. يحتاج الأطفال إلى التزام كامل، من قبل الوالدين تجاه الطفل وتجاه بعضهما البعض. كما أن الإخلاص للمرأة نفسها لبقية الحياة يبدو أمراً سخيفاً بالنسبة لي. وإذا قام أحد الوالدين بالعيش على هواه، فهذا سيحول حياة العائلة إلى جحيم».

بقي وجهه هادئاً وقاسياً وهو يتكلم، لكن كان هناك شيء ما... مجرد تحول بسيط في صوته، ما جعل كاي تقول، وقبل أن تتمكن من منع نفسها: «هل هذا ما حدث معك وأنت طفل؟».

للحظة اعتقدت أنه لن يجيب، لكنه قال بصوت هادئ: «أصبح نقاشنا عميقاً جداً مقارنة بحديث عادي يجري أثناء تناول الغداء. أليس كذلك؟».

ساد صمت قصير قبل أن يضيف: «نعم. هذا ما حدث معي».

نظر إلى ما وراء كتفها وتابع: «آه! ها قد حضر الطعام. أؤكد لك أنك ستجدينه شهياً وممتعاً. فالطاهي هنا من أفضل الطهاة الذين عرفتهم».

لماذا؟ آه! لماذا سألته ذلك السؤال؟ لم تكن تقصد أن تكون فضولية، فهي مصممة على عدم التحدث عن أي شيء يخصها، ومع ذلك سألته سؤالاً شخصياً، حتى الأصدقاء المقربين يترددون في طرحه. شعرت بخديها يحترقان، فبدأت بتناول الخضار من دون أن تحس بطعمها.

- لا بأس، كاي!

الصوت الهادىء جعلها ترفع نظرها عن صحن الخضار، لتجد أنه ينظر إليها. لم يكن يبتسم، لكن تعابير فضولية ظهرت على وجهه.

- لو لم أرغب في الإجابة لما فعلت. اتفقنا؟

علم أنها تشعر بالسوء، فهي لا تزال تشعر بأن خديها يتوقدان. هزّت رأسها قبل أن تقول: «لا يحق لي أن أسألك سؤالاً شخصياً كهذا، فنحن في النهاية غريبان».

- أفضل أن أفكر أن ما قلته غير صحيح!

وبدأت بالأكل ثانية. أعلمتها حاسة الذوق لديها أن الطعام شهي كالحلم، أما عقلها فراح يصرخ بها أن عليها الخروج من هنا!

شيء ما تغير في الدقائق الأخيرة... شيء غير ملموس لكنه حقيقي جداً، وهو خطر بدون أدنى شك. اعترفت لنفسها أنها لا تعرف كيف ستتمكن من التعامل معه، أو ربما تفضل القول إنها لا تعرف كيف ستتعامل مع ميتشل غراي. مهما يكن، لقد حان الوقت لتضع فكرتها الأساسية موضع التنفيذ.

أنهت تناول الخضار، ووضعت القطعة الأخيرة من الخبز الأسمر في فمها. ابتلعتها بسرعة قبل أن تقول وهي تمدّ يدها إلى حقيبتها: «اعذرني للحظة. أريد أن أرتب تبرجي».

ما إن نهضت حتى نهض ميتشل أيضاً. اعترفت كاي لنفسها أن مظاهر الاحترام القديمة الطراز فاجأتها. قال بهدوء: «بالطبع. غرف الحمام في الجانب البعيد من القاعة».

- شكراً لك.

ابتسمت له ابتسامة صغيرة، وأجبرت نفسها ألاّ تسرع وهي تسير في الاتجاه الذي أشار إليه. وقبل أن تدخل عبر الباب إلى قسم النساء نظرت إلى الوراء باتجاه طاولتهما. كان قد جلس وعيناه عليها. أحست أن هناك قدرة خارقة في نظرته، ما جعل كاي للحظة غير قادرة على إبعاد نظرها عنه. بعد ذلك فتحت الباب ودخلت إلى الغرفة المعطرة.

بعد أن أغلق الباب وراءها، وقفت هادئة تماماً. لم يكن هناك أحد سواها، وراح قلبها يخفق بقوة مؤلمة. نظرت حولها في الغرفة المميزة ببلاطها الأنيق، وجدرانها ذات اللونين الأبيض والذهبي. واتجهت فوراً إلى النافذة.

الحمد لله أن هذه الغرفة ليست غرفة داخلية. لكن هل يمكنها أن تفتح هذه النوافذ؟ وإن تمكنت من ذلك، فإلى أين تراها تؤدي؟ النافذة ذات الطراز الحديث مؤلفة من لوح كبير من الزجاج مثبت في الوسط، وعلى جانبيه نوافذ أصغر حجماً، كلها مصنوعة من الزجاج السميك.

جرّبت النوافذ الأقرب إليها وصلّت في سرها: من فضلك افتحي. من فضلك! من فضلك! شعرت بموجة من الراحة ما إن تأرجحت النافذة إلى الخارج. أطلت كاي على ما يبدو باحة صغيرة تحتوي على عدة صناديق كبيرة للقمامة موضوعة في زاوية واحدة، وعدد مختلف من الأوعية متناثرة في المكان.

مباشرة تحت النافذة بدت المنطقة خالية، لكن ارتفاعها يبلغ ستة أو سبعة أقدام. ما كان ذلك ليهمها لو أنها مرتدية جينز أو أي بنطلون آخر، لكن تنورتها القصيرة الضيقة لن تساعدها مطلقاً في التسلق. وإن يكن! فأي خيارات لديها؟ تراجعت كاي عن النافذة المفتوحة، واستدارت لتواجه الغرفة وهي تراجع الأحداث في فكرها. هل ستترك ميتشل غراي ينجو بفعلته بالاحتيال عليها وإحضارها إلى هنا، وبإجبارها على تناول الغداء معه؟ لقد أجبرها بالفعل. وهي قررت أن تعطيه درساً في السيارة، وما زالت ترغب في القيام بذلك حتى الآن. أليس كذلك؟

إنه يحاول التأثير عليها، لكنه اختار الفتاة غير المناسبة. لن يتمكن من استغفالها للحظة، فهي لن تسمح لأحد باستغفالها بعد اليوم.

انحنت كاي. خلعت حذاءها، وحملته بيد واحدة وهي تحضر نفسها.

www.al-maktabeh.com

ستبدو سخيفة فعلاً إذا دخلت إحداهنَّ إلى غرفة الحمام في الدقائق القليلة القادمة، لكن ذلك لن يوقفها. فهذا أفضل من أن يعتقد ميتشل غراي أنه تمكن من السيطرة عليها حتى الإذعان!

رأت كرسياً صغيراً في إحدى الزوايا، فحملته ووضعته قرب النافذة. أخذت نفساً عميقاً قبل أن تصعد عليه. رمت حذاءها إلى الخارج، وسمعته يستقر على الأرض بشكل نهائي. أصبح لزاماً عليها الهروب الآن، فهي لا تستطيع العودة إلى الداخل حافية القدمين.

حركت حقيبة يدها على كتفها لتضعها على ظهرها وتسلقت من الكرسي إلى حافة النافذة، رفعت تنورتها قليلاً لتتمكن من التحرك. لم تشعر يوماً في حياتها أنها حمقاء هكذا.

بدت الفتحة كبيرة، ومع ذلك كان عليها أن تحشر جسمها مرة أو مرتين وهي تتلوى، وتتأفف حتى اعتقدت أنها علقت هناك. مجرد التفكير بأن ميتشل غراي سيجد وضعها المحرج مضحكاً، دفعها للاستمرار وعدم التراجع.

كانت قد استدارت داخل إطار النافذة قبل أن تتملص كلياً منها إلى الناحية الخلفية. بدا ذلك مناسباً تماماً، لأنها فجأة اندفعت إلى الأرض تحتها كما تندفع الفلينة من الزجاجة، بعد أن ارتطمت ركبتاها بالحائط وهي في طريقها إلى الأرض. أظلمت الدنيا في عينيها هي تقف عن الأرض. نظرت إلى جوربيها الممزقين وإلى ركبتيها الملطختين بآثار الدماء. رائع! رائع تماماً!

التقطت حقيبتها من المكان التي وصلت إليه أثناء سقوطها السريع. فتحتها وأخرجت منديلاً لتجفف ركبتيها. أووه.. ! لقد نسيت آلام الركب المجروحة منذ أيام الطفولة، لكنها الآن عادت إلى تلك المرحلة ثانية.

بعد أن نفضت الغبار عنها وربطت شعرها كذيل الفرس، انتعلت حذاءها وسارت وهي تعرج نحو البوابة في الجدار العالي الذي يحيط بالباحة. إنها مقفلة من مكانين، لكن لسان القفل انزلق بسهولة تحت أصابعها؛ من الواضح أن البوابة تستعمل بشكل دائم.

خرجت من الباحة إلى شارع جانبي، نظرت حولها كأنها هاربة من العدالة، لكنها لم تَرَ سوى هرة سمينة متشردة. بدا كل شيء هادئاً وساكناً، والطريق

الرئيسي يبعد قليلاً عن الرصيف المواجه.

ما إن دخلت إلى الشارع المليء بالناس حتى رأت سيارة أجرة تقترب منها، وكل ما قامت به هو رمي نفسها في طريقها. لكنها لم تشعر فعلاً بما فعلته، ولم تتأكد منه إلا بعد أن أعطت عنوان منزلها للسائق، وانطلقت السيارة بها مبتعدة. لقد تركت ميتشل غراي يجلس بانتظارها في ذلك المطعم الأنيق! لن يطول الوقت حتى يحضر الطبق الرئيسي إلى الطاولة. كم سينتظر بعد ذلك قبل أن يسأل شخصاً ما، نادلة ربما، لتذهب باحثة عنها؟ لا بد أنه سيبدو أحمق جداً...

حدّقت إلى الخارج من النافذة في المباني والمتاجر التي تمر بسرعة أمامها، وتساءلت لماذا لا تشعر بشيء من الفرح من النصر الذي حققته. فكل ما تشعر به هو فراغ هائل في داخلها!

www.hamsatrouge.com
jewelry

٣ - ما سرّها؟

- يا إله السماوات! طفلتي، ما الذي ستفعلينه بعد الآن؟

تحدثت أمها معها وكأنها عادت تلك الطفلة الصغيرة ثانية. ولتكون صادقة فعلاً، هذا تماماً ما شعرت به كاي وهي تقف في المطبخ حاملة جوربيها الممزقين، وركبتاها مجروحتان وآثار الدماء عليهما. كانت قد أخبرت لينورا باختصار ما الذي حدث معها. فجأة جلست المرأة الأكبر سناً بقوة قبل أن تتفوه بكلمة.

كان هناك إحساس بالمواجهة في صوت كاي: «إنه يستحق ذلك!».

- أنا لا أقول إنه لا يستحق ذلك، مع أن هناك جرائم أسوأ من خطف امرأة إلى ذلك النوع من المطاعم الذي أخذك إليه.

هزّت لينورا رأسها ببطء، وما زال وجهها الجميل غير قادر على إخفاء تعجبها ودهشتها.

تأملت كاي أمها بعينين حذرتين: «هذا ما قاله بالضبط، لكنني لا أستطيع مسامحة شخص كذب عليّ وأجبرني على مرافقته، مع أنني أعلنت له بوضوح أنني أريد المغادرة».

- أستطيع تفهم ذلك.

نهضت لينورا عن مقعدها وتابعت: «ساعد فنجانين من القهوة لنا. في تلك الأثناء يمكنك الاستحمام وتبديل ثيابك. هل ستعودين إلى المكتب اليوم؟».

- لا. بيتر وطوم هما خارجاً، والمجيب الآلي سيسجل كل الاتصالات. سوف يتدبر الناس أمرهم إن كان هناك أمر طارىء. فكرت أن أذهب لملاقاة الطفلتين في المدرسة... ستسعدان بذلك.

وافقت لينورا بنعومة: «ستحبان ذلك كثيراً».

أدركت لينورا تماماً السبب الرئيسي الذي جعل ابنتها تقرر عدم الذهاب إلى المكتب بعد ظهر هذا اليوم، لكنها فضلت عدم التكلم عنه. إذا ذهب ميتشل غراي إلى المكتب فهي لن ترغب بوجود كاي بمفردها هناك، إذ من المحتمل أنه سيكون غاضباً جداً. لا! فرجل مثله، متكبر قاسي القلب، سيقطع أي اتصال بها. أكدت لينورا ذلك لنفسها وهي تراقب ابنتها تغادر الغرفة.

ما إن أصبحت في الطابق العلوي، في غرفة الحمام ذات اللونين الأزرق والأصفر، والتي لا تتسع لأكثر من مغطس الاستحمام والمغسلة، حتى خلعت كاي ثيابها. شعرت ببعض الارتجاف. اعترفت بذلك على مضض، قائلة لنفسها إن ذلك ردة فعل على ما حدث معها، بالإضافة إلى أنها لم تأكل بعد. لم تكن متزعجة مطلقاً بشأن ميتشل غراي، وكيفية تعامله مع مغادرتها غير المتوقعة من المطعم ومن حياته، فهذا أمر لا يعنيها.

إن حاول مرة أخرى أن يجبرها بالاكراه، أو أصبح مزعجاً، فهي سوف ... حسناً! هي لا تعلم ما الذي ستفعله. اعترفت بضعف. وقفت تحت مرشة الماء الساخن، وتركت المياه الدافئة المتدفقة تغمرها. لكنها لن تسمح لأحد بالسيطرة عليها، هذا أمر مؤكد!

بعد دقيقتين أو أكثر حركت نفسها لتبدأ بغسيل شعرها، فركت جمجمتها بقوة لا داعي لها، وكأنها بذلك ستتمكن من غسل الأفكار المضطربة التي تملأ رأسها، وهكذا تتخلص منها مع الشامبو المعطر. ما إن جففت جسمها، حتى وضعت كمية كافية من المرهم المضاد للالتهابات على ركبتيها، و ضغطت على أسنانها بقوة عندما لسعها الألم، ثم غطتهما بقطع نظيفة من الشاش.

ارتدت بنطلون جينز وكنزة واسعة من الصوف، ثم وضعت كريم التصفيف على شعرها وجففته، لكنها لم تزعج نفسها في صراعها الدائم لتحاول السيطرة عليه. تركته متدلياً على وجهها وكتفيها، فبدا في حالة من الفوضى؛ خصل وتموجات عشوائية من الحرير الأحمر البني. أدركت أنها تبدو كفتاة في السادسة عشرة من عمرها، لكنها لم تهتم للأمر. شعرها الكثيف هو آخر ما يهمها!.

ما إن أصبحت جاهزة للعودة إلى الطابق الأرضي، بعد أن نادتها أمها لتقول لها إن القهوة جاهزة، اعترفت كاي لنفسها أنها تصرفت تصرفاً سيئاً لا يصدق.

توقفت عند المدخل الصغير، وأغمضت عينيها للحظة. هذا لا يعني أن تصرفاته كانت أفضل! هذا ما قالته لنفسها في اللحظة التالية، فقد كذب عليها وأجبرها على الدخول إلى المطعم. لكن ليس من عادتها أن تكون قاسية وفظة. آه! تباً... تأوهت بنعومة، وجلست عند أعلى الدرج لتلك مؤخرة عنقها، الذي كان مشدوداً كأوتار البيانو. هذا ما حدث الآن... وهو المسؤول عن ذلك، أو عن بعض هذا الانتقام على الأقل.

* * *

سارت كاي المسافة التي تبلغ نصف ميل أو أكثر قليلاً لتصل إلى مدرسة ابنتيها. الطقس المعتدل المشمس يثير البهجة في هذه الأمسية من تشرين الأول. في أوقات كهذه اعتادت كاي أن تشعر كم هي محظوظة! أما الليلة، فالوضع مختلف تماماً.

اعترفت بارتباك أنها تشعر بالقلق والاضطراب، وبتناقضات جمة في داخلها. اللوم كله يقع على ميتشل غراي! لم يحاول فقط أن يخطفها، بل هو الآن يكاد يرغمها على الاعتذار لأنها قاومته! لا بد أنها مجنونة... لن تعطيه أو تعطي أحداث هذا اليوم أية لحظة تفكير أخرى.

بعد أن تحدثت إلى جارها الذي يصطحب التوأمين عادة إلى المنزل، انتظرت كاي قدوم ابنتيها إلى ملعب المدرسة. ولم يخب أملها من ردة فعلهما عندما لمحتاها. وكما هي العادة في ظروف كهذه، ساورها إحساس بالذنب لأنها لا تتمكن من اصطحابهما بنفسها في أغلب الأحيان. لكن هناك ناحية مهمة جداً، فهي بحاجة إلى كل قرش تستطيع الشركة تأمينه لتتمكن من توفير أجور لها لبيتر ولطوم، فكلهم مسؤولون عن أسر عليهم الاعتناء بهما.

«العمل الجدي، التصميم، الثروة والنجاح. العاملان الأولان يقودان إلى العنصرين الأخيرين مع المشاركة بالعنصر السحري الذي يدعى الحظ»...

رنت كلمات ميتشل غراي في أذنيها بينما كانت هي وابنتيها يسرن إلى المنزل في جو من الهواء العبق القاتم. حسناً! بعكس السيد غراي المسؤول فقط عن نفسه، فهي مسؤولة عن عدة أشخاص وهم يعتمدون عليها. قالت كاي ذلك لنفسها بمزاج نكد. بالطبع، شخص مثله يفتخر باستقلاليته، ليس لديه وقت

للعلاقات الشخصية الدائمة، لن يشعر بأي وخز ضمير إذا ما أثر تراجع الأعمال على موظفيه!

- ها قد وصلنا!

قالت كاي ذلك ما إن فتحت الباب الأمامي، ووقفت جانباً لتسمح لجورجيا وإميلي بأن تتقدماها. ركضت الفتاتان عبر غرفة الجلوس، وفتحتا باب المطبخ.

ما إن أغلقت كاي الباب وراءهما حتى أدركت أمرين معاً في اللحظة نفسها؛ توقفت الفتاتان بسرعة عند مدخل الباب، وكانت أمها تقول شيئاً. بدا صوتها عالياً وهي تتحدث بسرعة، وهذا يعني أنها قلقة. وبعد ذلك سمعت الصوت الرجولي العميق، وعلمت...

في الوقت الذي وصلت فيه إلى الباب عمدت إلى استجماع قوتها. الشيء الوحيد الذي كان يدل على خوفها حتى الموت هو ابيضاض بشرتها. كان ميتشل غراي جالساً إلى الطاولة بقرب أمها، وأمامه على الطاولة فنجان من القهوة وقطعة كبيرة من حلوى الجزر التي أعدتها لينورا.

حدّقت كاي به وأدركت أن عليها أن تقول شيئاً، لكن الكلمات تبخرت من رأسها، ولم تجد ما تستطيع قوله في مثل هذه المناسبة. حدّق بها بالمقابل بصمت بعينين يتعذر فهمهما.

- كاي، عزيزتي. ها قد وصلتِ!

نهضت لينورا بسرعة عن الطاولة، وهي تشعر بارتباك كبير. دارت حول طاولة إعداد الطعام الطويلة، والتي تفصل غرفة الطعام عن المطبخ، وتابعت: «مرّ ميتشل ليتحدث معك قليلاً. سآخذ الفتاتين إلى غرفة الجلوس، أليس هذا ما تريدينه؟».

- من فضلك لينورا، لا تزعجيهما من أجلي.

ابتسم لها ميتشل وهو يتكلم قبل أن ينظر إلى الفتاتين الصغيرتين اللتين كانتا تمسكان بقوة بساقي كاي. تابع يحدثهما: «أخبرتني جدتكما عنكما. والآن، ما اسم كل واحدة منكما؟».

ميتشل ولينورا؟! لقد غادرت المنزل لأقل من ساعة، وفي ذلك الوقت

أصبحت أمها وميتشل غراي من أعز الأصدقاء؟!

تحدثت جورجيا وهي الأقل خجلاً: «أنا جورجيا وهي إميلي».

نظرت بفضول إلى الرجل الكبير الغامض، الذي يملأ غرفة الطعام الصغيرة بحضوره المسيطر، وتابعت: «وما هو اسمك؟».

ابتسم للفتاتين الصغيرتين اللتين تشبهان حبتي البازلاء في قرنها، فقال: «ميتشل، لكن بإمكانكما مناداتي ميتش إن رغبتما».

هزّت جورجيا رأسها، فتراقص شعرها الأحمر البني المتجعد. لطالما بدت جورجيا الطفلة ذات القرارات الفورية، والآن ها هي تمشي باتجاه الرجل الجالس إلى الطاولة قبل أن تتمكن كاي من منعها. جاء صوتها عالياً وهي تقول: «هل تريد أن تعلم كيف بإمكانك أن تفرق بيننا، فلا تخطىء بنا أبداً؟».

حدّق ميتشل بالوجه الصغير الجدي. بدا من نبرة الطفلة أنها تقدم له شرفاً كبيراً، فجاءت ردة فعله مناسبة تماماً لذلك عندما قال: «أريد ذلك حقاً، من فضلك، جورجيا».

- أنا أطول قليلاً من إميلي، وهي تملك بعض الشرارات الخضراء في عينيها. لكن عيني بنيتان كلياً، مثل عيني ماما.

هزّ رأسه وقال: «صحيح! شكراً لك، سأتذكر ذلك».

لم ترضَ إميلي أن تبقى بعيدة، فانضمت إلى أختها قرب ركبة ميتشل، وقالت باهتمام: «لدى جدتي بعض الشرارات الخضراء في عينيها أيضاً، وكذلك خالي بيتر».

- أحقاً؟

نظر ميتشل إلى المراتين للحظة، قبل أن تعود نظراته إلى التوأمين. بدت الوجوه الأربعة متشابهة بشكل مثير للضحك، وكأن هناك ثلاث مراحل من حياة شخص واحد ماثلة أمامه. قال: «حسناً! لديكما أجمل عيون رأيتها، وكذلك هي عيون جدتكما وأمكما».

ابتسمت الفتاتان له بإشراق، فأدركت كاي أن عليها أن تستلم زمام الأمور، وبسرعة. قالت بنشاط: «جورجيا، إميلي، اصعدا مع جدتكما، وبدّلا ثياب المدرسة، وعندما تنتهيان من الاغتسال وارتداء ملابسكما،

يمكنكما العودة إلى هنا لتشربا الحليب وتتناولا البسكويت، اتفقنا؟».

سألت جورجيا ميتشل، من دون أن تنظر إلى ناحية كاي: «هل ستكون هنا في تلك الأثناء؟».

- لست متأكداً.

وطافت العينان الفضيتان على وجه كاي، الذي أصبح الآن متوهجاً من الحرارة. تابع ميتشل: «من الأفضل أن تسألي أمك هذا السؤال».

- مامي...

- جورجيا!

من الواضح أن الفتاتين تعرفان هذه النبرة جيداً، لأنهما استدارتا مبتعدتين عن ميتشل من دون التفوه بأية كلمة. سارتا نحو لينورا التي مدت يديها لهما، وغادرتا الغرفة وهما تلوحان لميتشل.

- إنهما رائعتان! وتدعوان للابتهاج.

ما إن أغلق الباب حتى مهد لما ترغب كاي بقوله، وأتبع ذلك بالتهامه قطعة كبيرة من حلوى الجزر.

حدّقت كاي به، وهي تعلم أن وجهها متقد كالنار، لكنها لم تكن قادرة على القيام بأي شيء بشأن ذلك. قالت: «سيد غراي، لماذا أنت هنا؟».

قال بصوت ناعم، لكنه يحمل تحذيراً ما في نبرته الهادئة: «ميتشل، من فضلك. إلا إذا كنت تفضلين ميتش، بالطبع؟».

- أنا لا أفضل شيئاً.

هزّ رأسه، وتناول قطعة ثانية من الحلوى، وكأن لديه كل الحق بأن يجلس في غرفة الطعام في بيتها.

لا بد أنه غاضب منها بشكل مخيف. لم تعلم كاي كيف توصلت إلى هذه المعرفة لأن الوجه الوسيم القاسي بدا مرتاحاً واجتماعياً رغم كل ما حدث، أما عيناه الباردتان فبدتا صافيتين وساحرتين.

قررت أن تمسك الثور من قرنيه، فقالت: «أنت غاضب».

لم يكن ما قالته سؤالاً بل توضيحاً، وتأكيداً لما تشعر به. تابعت: «ويمكنني أن أتفهم ذلك، لكن هذا لا يعطيك الحق لتأتي إلى منزلي».

www.nasatrevaijewelry.com

- لا أوافقك الرأي.

لم تتمكن نبرته الهادئة من خداعها للحظة واحدة.

قررت أن تتخذ سبيلاً آخر، وأجبرت نفسها على إظهار العدارة في صوتها. كافحت لإخفاء الارتجاف في داخلها فسألت: «كيف تمكنت من الحصول على عنواني، بكل الأحوال؟».

ألديها أية فكرة كم تبدو شابة وسريعة التأثر وهي واقفة هناك؟ مع أن موقفها عدائي بالكامل، لكن فمها وعينيها فضحت مخاوفها وحذرها. تباً! إنها تنظر إليه وكأنه نوع من الوحوش. هذه الفكرة زادت من غضب ميتشل بدلاً من تخفيفه.

قال ببساطة: «الحصول على عنوانك لم يكن بالعمل الصعب. ففي النهاية، لدي اسمك ورقم هاتفك».

- لا أريدك هنا، فأنت تقلق أمي وتخيف الفتاتين.

وقع هذه الكلمات حتى على أذني كاي نفسها بدا سخيفاً. فأمها رحبت به بوضوح، كما أن التوأمين مستعدتان لأن تأكلا بهدوء وفرح من يده. قال ميتشل بصوت جاف لا يحتمل: «إذاً، ما كان عليك الهرب كأنك أرنب خائف. أليس كذلك؟ مع أن عملك هذا كان مفاجئاً، فأنا لا أقدر أبداً الوضع الذي تركتني فيه أثناء الغداء، كما أنني لا أشجع رمي الطعام الجيد».

قالت بسرعة: «لم تترك لي أي خيار آخر».

- اعذريني إن كنت لا أرى الأمور من وجهة نظرك.

- لا أحب أن يسيطر عليّ أحد.

قال موافقاً: «وأنا كذلك».

حدّقت كاي به بغضب، وسألت نفسها: ما سرّ هذا الرجل الذي يجعلها تتصرف بعداوة كبيرة؟ ليس لديها أية أوهام بشأن الرجال. ليس بعد ما حدث معها... وحتى ظهور ميتشل غراي في حياتها كانت قادرة على التعامل معهم بشكل جيد. أو على الأقل، في السنوات القليلة الأخيرة، عندما تمكنت من إنشاء عمل خاص بها، وأصبحت المعيلة الوحيدة لأمها وابنتيها. تلك الحياة علمتها أنها قادرة على الاستمرار بدون رجل.

أنهى ميتشل قطعة الحلوى، وتلمظ بشفتيه مستحسناً، وهو يقول: «أمك طباخة ماهرة جداً. مرّت سنوات عدة منذ أن أكلت حلوى الجزر، كما أنني كنت جائعاً جداً».

فهمت كاي ما يلمح إليه في كلماته الأخيرة، لكنها اختارت أن تتجاهلها. عليها أن تخرجه من هنا الآن، مع ذلك، انحشرت الكلمات في حلقها. ابتلعت غصة، ونظرت إليه وهي تبحث عن الكلمة المناسبة، الهادئة والجامعة. مع أنها ليست نادمة على الإطلاق.

كانت عيناه الزرقاوان تراقبانها بقوة، وهما تلمعان كالفضة، ومن دون أن يرمش لهما جفن. أما زاويتي فمه فقد تكورتا بسخرية، لتخبراها أنه يعلم تماماً ما الذي تفكر فيه، وما الذي دعا إلى ذلك الاعتذار القادم. وعلى الفور ماتت الكلمات على شفتيها. قالت بضيق وقلبها يقفز بألم: «أريدك أن ترحل الآن، سيد غراي».

شبك ذراعيه فوق صدره، وهو يجلس بارتياح أكبر على الكرسي، وأخذ يتأملها باهتمام كما فعل في المطعم. ثم قال بنعومة: «إني متأكد من ذلك، سيدة شيروود».

التأكيد الهادىء وهو يلفظ اسمها أعلمها أنه فهم محاولتها التعامل معه بشكل رسمي، وهو لا يقدّر ذلك أبداً. تابع، وكأن كلماتها النهائية لم تلفظ: «قولي لي، كيف تمكنت من مغادرة المطعم من دون أن أراك؟ وأنا أعلم أنك لم تغادري من المطبخ».

رمشت بعينيها. إذا كان حقاً لا يعرف كيف غادرت، لا مجال لإخباره بطريقة خروجها المذلة. رفعت كتفيها بحذر وسألته وهي تظهر مللها بوضوح: «وهل هذا مهم؟».

- بالنسبة لي، أراه كذلك.

بدا صوته منخفضاً وقاسياً الآن، ولأول مرة لمحت كاي شيئاً من غضبه، ما جعلها تشعر بالرضى.

لم تكن تلك لحظة مناسبة لتشعر بالمرح، لكنها لم تستطع إلا أن تفعل. ومع أنها حافظت على ملامح وجهها هادئة، غير أنه شعر بشيء ما لأنه قال:

«حسناً! لن أغادر حتى أتشرف بسماع جوابك».

آه! ليشعر بالنصر من ذلك! قالت بدون أي اهتمام: «تسلقت نافذة غرفة الحمام».

سادت بينهما لحظة طويلة من الصمت قبل أن يبدأ ميتشل بالضحك. لم تكن ضحكة عالية أو ساخرة، بل ضحكة من أعماقه، وهذا ما فاجأ كاي كلياً. حاولت بقوة أن تخفي إحساسها بالتسلية إلاّ أنها فشلت بذلك. وعلى الرغم من أنه كان يضحك عليها، كانت لا تزال تبتسم عندما عادت نظرته الحلوة تطوف على وجهها. قال بصوت يشع فرحاً: «أراهن أن هارنغتون لم يرَ شيئاً كهذا من قبل، وفي تلك التنورة... أنت محظوظة لأنك لم تسببي أذى حقيقياً لنفسك».

فكرت بركبتيها المجروحتين وقالت: «ربما».

- أنت تفضلين حقاً أن تقفزي من النافذة على تحمّل الغداء معي؟

توقف عن الضحك، وظهر شيء ما في صوته جعل وجهها يضطرب ويتورد ثانية. قالت بصراحة: «لا أحب أن يخدعني أحد».

- وإن لم يكن في الأمر خداع، ماذا يحدث حين ذلك؟

سألها بنعومة. شيء ما في صوته جعلها تشعر باضطراب في أعصابها. ثم وقف ما إن تكلم، فشعرت بتوتر شديد وهو يسير نحوها. قامته الفارعة وعرض كتفيه جعلاها تشعر بأنها صغيرة تماماً كالتوأمين.

- قلت لك، أنا لا أواعد أحداً...

أرادت أن تتراجع خطوة إلى الوراء، لكنه لم يلمسها، وهي ستبدو سخيفة إن قامت لذلك، كما أن ذلك سيعطي تفسيرات خاطئة. فهي لا تخاف منه، لا مجال مطلقاً لذلك. هذا ما أكدته لنفسها بصمت.

- مطلقاً؟

قالت بحزم: «مطلقاً! فهناك التوأمان اللذان يتوجب عليّ الاعتناء بهما».

- ألا ترضى أمك بالبقاء معهما لأمسية واحدة بينما أنت تمرحين قليلاً؟ لا أستطيع تصديق ذلك. فهي تبدو سيدة لطيفة جداً.

قالت كاي بحماس: «إنها كذلك. وبالطبع، هي توافق على البقاء مع ابنتيّ

إذا طلبت منها ذلك، لكنني أختار ألاّ أفعل. فأنا أفضل ألاّ أتورط...».

غاب صوتها ما إن شعرت بدفء جسمه يحيط بها. شعرت بالتوتر بسبب العواطف المضطربة التي أثارها فيها. إنه لم يلمسها بعد، فكيف يمكن لها أن تشعر بكل هذا الشوق والضعف؟ سألت نفسها بيأس، وشعرت برجفة تجري في أوصالها.

نظر إليها وقال: «وأنا أيضاً».

منحه الشعر الأسود الذي يحيط ببشرته السمراء، وعيناه الماكرتان المزيد من السيطرة. تابع: «اعتقدت أننا اتفقنا سابقاً على أننا فريدان من نوعنا؟ نحن حرّان، لدينا قوة تصميم وعزم، ونؤمن بالاستقلالية».

حذّرت كاي بملامح وجهه القوية. لا يمكن الوثوق بالرجال! إنهم يقولون شيئاً ويقصدون شيئاً آخر، وعندما يصل الأمر إلى رغبتهم بالسيطرة على المرأة وإخضاعها، فسيكون عليها المقاومة والصراع لتتمكن من استعادة استقلاليتها. حتى والدها الذي كان رائعاً، تلاعب بمصير أمها وأمان حياتها وسلامة أفكارها. خسر كل شيء حتى بدون أن يخبرها ما الذي يفعله. الرجال هم نوع مختلف جداً.

قال ميتشل بنعومة: «أنا أحب النساء، لكن هذا لا يعني أنني مستعد للدخول في شرك أو فخ للحصول على امرأة. أنا لا أؤمن بالقصص الرومنسية: رجل واحد وامرأة واحدة... عاشا سعيدين طوال العمر، وأنجبا صبيان وبنات...».

- أنا لا...

توقفت عن الكلام، لتتابع بعد قليل وخداها يحترقان: «أنا لا أقيم علاقة عاطفية مع أحد».

- جيد. وأنا أيضاً.

- قصدت...

- أعلم ماذا تقصدين، كاي.

اقترب منها ومرر إصبعه بنعومة فوق خدها. بدت لمسته بخفة الريشة، لكنها شعرت بها في كل عصب من أعصاب جسمها.

– وليس لدي أي توقعات، أيضاً. اتفقنا؟ أنا لست شاباً يافعاً لا يستمتع برفقة امرأة إلا إذا كان هناك علاقة حميمة في نهاية الأمسية. فتلك العلاقة أكثر من ذلك بالنسبة لي، إنها بحاجة إلى تفاهم عقلي وذلك بعد أن يكون الشخصان قد بنيا مستوى عالياً من الثقة بينهما. العلاقات العابرة ليست مفهومي لقضاء وقت جيد.

لم تصدق كاي أنها تجري هذا النقاش معه. فهي لم تعرف رجلاً غير بيري في حياتها كلها، وهي لم تكن له إلاّ لأنها أعطته قلبها أولاً. أما ميتشل فهو يتحدث عن أمر مختلف تماماً.

تراجعت خطوة إلى الوراء، راغبة في اختراق ذلك الجو الحميم الذي أحاطهما خلال الدقيقتين الماضيتين. قالت: «إني آسفة، أنا أقصد تماماً ما قلته سابقاً. لا أريد أية علاقة، ولا بأي شكل من الأشكال. فأنا لست مستعدة لذلك».

وقبل أن تدرك ما الذي يفعله ضمها ميتشل بين ذراعيه وعانقها. لم يعانقها بقوة أو بقسوة، بل بإحساس لم تشعر به من قبل. بدا ذلك الإحساس جديداً ورائعاً بالنسبة لها. شعرت كأن كل ما فيها يغرق في سعادة لا توصف.

لم تتخيل يوماً في أغرب أحلامها عناقاً كهذا، فبيري لم يعانقها يوماً هكذا. بدا عناقه كأمر ضروري وواجب عليه القيام به فقط.

قال بنعومة وهو يبعدها عنه قليلاً: «كاي! أعتقد أنني أسمع خطوات التوأمين وهما قادمتين إلى هنا».

فتحت عينيها باستغراب، محدقة به. شعرت بصدمة كبيرة وهي تدرك أنها كانت عمياء صماء بشأن اقتراب ابنتيها اللتين اندفعتا إلى المطبخ بعد مرور عدة لحظات فقط. قامت بمعاينتها المعتادة للأيدي الصغيرة قبل تناول الحليب والبسكويت، وهكذا تمكنت كاي من استعادة سيطرتها على الأمور.

سرعان ما قالت له جورجيا: «إنني سعيدة لأنك ما زلت هنا. هل انتهيت من التحدث مع أمي؟».

أجابت كاي ابنتها قبل أن يتمكن ميتشل من الإجابة: «نعم. لقد انتهينا».

جاء صوتها عادياً جداً مقارنة بما تشعر به في أعماقها. تابعت: «والآن

اذهبا واجلسا إلى الطاولة، من فضلكما».

قالت إميلي ما إن جلست إلى الطاولة بعد جورجيا: «تقول جدتي إنك صديق لأمي. هل هذا يعني أنك ستأتي مرة ثانية؟».

– هل تريدان أن أحضر ثانية؟

قال ميتشل ذلك وهو يبتسم للوجهين الصغيرين اللذين يشبهان وجه أمهما كثيراً.

أجابتا معاً: «نعم».

– إذاً علينا أن ننتظر ونرى!

فوق جثتها... ابتسمت كاي بضيق قبل أن تقول: «قولا مع السلامة للسيد غراي».

وضعت كوبي الحليب والبسكويت على الطاولة، وتابعت: «سأعود بعد دقيقة واحدة».

سارت عبر الغرفة إلى باب المطبخ، ففتحته، وانتظرت ميتشل ليتقدمها إلى غرفة الجلوس. وهذا ما فعله بعد نظرة خفية إلى وجهها. كانت لينورا تنزل الدرج في تلك اللحظة، وما إن نقلت المرأة نظراتها بين كاي وميتشل ثم أعادتهما إلى كاي ثانية، حتى قالت كاي: «هل يمكنك مراقبة الفتاتين للحظة بينما أرافق السيد غراي إلى الخارج؟».

– بالتأكيد.

لم تعلّق لينورا أن التوأمين قادرتان على شرب الحليب وتناول البسكويت بدون أية مراقبة، لكن ما قالته بحرارة، ضاعف انزعاج كاي: «أسعدني جداً لقاؤك، ميتش».

– الشعور متبادل، وحلوى الجزر كانت رائعة.

– شكراً لك.

ظهرت غمازتي لينورا ما جعل كاي تشعر بالرغبة في هزها. ما إن فتح ميتشل الباب الأمامي وخرج منه، سمعت كاي أمها تغلق باب المطبخ بتعمد، ما يظهر عدم موافقتها على تصرفات ابنتها. فصرّت على أسنانها. ما إن استدار ميتشل لمواجهتها حتى قالت بحزم: «مع السلامة».

www.hanasatewaya.com

وقبل أن تفسد حدة وداعها أضافت ما إن لمعت الفكرة برأسها: «أين سيارتك؟».

- هل تخشين أن أطلب منك توصيلي؟

إنه يسخر منها! تابع بنعومة: «أوقف سائقي السيارة وراء الزاوية، ولا شك أنه استغل هذا الوقت لينام قليلاً. وقبل أن تسألي، نعم. تعمدت ألاّ أدعك ترين السيارة عندما تعودين إلى المنزل. اعتقدت أنك ستهربين ثانية».

جعلها تبدو كمهر متمرد. نظرت إليه بغضب، محاولة ألاّ تلاحظ ارتفاع قامته الذي يثير فيها الرعب.

استدار على عقبيه ما إن أصبح في منتصف الطريق عبر ممر الحديقة، وقال: «بالمناسبة، سأمر لاصطحابك عند الساعة الثامنة».

صرخت به غير مصدقة، ما جعله يجفل بشكل واضح: «لن أذهب إلى أي مكان معك الليلة!».

ظهرت ابتسامة هادئة على شفتيه وقال بصوت كالحرير: «مخطئة!».

هل هو مجنون أم أنها هي المجنونة؟ لا بد أن أحدهما كذلك. قالت بضيق: «اعتقدت أنني أوضحت لك ما أريد بشكل كامل».

قال برباطة جأش فاضحة: «ما بدا لي واضحاً، كاي، هو حاجتك إلى العناق».

كما أوضحت، ومن دون رغبة منها، أن ذلك الزوج السابق كان من النوع الذي يأخذ فقط أكثر مما يعطي. وقد تكون الطفلتان دليلاً على ذلك. وهو سيكشف ذلك، لكنه لن يرغمها على الإسراع بعلاقتهما، فهي متوترة كهرة على سطح حار من الصفيح.

كانت قد تبعته إلى منتصف الممر. قالت كاي بصوت هامس: «لست بحاجة لأن يعانقني أحد، لاسيّما أنت».

جاء صوتها أكثر قساوة لأنها كانت تكذب على نفسها لا عليه فقط. تمتم مبتسماً مفكراً: «إذاً عليّ العمل على ذلك، فكل امرأة يجب أن ترغب في أن يعانقها أحد ما».

حباً بالله! لا بد أن جلده سميك جداً، أم أن غروره العملاق لا يتقبل كلمة

لا؟ قالت بطريقة جارحة بقدر ما يمكنها: «هذا تعليق ذكوري بامتياز».

- ليس هناك أي شيء نموذجي بشأني، كاي. وهذا ما أرغب في أن أجعلك ترينه، لكن في الوقت المناسب. أما الآن فما أقترحه مجرد وجبة شهية وأمسية مريحة حيث يمكنك أن تسترخي قليلاً. من الواضح أنك نسيت كيف يمكنك أن تمرحي، لكن لحسن الحظ أنا أعرف كيف سأعالج ذلك.

ابتسم كأن كلماته بريئة بشكل لا يصدق، لكنها رأت لمعان عينيه. تابع يقول: «سأمر لاصطحابك في ما بعد، ولا تزعجي نفسك بارتداء ثياب أنيقة، فهذا المكان شبه عادي».

وما إن رآها تفتح فمها كي تعترض، تابع كلامه قائلاً: «وقبل أن تعترضي ثانية، أنا لن أتوانى عن استعمال القوة لأصل إلى ما أريده. هل حقاً تريدين أن تزعجي التوأمين فتدعيهما تريان أمهما تُحمل وهي تصرخ وترفس؟».

- هذا ابتزاز!

- صحيح مئة في المئة، وهو مفيد في بعض الأوقات.

حدّقت به غاضبة، وقد لامست أواخر أشعة الشمس الغائبة شعرها الأحمر، وحولته إلى نار مشتعلة. قالت من بين أسنانها المطبقة: «أنت جدير بالازدراء».

- كما تقول الأغنية: «حبيبتي، لم تري شيئاً بعد».

ابتسم لها وهو لا يشعر بأي ارتباك أو خجل، واستدار ليسير بخطى واسعة عبر الممر إلى خارج البوابة، من دون أن يلتفت ولو بنظرة إلى الوراء.

وقفت كاي لبضع لحظات في هدوء ذلك المساء. باستثناء نباح كلب على مسافة ما، أصوات أطفال ينادون بعضهم البعض، لم تسمع أي شيء آخر. يبدو أنه أوقف سيارته في مكان بعيد، لأنها لم تسمع صوت محرك ينطلق.

سارت إلى نهاية الممر، واتكأت على البوابة، ثم نظرت إلى الشارع المحاط بالأشجار. لقد أحبت هذا الشارع ما إن رأته، بدا مليئاً بالفوضى وبخليط من المنازل، بعضها صغير والبعض الآخر كبير. بيوت متباعدة ومتقاربة..

شعرت بألم في قلبها، تماماً كما شعرت عندما أتت للمرة الأولى إلى هنا. يومها أدركت على الفور أن ذلك المنزل الصغير هو لها. بدا المنزل متسماً

www.liilas.com

بالهدوء، وكذلك الشارع. وهذا أمر نادر في هذا العصر الحديث. والآن تشتت هذا الهدوء! تجهم وجهها ما إن لاح في مخيلتها ذلك الوجه الوسيم القاسي مع العينين الباردتين كضوء القمر على سطح البحر.

لا يحق له أن يأتي إلى هنا... لا يحق له مطلقاً... لكن يبدو أن ميتشل غراي لا يحسب أي حساب للحق إذا لم يتناسب مع ما يرغب به أو يريده.

تحركت بانزعاج ما إن تسارعت دقات قلبها من تلك الفكرة.

لماذا ذهبت إلى مكتبه في ذلك اليوم؟ لمَ لم يقم بيتر أو طوم بتسليم تلك الوثيقة اللعينة؟ فهي لا تريد ما يحدث معها، ولا تريد أي شيء منه. قال إنهما فريدان من نوعهما، لكن هذا غير صحيح. هو حر طليق كالعصفور أما هي فلديها طفلتان غاليتان عليها التفكير بهما؛ فجورجيا وإميلي تأتيان دائماً في أولوية اهتماماتها.

أصبح الغسق كثيفاً، وراحت العصافير التي تعيش في الأشجار المطلة على الطريق تزقزق بحدة. وقفت للحظة، محاولة أن تستأثر بالشعور بالأمان والرضى اللذين تشعر بهما عادة في مثل هذه الأجواء، لكنها لم تشعر أنها بحال أفضل.

تنهدت بتوتر، واستدارت متجهة نحو المنزل. نظرت إلى ساعتها وهي تسير، إنها الساعة الخامسة! بعد مرور ثلاث ساعات سيكون هنا ثانية، متوقعاً منها أن تخرج برفقته. وعلى الرغم منها، تسارعت دقات قلبها. حسناً! ستذهب معه. لكنها ستعمل على إيضاح ما قالته له بصورة أفضل مما فعلت. فهي أم، ولديها ارتباطات، وليست من السيدات المتحررات المتحضرات اللواتي يعجب بهنَّ الرجال أمثاله، وهي لا تريد أن تمرح، كما قال. هي تريد ... آه! هي لا تعرف ما الذي تريده! اعترفت بذلك بنزق، وهي تفتح الباب الأمامي، لكن بالطبع.. ما لا تريده هو ميتشل غراي.

* * *

بدت أفكار ميتشل شبيهة تماماً بأفكارها ما إن جلس في المقعد الخلفي في سيارته. حدّق بالمناظر التي تمر أمامه من النافذة، بينما كانت السيارة الكبيرة تلتهم الطرقات. بحق السماء! لمَ تابع ملاحقتها بعد أن أخبرته الأم أن لدى كاي طفلتين؟ ليس هذا ما تصورَه على الإطلاق! منذ متى كان لديه أي اتصال

مع الصغار؟ مطلقاً... لم يحدث ذلك. كان عليه المغادرة قبل أن تعود. لكن بطريقة ما، لم يكن قادراً على القيام بذلك. لكن هذا جنون... لا بد أنه مجنون. تباً! لقد أوضحت له بكل طريقة ممكنة أنها لا تريد أية علاقة معه.

تراجع إلى الوراء في مقعده، مدَّ ساقيه وأغمض عينيه. أي اخفاق تام لهذا اليوم! لقد أجل موعده مع جنيفر، وأخّر موعد زيارته إلى حوض السفن في سوث أمبتون، وهذا سيجعل ما تبقى من الأسبوع مليئاً بالعمل والتوتر. ومن أجل ماذا؟ من أجل نزوة صغيرة مع صاحبة الشعر الأحمر، التي لم تكن مهتمة أبداً... وفوق ذلك، لديها طفلتان وأم عليها إعالتهنَّ!

لكن، هناك شيء ما بشأنها...! تحرك في مقعده، وفتح عينيه ثانية. لا يستطيع أن يحدد ما هو ذلك الشيء. لكن... بدون أدنى شك، هناك شيء ما فيها يؤثر فيه بطريقة لم يشعر بها منذ وقت طويل... وطويل جداً.

هزَّ رأسه، ومدَّ يده ليمسك بحقيبته الصغيرة. أضاء النور الداخلي في السيارة وسحب كمية من الأوراق التي تحتاج منه إلى تركيز انتباهه بالكامل. سيراها الليلة، ويضع حداً لهذا الأمر. لقد اتخذ قراره؛ لديه دفتر كامل مليء بالأرقام الهاتفية لنساء يسعدهنَّ جداً قضاء السهرة معه؛ كاي شيروود مجرد تعقيد في حياته يستطيع العيش بدونه. في هذا الوقت من الأسبوع القادم لن يتمكن من تذكر شكلها... لكنه كان يعلم أنه يكذب على نفسه.

٤ - من أجل ابنتيها

- لست ذاهبة مع ميتش إلى العشاء بهذه الثياب!

نظرت كاي إلى أمها، وتنهدت. لم تتحدث لينورا عن زيارة ميتشل منذ أن غادر، لكن صمتها يفصح عن الكثير. هذا بدون ذكر حديثها المتحمس مع التوأمين عن «الصديق اللطيف لأمهما». أما الآن... قالت كاي ببرودة: «أنا في السادسة والعشرين من عمري أمي، ولست في السادسة، وهذا يعني أنني قادرة على اختيار ما سأرتديه، أليس كذلك؟».

زفرت لينورا بصوت عال، وهي تحدّق بابنتها التي بدّلت ملابسها بعد أن وضعت التوأمين في سريريهما، ودخلت لتوها إلى غرفة الجلوس. البنطلون الجينز والكنزة ذات الأكمام الطويلة باللون البنفسجي الباهت لم ينالا رضى المرأة المتقدمة في العمر.

قالت كاي تذكرها: «هو من قال: «ثياباً عادية». أتذكرين؟ ربما سنتناول العشاء في مكان قريب يقدم الوجبات السريعة. هذا كل ما أعرفه».

- لا يمكن لميتش أن يأخذ رفيقته إلى أماكن كهذه.

- وكيف تعرفين ذلك بحق السماء؟

ها قد بدأت تفقد صبرها! فكرت كاي بعصبية، وتابعت: «قابلت الرجل لعدة دقائق فقط، هذا كل شيء. قد يكون قاتلاً متخفياً أو قاتلاً للمطلقات أو ما شابه...».

قاطعتها لينورا وهي تزفر بصوت عالٍ للمرة الثانية: «ها أنت الآن تتصرفين بسخافة».

- أمي! أنا مضطرة إلى تحطيم أوهامك حول الفارس الأبيض الذي يأتي على فرس، والذي قررت أنه ميتشل غراي. الرجل مهتم بأمر واحد... واحد

فقط، وبما أنه لن يحصل عليه مني، فستكون أمسية قصيرة وغير سارة. ولنوقف الحديث عنه، اتفقنا؟

- آه! كاي.

سارت لينورا عبر الغرفة، وأمسكت بيدي ابنتها. نظرت إلى وجهها المضطرب وقالت: «كل ما أريده هو أن تكوني سعيدة، وهذا كل شيء. لقد عانيت الكثير في السنوات الأخيرة، ورجل مثل ميتش غني... ناجح...».

قاطعتها كاي بسخرية: «وأعزب».

لم تكن لينورا لتسمح لسخرية ابنتها أن تمنعها عن الكلام، فتابعت: «نعم. وأعزب! رجل مثله يأتي مرة في العمر وفي يوم اكتمال البدر. اعطه فرصة، هذا كل ما أقوله. انظري كيف ستسير الأمور، واستمتعي قليلاً».

- ما الأمر؟ فجأة أصبح كل شخص يريدني أن أستمتع؟

ابتسمت كاي لأمها، لكن وجهها بدا حزيناً وهي تتابع: «اسمعي! ميتشل غراي هو كسفينة تمر في الليل، وفي نهاية هذه الأمسية سنتنهي من هذا كله، أؤكد لك ذلك. فليس لدينا أي شيء مشترك، منذ البداية. إنه غني، ناجح وأعزب، كما قلت للتو؛ بينما نحن نراقب كل فلس يصل إلى أيدينا. وهذا بالتحديد ليس النوع الذي يطلبه رجل في وضع ميتشل. بإمكانه أن يختار أية امرأة».

علقت لينورا بسرعة: «لكنه طلب منك أنت الخروج معه الليلة».

- ربما! لكن ليس الأمر كما تفكرين، بل ليبرهن سلطته بعد ما حدث أثناء الغداء.

- آه! لكنه طلب منك مرافقته إلى الغداء، أيضاً، أليس كذلك؟ وهذا يعني أنه مهتم بك بدون شك.

- لا تتوقعي الكثير، أمي. هذا كل ما أقوله، كما أنني لا أريد أي رجل. إنني سعيدة وراضية بحياتي كما هي الآن.

تركت لينورا يدي كاي من دون أن تضيف شيئاً، إلاّ أنها تنهدت بطريقة أفصحت عن كل ما تريد قوله.

- سأترك هاتفي النقال مفتوحاً، وهكذا يمكنك الاتصال بي إن احتجتني.

قالت كاي ذلك ونظرت إلى الساعة الموضوعة على رف المدفأة، والتي كانت تشير إلى الساعة الثامنة إلا خمس دقائق. ثم تابعت: «إن بدأت إميلي بالسعال ثانية، فدواءها في الخزانة بجانب السرير. إذا طلبت الفتاتان شراباً، اعطهما الماء فقط فشرب العصير ممنوع. لا أريد أن يحيط السكر بأسنانهما طوال الليل».

ردّت لينورا بتوتر: «حباً بالله! اذهبي واستمتعي بوقتك، كاي. إنني قادرة على الاهتمام بالطفلتين لأمسية واحدة أثناء غيابك، فأنا أفعل ذلك عادة إذا كان لديك طلبيات تسليم متأخرة. مع أنك أم للتوأمين، من المفترض أن تكون لديك حياتك الخاصة كما تعلمين. ومهما كانتا غاليتين، أنت ما زلت شابة، وأمامك حياة بأكملها. فتوقفي عن التصرف وكأنك في مثل عمري».

- أمي!

بدت كاي مصدومة حقاً، وقد شعرت بالألم أيضاً، وظهر هذا في صوتها. على الفور اقتربت المرأة المسنّة، ووضعت ذراعيها حول المرأة الشابة وضمتها إليها للحظة وهي تقول: «لم أقصد أن أكون قاسية في كلامي، عزيزتي، حقاً. إنني أفكر بك فقط. فأنت أم وابنة رائعة، لكن حان الوقت لتضعي الماضي وراءك».

قالت كاي بحزم: «لقد فعلت».

- أتمنى لو أستطيع تصديقك.

قالت لينورا ذلك بتأثر. لكن عندما سمعت طرقة على الباب معلنة وصول ميتشل، قالت بحماس: «ها قد أتى!».

شعرت كاي بالمرح لرؤية الخوف على وجه أمها وهي تتكلم، وهذا ما يناسب تماماً الاحساس بالاضطراب التي تشعر به هي نفسها. تنفست بعمق قبل أن تسير عبر الغرفة وتفتح الباب. سيطر عليها التوتر ما إن نظرت إلى الوجه الغامض الذي كان يحدق بها. كم يبدو جذاباً! لقد بدل بذلة العمل بسترة من الجلد الأسود وبنطلون جينز أسود، ما ضاعف من مظهره الجذاب. لاحظت كاي أنه حلق ذقنه أيضاً، فالظلال التي كانت واضحة عند الساعة الخامسة اختفت. لسبب ما، فإن فكرة حلقه لذقنه قبل قدومه لرؤيتها بدت حميمة بشكل

جعلها ترتجف، وهذا يبرهن فعلاً أن قربها منه أمر خطر. هذا ما حذّرت نفسها منه بصمت.

- مرحباً!

قدم لها باقة كبيرة من الورود الخوخية اللون، كان يحملها وراء ظهره، وتابع: «هذه الزهور لأمك».

- آه! أحقاً؟

شعرت كاي بخيبة الأمل، وظهر ذلك على وجهها. ضحك ميتشل بنعومة، ولمعت عيناه الفضيتان بمرح ساخر. بعد ذلك تورد خداها من الخجل ما إن أخرج من جيبه علبة صغيرة شفافة تحتوي على زهرة سحلبية بيضاء ناعمة وجميلة جداً. تمتم وهو يضع العلبة بين يديها: «وهذه لك».

قالت بارتباك: «شكراً لك».

هي لا تريده أن يشتري لها أي شيء!

- ادخل للحظة بينما أحضر معطفي.

تركت أمها تتحدث بشأن الورود، بينما صعدت إلى الطابق العلوي لإحضار سترتها. أخذت لحظة من الوقت لتنظر إلى شكلها في المرآة، وفكرت بينما كانت تنزل الدرج ثانية، أنه يضع أجمل عطر شمته... شيء يشبه عطر زهرة ماغنوليا، لكنه أكثر جمالاً، ورائحته ما زالت تحت أنفها.

كانت أمها وميتشل يضحكان لسبب ما، وبدا الجو بينهما مرتاحاً وودوداً. للحظة شعرت كاي أنها مستبعدة عنهما، وكأنه عمد إلى شق طريقه إلى حياتها وإلى منزلها، وهذا لم يعجبها. هذا المكان هو ملاذها، قلعتها الصغيرة، لكن يبدو أن ميتشل قادر على مد جسر متحرك ليدخل إليها.

ابتسمت ابتسامة هشة ما إن استدارا لينظرا إليها. جاء صوتها متوتراً حين قالت: «هل نذهب؟».

- بالطبع!

لاحظت أنه رفع حاجبيه إلى أمها معلقاً بصمت على التوتر الواضح في صوتها، لكنها تظاهرت أنها لم تَرَ شيئاً. مهما يكن، سجل ذهنها ملاحظة لتقولها لأمها في ما بعد؛ كانت محقة عندما ارتدت بنطلون الجينز. فميتشل

www.hasanalmaliya.com

يرتدي الجينز أيضاً. اعترفت أن بنطلونه لا يمكن أن يكون إلاّ من محلات غوتشي أو أرماني، أما هي فقد اشترته من أحد المخازن أثناء التصفية. لكن ليس هذا هو المهم...

- إلى أين أنتما ذاهبان؟

استدار الثلاثة معاً ليروا الفتاتين الصغيرتين وهما ترتديان بيجامتين على شكل الدب تيدي، وهما جالستان على الدرج، وكل واحدة منهما تمص إبهامها وتحمل لعبة قماش تحت ذراعها.

أصبح صوت كاي أكثر رقة بمئات المرات وهي تقول: «مرحباً... ما الذي تفعلانه هنا؟ كانا عليكما أن تناما منذ أكثر من نصف ساعة».

- سأهتم بالفتاتين بنفسي، اذهبي أنت.

بدا بوضوح أن لينورا خشيت أن تنهار الخطة التي وضعها ميتشل بسبب هذا الانحراف المفاجيء.

مهما يكن، سار ميتشل باتجاه الدرج، وابتسم ابتسامة عريضة للفتاتين، وقال لهما: «إنني أصطحب أمكما معي إلى مكان ما لنأكل. هل هذا يناسبكما؟».

تبادلت الفتاتان النظرات، ثم استدارتا إليه، وهزتا رأسيهما. تطوعت جورجيا بالقول: «كنا نعلم أنك قادم، سمعنا أمي وجدتي تتحدثان عنك».

- حسناً! والآن بعد أن قلتما مرحباً، أريد منكما أن تعودا مباشرة إلى السرير.

أسرعت لينورا بمقاطعة جورجيا، ومرت أمام ميتشل وهي تضيف: «اذهبا الآن، وسأتبعكما لأضع الغطاء لكما».

نظرت كاي إلى ميتشل ولاحظت أنه لوى شفتيه. من الواضح أنه تكهن بنوع الكلام الذي قيل، والذي لم يكن إطراء له بشكل خاص. لكن، كيف يمكن لها أن تعرف أن الفتاتين تسمعان؟ هاتان الفتاتان لديهما آذان كأذني الخلد.

قالت لهما مودعة ما إن فتح ميتشل الباب: «عمتما مساءً، حبيبتاي».

لكن أمها حرصت على إبعاد الفتاتين قبل أن تقولا شيئاً مما سمعتاه.

لم يحاول ميتشل أن يخفي المرح الذي يشعر به وهما يسيران عبر الممر. قال بصوته العميق الهادىء: «هل كان الأمر بذلك السوء؟».

قالت كاي مراوغة بحذر مع أنها علمت بالتحديد عما يسأل: «عفواً؟ ماذا تقصد؟».

نظر إليها وهو يفتح بوابة الحديقة ويقف جانباً لتمر أمامه، وقال بصوت متكاسل: «إني متأكد أن أمك امرأة رائعة، لكنني أشك أن يكون الدهاء صفة من صفاتها. أقدام الطفلتين المسكينتين لم تكد تلمس الأرض، وهي تدفعهما بسرعة للصعود».

- في الواقع، إنني لا أعرف ما الذي تقصده.

قالت ذلك بتكلف، وشعرت بصوتها يضعف قليلاً وهي تحدق بسيارة رياضية رائعة تقف أمام منزلها. لم تسأله إن كانت هذه سيارته، إذ لا يمكن أن تكون لسواه. شعرت بالامتنان لأنها قررت أن ترتدي بنطلون جينز وليس تنورة وهي تنظر إلى السيارة المنخفضة كأنها مسخ غريب.

فتح ميتشل الباب المواجه لباب السائق، فجلست كاي على المقعد الجلدي بلباقة، وهي تشعر كأنها تجلس على الأرض. لكن ما إن انضم ميتشل إليها بعد لحظة حتى شعرت بكل عصب في جسمها ينبض من الألم أو التوتر.

- ضعي حزام الأمان.

- ماذا؟

نظرت إليه، وتمنت لو أنها لم تفعل.. كان قريباً منها، قريباً جداً، وشعرت أنها ترتجف من رأسها حتى أخمص قدميها.

- حزام الأمان!

مدَّ يده أمامها، فشعرت برائحة عطره الجذاب الذي ضاعف ذلك الشعور بالضعف الذي سيطر عليها، ما جعل قلبها يقفز بقوة.

- تفضلي!

ما إن أمسكت بالحزام وأقفلته حتى ثبّت بدوره الحزام على مقعده قبل أن يشغل المحرك الذي زأر وكأن له حياة خاصة به. شعرت أن عليها أن تقول شيئاً لتبدد الجو المشحون بالطاقة بينهما: «سيارة جميلة».

www.hanateward.com

- شكراً.

قفزت السيارة بقوة وهي تصدر صوتاً هادراً، فأرغمت كاي نفسها على خنق صرخة الخوف التي كادت تصدر عنها. أخذت نفساً عميقاً قبل أن تقول: «ما . . ما هو نوعها؟».

أجاب بنعومة: «إنها من نوع أستون مارتن».

كان عليها أن تعرف ذلك بسهولة: «آه! أنا لا أعرف الكثير عن السيارات».

- ما من سبب يدعوك إلى ذلك.

لكنها تعلم أن سيارة كهذه هي أنّة لديها جاذبية خاصة بها. ولا شك أن لها قيمة خاصة بين يدي شخص مثل ميتشل. علمت أيضاً من نظرة خاطفة نحوه أنه قريب جداً منها. عليها فقط أن تدير رأسها، وتتحرك قليلاً، لتلمس خده القاسي.

قالت بضعف: «لا بد أنها غالية الثمن».

- صحيح.

نظر إليها نظرة ثاقبة للحظة قبل أن تعود نظراته إلى الزجاج الأمامي للسيارة. سألها بفظاظة: «ألعاب للصبيان. أليس هذا ما تفكرين به؟».

ألعاب للصبيان؟ لا شيء بالمطلق يدعوها لتفكر بميتشل غراي على أنه مجرد صبي! حاولت أن تتجاهل الانجذاب القوي الذي تشعر به نحوه، وقالت بصدق: «لا، على الإطلاق. لماذا؟ هل تعتبرها أنت كذلك؟».

ابتسم وقال: «طريقة ذكية جداً لتجنب الإجابة، سيدة شيروود».

رمشت كاي بعينيها. هل كانت تتصرف بطريقة ذكية؟ لم تكن تعلم بذلك؟ تابع بهدوء: «في الواقع قد تكونين على صواب، فأنا أحب السيارات السريعة، وأشعر بالسعادة القصوى عندما أقود بسرعة، كما أشارك أحياناً ببعض السباقات الخاصة. يجب أن تأتي معي لتشاهديها في إحدى المرات».

لم تستطع كاي أن تفكر بأي شيء تكرهه أكثر من ذلك. قالت ببرودة: «اللعب مع الموت؟ لا أعتقد أنني أهتم لمراقبة ذلك. أعتقد أن هبة الحياة مهمة جداً، ولا يمكن المراهنة عليها».

علّق بملل وجفاء: «المهارة لها دور صغير في مثل هذه الأمور».

رفعت كتفيها وقالت: «ربما، لكن إذا كانت الحياة غالية وفيها ما يكفي من السعادة، فالمخاطرة بها بهذا الأسلوب الفاشل ليست خياراً صحيحاً».

لم تتغير ملامح وجهه، لكنها علمت أن ما قالته لم يعجبه حين قال: «هناك ملايين من الناس لا يوافقون على هذا الاتهام الكبير».

قالت باختصار: «هذا حق لهم، لكنه لا يجعلني أبدل رأيي».

- هل تقولين لي إن مشاركتي في رياضة أحببتها منذ سنوات عديدة، تعود إلى رغبة ما في الموت؟

- أنا لم أقل ذلك.

نظرت إلى الجهة الجانبية من وجهه المتجهم. . . آه. . . ! لا بد أنها مسّت وتراً حساساً، مع ذلك تابعت: «لكنني أعتقد حقاً أنك إن كنت تشعر بالرضى والسعادة في حياتك اليومية فلن تشعر بالحاجة للقيام بمثل هذه المخاطر غير الضرورية».

- وفّري عليّ فلسفتك الساذجة.

قالت بحرارة: «اعذرني. لكن، أنت من بدأ بهذا».

ساد الصمت لعدة دقائق بينما كانت السيارة تقطع المسافات بسرعة تفوق السرعة المسموح بها.

سألها فجأة بصوت خشن: «لماذا تفعلين ذلك؟».

- أفعل . . ماذا؟

لم تكن تملك أية فكرة عما يتكلم عنه.

قال بتوتر: «تجادلين، ترفضين، وتتعمدين الشجار. لم أعرف في حياتي امرأة لديها كل هذه الآراء القاطعة».

كبحت كاي نفسها كي لا تجيبه بحدة بالكلمات التي ظهرت في فكرها. عمدت إلى خفض صوتها وهي تقول بهدوء: «إذا كنت تريد رفيقة للعشاء تقول لك تماماً ما تريد أن تسمعه، وتوافقك الرأي في كل ما تقوله، امرأة تعتقد أنك نصف إله ولا تقوم بأي عمل خاطىء، فلقد اخترت المرأة الخاطئة. فأنا حقاً أملك آراء وأفكاراً خاصة بي لأنني استعمل فكري الذي أعطاني إياه الله. إذا

كنت تتوقع أن أعتذر عن ذلك، أو أن أتكلم بحذر خشية أن أزعج شيئاً من مبادئك، فعليك تقبل الأمر. في الماضي، مرت مرحلة فقدت فيها الحياة رونقها بالنسبة لي، وعلمت أن عليّ أن أخاطر. أمّا الآن فالأمر مختلف، وأنا أجد الحياة غالية جداً».

قال بجدية: «أنت محظوظة!».

- ربما! لكن الحظ هو الجهة المقابلة لسوء الحظ. وإذا أدرت القطعة المعدنية بسرعة كافية، فسترى الوجهين كأنهما واحد. أعتقد أشخاص كثيرون أنني في كارثة عندما تركني بيري وأنا حامل. كأن ذلك هو المسمار الأخير في نعشي. لكنه كان الأمر الوحيد المبارك في حياتي، فقد أعطاني القوة لأقاتل من أجل المستقبل.

سألها بنعومة، وهو ينظر بسرعة إلى وجهها المتوتر: «بيري كان زوجك؟».

- نعم.

أدركت فجأة ما الذي قالته، وكم من الأشياء أفصحت عنها... وإلى ميتشل غراي من بين كل الناس.

- لا تعودي إلى التعامل معي ببرودة ثانية، كاي.

رمته بنظرة حادة ما إن عادت نظراته إلى الزجاج الأمامي. قالت بصوت مرتجف: «أنا... أنا لست كذلك».

شعرت بخيبة أمل من السهولة التي يتمكن فيها من قراءة أفكارها.

سألها بهدوء: «إذاً، لماذا رحل؟».

شعر بها تتصلب في مقعدها، لكن صوتها جاء ثابتاً عندما قالت: «رميته خارجاً، في الواقع. كان اسمها ترايسي، لكن زواجنا كان فاشلاً قبل وقت طويل من ذلك. هي... هي كانت نقطة النهاية».

- هل ما زلت ترينه؟ وما عن التوأمين؟

- لم يرهما أبداً، كما أنني لم أكن على اتصال به حتى قبل الطلاق.

وعندما سمعت تأوهاً منه قالت بقسوة: «يعجبني الأمر هكذا، صدقني. اسمع، هل نستطيع تغيير الموضوع؟».

- الكلاسيكي، أم الروك أم الجاز؟

- ماذا؟

عمل جاهداً كي لا يظهر غضبه من ذلك الزوج المجهول الذي تخلى عنها نهائياً، وسألها بصبر: «أي نوع من الموسيقى تريدين سماعه؟».

ساد الصمت للحظة، وشعر بصوتها يرتجف قليلاً عندما قالت: «جاز، من فضلك».

ما إن سمع صوت الموسيقى حتى ركّز ميتشل اهتمامه على القيادة، وجلست كاي صامتة، والأفكار تدور في رأسها. لقد بدت مجنونة لأنها أخبرته بهذا كله. أتبت نفسها بمرارة. كان عليها أن تحافظ على النقاش هادئاً وعادياً، لا أن تُخرج كل ما في صدرها! بماذا تراه يفكر الآن؟ نظرت إليه من تحت رموشها، لكن وجهه المنحوت كالرخام لم يبح بأي شيء. شعرت بغصة في حلقها، ولم تستطع أن تفكر بأي شيء لتقوله، لكن الجو داخل السيارة بدا مثقلاً بالألم.

مرّت عشر دقائق أخرى قبل أن يتكلم ميتشل فيقول: «تقريباً... لقد وصلنا».

حاولت أن تجعل صوتها عادياً وهي تسأل: «إلى أين وصلنا؟».

- كما قلت لك، فكرت أن نأكل بهدوء.

جلست كاي مستقيمة. كان هناك شيء ما في صوته... سألت مرة ثانية بنبرة حازمة: «إلى أين وصلنا؟».

قال ببساطة: «إلى منزلي».

- منزلك؟!

قال ساخراً: «لا تقلقي، لن تكوني بمفردك مع الذئب الشرير الكبير. لديّ مدبر منزل فريد من نوعه. يستطيع تأمين وجبة كاملة في رمشة عين».

حدّقت كاي به، وسألته أخيراً: «وهل تقيم في المنزل؟».

- بالطبع!

كور فمه بطريقة بدأت تعرفها جيداً، وتابع: «لقد دعوتك إلى العشاء، كاي، لا إلى النوم والفطور. أخبرتك أنني لا أعمل بهذه الطريقة».

لم تكن ساذجة ليفوتها أن الرجال يقولون شيئاً ويقصدون شيئاً آخر، لقد تزوجت أحدهم يوماً. ألم تفعل ذلك؟ لكن فات الأوان الآن. عليها أن تكون

رفيقة لطيفة الليلة، كما أنها لا تعتقد أن ميتشل غراي هو من الرجال الذين يفرضون أنفسهم على النساء. فكرت بحزن أنه ليس مضطراً إلى القيام بذلك، لسبب واحد بسيط، وهو أنهنَّ سيقفنَ في صف طويل للحصول عليه.

مرّت دقيقة أو أكثر قبل أن يبتعدا عن الطريق الرئيسية التي كانا يسيران عليها. دخلا في شارع أقل إضاءة، حيث المنازل الكبيرة محاطة بحدائق مميزة كما استطاعت كاي أن ترى. في نهاية ذلك الشارع، تماماً أوقف ميتشل سيارته أمام بوابة كبيرة من الحديد في جدار حجري مرتفع. فتح البوابة من داخل السيارة بواسطة آلة تحكم عن بعد، ثم أغلقها ثانية ما إن مرت السيارة. كانت الحدائق الجميلة مضاءة بواسطة أنوار صغيرة موزعة هنا وهناك بين الأشجار.

بدا الممر الموصل إلى المنزل طويلاً. وما إن لمحت كاي المنزل بعد مرور لحظات حتى أدركت أنه محاط بغابة صغيرة. ابتلعت غصة كبيرة قبل أن تقول بحذر: «يا لهذا المكان الرائع! هل تعيش هنا منذ فترة طويلة؟».

- منذ ثماني سنوات.

توقف على الممر المعبّد أمام المنزل، واستدار لمواجهتها وهو يضع ذراعه فوق ظهر مقعدها. تابع قائلاً: «اشتريت المنزل من وكيل المنطقة، كان مهدماً ومهجوراً من الداخل، أما الحدائق فكانت أكثر كثافة من الأدغال. بنته عائلة من الأرستقراطيين، لكن الأجيال التالية لم تعد تملك المال. ولقد كلّفني كل فلس وفرته مع رهن كبير أيضاً، لكنني غامرت لأن الأعمال كانت تسير بشكل جيد. وهكذا، وخلال اثني عشر شهراً أصبحت أعيش فيه براحة وأمان».

لاحظت كاي أن حضوره وجاذبيته يتضاعفان داخل هذه السيارة بسبب خصره النحيل وجسده الرشيق مع كتفيه العريضتين وقامته الطويلة. هزّت رأسها، وقالت بأنفاس مقطوعة: «من الواضح أنه يستحق ذلك».

ابتسم ميتشل وقال بهدوء: «كل ما كان بحاجة إليه، الخيال، والابداع، والكثير من الطاقة، وقليل من العناية والاهتمام. قمت ببعض الأعمال بنفسي، كما كان هناك جيش من النجارين والبنّائين والسّمكريين والبستانيين الذين انجزوا عملاً رائعاً. في البداية قررت العمل في توسيع المطبخ، ثم إضافة غرف نوم جديدة وغرف حمام، وهكذا تابعنا حتى النهاية. تعالي وانظري

بنفسك».

على الفور وقفت كاي عند المدخل وهي متفاجئة بالصمت الذي يحيط بها. لا بد أنهما في وسط منطقة ريفية لانعدام ضجّة المواصلات. كانا يقفان أمام سلّم حجري دائري، يقود إلى باحة مواجهة للباب الأمامي. فتح الباب رجل طويل ذو مظهر مميز، كان شعره الأبيض يلمع من خلال الأضواء المتلألئة من ورائه.

- سيد غراي! اعتقدت أنني سمعت صوت السيارة.

لم يجب ميتشل على ما قاله الرجل، لكنه قال: «هنري، هذه هي السيدة الشابة التي أخبرتك عنك، كاي شيروود. كاي، أعرفك على مدبر المنزل هنري».

مدبر منزله رجل! لسبب ما، توقعت كاي أن ترى امرأة ممتلئة الجسم، نشيطة وصغيرة الحجم. لكن الرجل الذي يقف أمامها صورة مصغرة عن رئيس خدم للطبقة الراقية. إلاّ أن تلك الصورة تبددت عندما قال هنري، وقد حمل صوته نوعاً من الفرح: «إنني سعيد جداً بمقابلتك، سيدة شيروود. انتظرت لوقت طويل كي أرى امرأة تضع السيد غراي في مكانه، لكنني أعتقد أنك أنجزت ذلك بصورة رائعة بعد ظهر هذا اليوم، إذا كان بإمكاني قول ذلك».

- لا! لا يمكنك قول ذلك.

على رغم قساوة الكلمات، بدا صوت ميتشل مرحاً عندما قال معلقاً: «لا تحتاج السيدة شيروود إلى أي تشجيع منك، صدقني».

تمنت كاي ألاّ تبدو متفاجئة كي لا تظهر حقيقة شعورها. أرادت أن تنظر إلى ميتشل الواقف بجانبها لكنها قاومت تلك الرغبة، وبدلاً من القيام بذلك، مدت يدها إلى مدبر المنزل الذي بدا أنه صديق أيضاً، وقالت: «شكراً على رأيك بي، هنري. سأحاول أن أبقى كذلك».

- لا شك عندي مطلقاً أنك ستفعلين، سيدة شيروود.

لمعت عيناه الزرقاوان وهو ينظر إليها، فحدّقت كاي بالوجه الوسيم. هنري لم يكن عجوزاً كما اعتقدته عندما رأت الشعر الأبيض في رأسه، فوجهه يدل على أنه في الخمسين من عمره أو أكثر قليلاً ... ربما في الخامسة

والخمسين، لكنه ليس أكبر من ذلك. فمصافحته ثابتة وقوية. قررت أنها أعجبت بمدبر منزل ميتشل!

- سآخذ السيدة شيروود في جولة في أنحاء المنزل أولاً، هنري، وبعد ذلك سنشرب شراباً ما في غرفة الجلوس.

بدا بوضوح أن ميتشل قرر أن الحديث قد طال بما فيه الكفاية، فأمسك بمرفقها ليدفعها لتسير إلى داخل المنزل.

وجدت كاي نفسها في مدخل ذي سقف مرتفع. ظهرت أناقة المنزل واضحة من خلال المرايا الموزعة هنا وهناك، والنوافذ الزجاجية. لاحظت كاي لمعان الخشب واتساع الأمكنة في غرف النوم الثمانية كلها. أما غرفة الجلوس الرائعة فهي ذات ميزة خاصة بألوانها وبالاختيار الذكي للأقمشة وللستائر الهندية المعلقة. أما بالنسبة لغرفة الجلوس الخاصة بالعائلة، غرفة الفطور، وقاعة الطعام، والمطبخ الكبير فبدت كلها حديثة وأنيقة.

احتوت غرف النوم كلها على غرف حمام خاصة بها، وقد طليت كل واحدة منها بلون مختلف عن الأخرى، لكن غرفة النوم الرئيسية المطلية بلون القشدة هي التي جعلت كاي تشعر بعدم الارتياح بشكل كبير. بدت الغرفة مترفة بشكل واضح، فالسرير المائي هو الأكبر الذي رأته يوماً، وقد بدا بوضوح أنه صنع خصيصاً لهذه الغرفة. كذلك بدت غرفة الحمام المذهلة بحجمها، من مغطس الاستحمام إلى بركة المعالجة بالماء، والقسم المخصص للصونا وحمام البخار... إنه تجربة كاملة بحد ذاته. وراح خداها يلتهبان من الحرارة في الوقت الذي كان يرافقها ليعودا إلى غرفة الجلوس ثانية. أما ما جعلها تشعر بالسوء، بطريقة ما، فهو تصرف ميتشل الحذر طوال الوقت، وصوته الهادىء الفرح وهو يسير برفقتها في أرجاء المنزل، بينما بدا موقفه بارداً أو حتى متشائماً. أما هي...

أجبرت كاي نفسها على التنفس بعمق وثبات في الوقت الذي كان فيه هنري يقدم الشراب. لكنها علمت من نظرته الطويلة إلى وجهها أن خديها ما زالا يحترقان، حتى قبل أن يقول بصوت منخفض: «سأخفض معدل الحرارة قليلاً في المنزل، سيد غراي. وسيكون العشاء جاهزاً في غضون عشرين دقيقة».

- حسناً، هنري!

تراجع ميتشل على كرسيه ليجلس بارتياح أكبر، فبدا مسترخياً ومتصالحاً مع كل ما حوله. بدا كأنه لا يشعر بأي ضغط ليتحدث معها. هذا ما فكرت به كاي وهي تبحث عن موضوع آمن لتتحدث فيه، وهكذا تبعد أفكارها عن هذا الرجل الجذاب أمامها. كان قد خلع سترته الجلدية، فظهرت تحتها قميصاً زرقاء اللون مفتوحة عند العنق. ظهر لون عينيه الزرقاوين الثاقبتين أكثر زرقة بسبب انعكاس لون القميص عليهما. بدا لها قاسياً، مكتئباً، ورجلاً بكل ما للكلمة من معنى.

- لم تقل إن هنري هو رجل.

ما إن سمعت ما قالته حتى أدركت كم يبدو كلامها سخيفاً، فأضافت بسرعة: «ما قصدت قوله، اعتقدت أن مدبرة المنزل لديك امرأة».

رفع حاجبيه ساخراً وقال: «في هذه الأيام، وفي عصر المساواة بين الجنسين؟ يا للعار، كاي!».

ابتسمت بتوتر كجواب للمرح الواضح في عينيه. لم تكن قادرة أبداً على الشعور بالراحة قربه. حاولت التحدث مرة ثانية فيما استمر ميتشل يتأملها بكسل من دون أن يتكلم.

- يبدو أنكما تعرفان بعضكما منذ وقت طويل.

وافقها بهدوء: «منذ عشر سنين. كان من أفضل الطهاة في لندن حينها، وكان يتقاضى ثروة صغيرة».

تجهم وجهها قليلاً وسألته: «إذاً، لماذا...؟».

توقفت عن الكلام بصورة مفاجئة، مدركة أنه قد يسيء فهم ما كانت ستقوله.

أتبى ميتشل عنها: «لماذا يعمل عندي؟».

من الواضح أنه لا يتخلى عن أي أمر يبدأ به، إذ تابع قائلاً: «إنها قصة طويلة».

قالت بإصرار، وقد شعرت فجأة بفضول كبير: «لدينا عشرون دقيقة».

تأملها بعينين ضيقتين، وقال بصوت حازم: «ليست قصتي لأخبرك بها».

- أنتما صديقان.

لم يكن ما قالته سؤالاً، بل تعبيراً بسيطاً، لكنه أجابها وكأن ما قالته كان سؤالاً: «نعم، نحن صديقان. هنري رجل شريف، وأنا لا أصادف كثيرين من أمثاله هذه الأيام».

نظرت إلى النوافذ الطويلة وإلى الستائر غير المتسدلة التي تحيط بها، وراء النوافذ رأت ساحة مضاءة، وقد بدت كحديقة. في وسطها قام مرتفع من الخشب تتدلى على جوانبه نباتات المغنوليا، كما رأت مقاعد حجرية ملتصقة بالأرض، وصخوراً كبيرة تحيط بها نباتات الوستارية والأزالية. بدا المكان كله محاطاً بأشجار الكرز، أما ما يكمل ذلك المشهد فهي مفروشات خاصة بالحديقة. فكرت كاي كم هو رائع إمضاء الوقت فيها في أيام الصيف...

تابع ميتشل نظرات عينيها وقال بنعومة: «أنا أتناول الفطور هناك عادة بدءً من أوائل أيار حتى أواخر تشرين الأول. في المرة القادمة ستأتين أثناء النهار. هناك مكان هادىء جداً قرب البحيرة، سيعجبك كثيراً. هناك بط في البحيرة أيضاً».

سألته متجاهلة عبارة المرة القادمة: «ألديك بحيرة؟».

قال بكسل: «بحيرة صغيرة. نحن عادة نشوي اللحم أو السمك هناك في الصيف، إنها منطقة مشمسة حقاً».

قالت بنعومة: «أنت حقاً رجل تملك كل شيء».

لم تعد كاي متأكدة من نفسها؛ هل هي حقاً منزعجة أم أنها تهدف لاصطياده؟

- أنت تستكرين الاستمتاع بثمار أعمالك أليس كذلك؟

- بالطبع لا!

كان عليها أن تعرف أن محاولتها ستفشل، وقالت مدافعة: «لكن بعض الناس يعملون بكد طوال حياتهم، ولا يجدون فلسين لجمعهما معاً».

- صحيح.

مدّ ساقيه الطويلتين، ليجلس بارتياح أكبر في مقعده، فشعرت بأعصابها تشتد كالأسلاك، وتابع قائلاً: «لكن ليس في قدرتي معالجة ذلك».

جعلها تشعر كأنها طفلة متمردة، بل أكثر من ذلك، لأن كلامه هو المنطق

بذاته. تابع محدثاً: «أستمتع بوجود مكان خاص بي ربما لأنني لم أحظَ بذلك وأنا طفل صغير. حتى الآن أنا دائماً على سفر إلى هنا وهناك، وأمضي الكثير من الليالي في الفنادق والمنتجعات. هذا المكان هو قلعتي وحصني».

قالت وهي تبتسم: «إنه حصن مترف جداً».

- أي شيء أقوم به... أحب أن أقوم به بطريقة جيدة، كاي.

أدركت بصورة واضحة أن لكلامه معنى مزدوجاً، لكن حتى لو صدقت صوته البريء فلمعان عينيه أخبرها ما الذي يفكر به. جاء صوتها عادياً وهي تقول: «صفة تستحق الإجلال».

وافقها بلطف: «أليس كذلك؟».

- إذاً، لم تبقَ في مكان واحد لوقت طويل وأنت طفل صغير؟

طرأ على شخصيته تحول ملحوظ. لم تتحرك فيه أية عضلة، لكن فجأة اختفت الروح المرتاحة السهلة وحلّ مكانها شخص قاس بعينين باردتين كالثلج. رد قائلاً: «كان والدي يعمل في الجيش».

- وأنت وأمك كنتما تسافران معه؟

أدركت أن عليها عدم متابعة ذلك الحديث، فالأعمى بإمكانه أن يرى ذلك، لكنها لم تستطع منع نفسها، فهي ذات طبع حاد وغير منطقي. ولأنها مصممة على عدم رؤيته ثانية، تولدت لديها رغبة في أن تعرف ما الذي جعل ميتشل غراي على هذه الصورة. هزّ رأسه ببطء، وقال بصوت يفتقد لأي إحساس أو حماس: «هذا يجعل الحياة صعبة بشكل عام. لم نبقَ لأكثر من سنتين في مكان واحد، لذلك لم يكن لنا الخيار لنضع لنا جذوراً؛ مدارس جديدة، أصدقاء جدد، منزل جديد، ومقاطعة جديدة».

رفع كتفيه قبل أن يكمل: «أنا وأختي لم تكن لدينا أية هوية خاصة، على ما أعتقد».

- أختك! ألديك أخت؟

لم يذكرها من قبل؛ لذا اعتقدت أنه طفل وحيد.

- كانت لدي أخت...

وقف، وأخذ كوبها الفارغ قبل أن يسير عبر الغرفة ويتابع: «توفيت في

السيارة مع والدي».

- آه! إني آسفة جداً، ميتشل.

لقد فقد أفراد عائلته كلهم في حادثة واحدة عندما كان صغيراً! لم تستطع كاي أن تفكر بشيء أسوأ من ذلك. عكس صوتها رعبها الكبير وتعاطفها معه، وكذلك إحساسها بالاحراج لأنها أجبرته على هذا الحديث عندما قالت: «ما كان عليَّ أن أسأل».

- لا تكوني سخيفة! حدث ذلك منذ زمن بعيد، كاي.

جاء صوته قوياً وقد عمد إلى السيطرة على نفسه، لكن نبرته أظهرت الكثير مما يشعر به فعلاً، وربما أكثر مما يرغب به. مع أن الحادث حصل منذ زمن طويل لكنه لم يتمكن من تخطي ذلك، كما يبدو بوضوح. كان يدير ظهره نحوها عندما تكلم، فحدّقت كاي بقامته الطويلة. أدهشها شعورها بالحاجة الملحّة لتخفف عنه... إنه يشعر بالألم، وذلك الشعور يلازمه منذ وقت طويل، لكنه لا يسمح لأحد برؤية ذلك. أدركت كاي ذلك بحدس مفاجيء. هذا ما فكرت به وهي تقول بنعومة: «هل تلقيت جلسات استشارية بعد ما حدث؟».

- جلسات استشارية؟

واستدار لمواجهتها. رأت على الفور أن تعابير وجهه قد أغلقت تماماً أمامها. قال بصوت عادي: «لم أكن بحاجة لأي من ذلك الكلام غير المفهوم والخالي من أي معنى. لقد حصل الحادث، ورحل أهلي، وفي أوقات كهذه يمكنك الاعتماد على نفسك فقط لتتمكني من اجتياز الأمر».

- لكنك كنت مجرد ولد...

- كنت في الخامسة عشرة من عمري، ولم أكن طفلاً صغيراً. كنت قادراً تماماً على الاهتمام بنفسي.

وصل بالقرب منها، وأعطاها الكوب، ثم أضاف: «وكما يبدو لي، هذا ما فعلته بعد فسخ زواجك».

- ذلك أمر مختلف، كنت امرأة ناضجة.

- آه! صدقيني. حينها كنت قد أصبحت رجلاً منذ سنين عديدة.

توقف عن الكلام لكن ليس قبل أن تلاحظ كاي شيئاً من الحزن يعلو

وجهه. شيء ما حبس أنفاسها... ماذا جرى بحق السماء في منزله ليبدو هكذا؟ سألت نفسها بصمت... مهما يكن ذلك الأمر فقد أثر بالطفل ميتشل بصورة قاسية، وآثار ذلك ما زالت تكبله كرجل. أمر وحيد كانت كاي متأكدة منه؛ إن المظهر الكاذب من البرودة، وصورة الرجل الناضج الذي يحصل على كل ما يريده، والذي يسيطر على نفسه وعلى كل ما حوله هي مجرد مظاهر كاذبة.

قالت لنفسها باضطراب إنها لا تريد أن تسير في هذه الطريق... ليس مع ميتشل غراي. من الأفضل لها أن تفكر به كرجل آلي، كشخص بارد عديم الرحمة وبعيد جداً عن الحياة العادية، فهكذا تستطيع أن تحتفظ بمسافة بينهما. لكن هذا الشعور المعقد الذي ينمو في داخلها ليس في مصلحتها... إنه ليس جيداً على الإطلاق.

عاد ميتشل ليجلس في مقعده، وبدا واضحاً أنه يرغب في تبديل الموضوع حين قال: «أخبرتني أمك كيف أصبحت تعيش معك ومع التوأمين. لا بد أنه كان وقتاً عصيباً عليك، لا سيما أن والدك توفي بعد ولادة التوأمين بفترة قصيرة، وأصبحت أنت ملاذها الوحيد».

- أحقاً؟

تمنت أن يكون ذلك كل ما قالته أمها.

- تبدين نحيلة ورقيقة جداً لتكوني ملاذاً لأحدهم، لكنني بدأت أفهم أن المظاهر تبدو خادعة عندما يتعلق الأمر بك.

تمتم بذلك مستخدماً الصوت العميق الهادىء نفسه. بإمكانها القول إنها تفكر تماماً مثله في ما يتعلق به، لكنها لم تفعل.

- كان قراراً شجاعاً، أن تتركي عملك وشقتك وتعودي إلى هنا للعناية بلينورا.

نظرت إلى عينيه، وقالت بطريقة جافة: «كانت لتنتزع أحشاءك لو أنها سمعتك تقول ذلك. كما أن هذه ليست الحقيقة. مرّت أمي بمرحلة صعبة، أعترف بذلك، لكنها لم تكن بحاجة إلى أي عناية من الناحية المادية. كل ما كانت تحتاج إليه هو أن نكون بقربها، وهي من تعتني بالتوأمين أثناء وجودي في العمل. إنها ليست ضعيفة أبداً، بل هي امرأة ذات إرادة قوية جداً».

- لا بد أنك تحبينها كثيراً.

نظرت إليه متفاجئة، وقالت: «بالطبع أحبها. إنها أمي!».

- الأمران ليسا متطابقين بالضرورة!

لم تلحظ كاي أي تأثر في نبرة صوته، لكنها علمت أنه يقصد بكلامه أمه الحقيقية. ابتلعت غصة بصعوبة قبل أن تقول: «لا! لا أعتقد ذلك».

قالت ذلك بهدوء قبل أن تنظر حولها في غرفة الجلوس. تعمدت أن يأتي صوتها ناعماً وهي تقول: «هل تعلم؟ أعتقد أن هذه الغرفة تتسع للطابق الأرضي في منزلي بأكمله. لا بد أنك قادر على إقامة حفلات ضخمة هنا».

أومأ موافقاً وهو يبتسم، ما جعل أنفاسها تتقطع. علق قائلاً: «أمر رائع! هل ترغبين بالقيام بذلك؟».

- متى؟

- يمكننا البدء منذ الآن إن كنت ترغبين. يستطيع شخصان أن يحتفلا بطريقة جيدة.

أجابته مؤنبة بنبرة حازمة: «ليس هذا هو نوع الاحتفال الذي كنت أفكر فيه».

- أمر مؤسف! لا شك أنه أفضل نوع من الاحتفالات!

ورماها بنظرة ماكرة من تحت جفونه شبه المغلقة، ما جعلها تكاد تنفجر بالضحك.

سألها بكسل: «إذاً، ما الذي تفعلينه عادة لترفهي عن نفسك؟».

نقل نظراته فوق شعرها الأجعد المرخى على كتفيها وعلى بشرتها الناعمة.

ترفه عن نفسها! عادة عندما تكون متعبة جداً كل ما ترغب به هو حمام ساخن والذهاب إلى النوم باكراً! ابتسمت كاي ببرودة، متظاهرة أنها لم تلاحظ كيف ينظر إليها، قالت بهدوء: «لا شيء محدد».

- قالت لينورا إنك لا تخرجين بما فيه الكفاية للترفيه عن نفسك.

عليها أن تتحدث بجدية مع أمها عندما تعود إلى المنزل. قالت ببرودة كالثلج: «أحقاً؟».

قال بصوت كالحرير: «في الحقيقة قالت إنك لا تخرجين بهدف التسلية

مطلقاً».

قالت بسرعة: «قلت لك من قبل، لا أملك الوقت ولا الرغبة للخروج في مواعيد غرامية».

قال بلطف: «لكن سهرات متباعدة مع صديقة للذهاب إلى السينما أو المسرح ليست بموعد غرامي، وأنت حتى لا تفعلين ذلك. طوال الوقت تعملين وليس لديك أي وقت للمرح..».

حدّقت كاي به بغضب. كيف يجرؤ على تعليمها ما الذي عليها أن تفعله أو لا تفعله! أي شأن له بذلك بكل الأحوال؟ قالت بعصبية: «كوني الأم والمعيلة الوحيدة يلقي عليّ المزيد من المسؤوليات، وهذا أمر لا تعرف عنه أي شيء، بالطبع. لا يمكننا جميعاً أن نعيش على هوانا وأن نعبث بالحياة ونحرق الشمعة من الطرفين».

قال بقسوة: «أنت حتى لا تملكين نوراً بجانب فتيل، وهذا أمر سيء جداً لك، كاي. أنت تدينين بذلك للتوأمين لتكوني امرأة متّزنة وقادرة على التكيُّف بكل الأجواء».

لم تستطع أن تصدق ما تسمعه، وقالت: «أنت... أنت منافق».

نعتته بذلك لأنه يستعمل أطفالاً صغاراً في ابتزاز عاطفي.

قال متأسفاً: «هذه كلمة نابية».

نهض على قدميه ووضع كأسه الفارغ على رف المدفأة قبل أن يسير نحوها.

قال بنعومة ما إن وقف أمام مقعدها ومدّ يده ليجذبها إليه: «تعالي إلي».

دقات قلبها المرتعبة جعلت أنفاسها تتسارع وتتقطع، لكنها تمكنت من الظهور بشكل منطقي عندما قالت بحزم: «لا!».

رفعت كاي نظرها وحدّقت به. بدت عيناها كبركتين عميقتين بنيتي اللون. سوف يعانقها ثانية!

فقط في تلك اللحظة اعترفت لنفسها كم هي راغبة بذلك، ومع ذلك لم تقم بأية حركة عندما مدّ يده مرة ثانية.

قال ميتشل بصوت ثابت لكنه يحمل دفئاً، ما جعله يبدو أكثر جاذبية من السابق: «كاي! أنا أريد فقط أن أصطحبك إلى غرفة الطعام».

www.hamsatrewaya.com Jewelry

٥ . نعم للصداقة!

- كيف كانت الأمسية؟

تمنت كاي أن تكون والدتها نائمة عندما عادت إلى المنزل، قرابة الساعة الواحدة فجراً. لكن في اللحظة التي فتحت فيها باب غرفة النوم أنارت لينورا المصباح بجانب السرير. نظرت إلى المرأة الأكبر سناً وهي تسير عبر الغرفة لتصل إلى سريرها، فشعرت بالانزعاج والتسلية معاً بسبب التوقعات المطلة من عيني أمها.

- حسناً!

كانت قد نزعت ملابسها واغتسلت في غرفة الحمام، ثم ارتدت ثياب النوم، التي وضعتها هناك قبل أن تخرج. تمددت تحت الغطاء، وتعمدت أن تستدير لتواجه الحائط وهي تقول: «عمت مساءً».

- عمت مساءً؟!

همست أمها بصوت منخفض كي لا توقظ التوأمين في الغرفة المجاورة: «أهذا كل ما ستقولينه؟».

- أمي! عليّ النهوض عند الساعة السادسة صباحاً، وبرنامج عملي للغد مخيف. أمضيت أمسية لطيفة، وأنا الآن في المنزل. هل هذا يكفي؟

انتظرت كاي قليلاً، لكن المصباح بجانب السرير بقي مضاء. وضعت وسادتها فوق رأسها وهي تئن مبدية انزعاجها.

قالت أمها بصوت امتزج فيه التوسل والرشوة معاً: «سؤال واحد فقط».

لم تنزع كاي الوسادة عن رأسها. بل قالت وصوتها مكبوت: «ماذا؟».

- هل سترينه مرة ثانية؟

السؤال الأهم! غضنت وجهها تحت الوسادة، وتنفست بعمق قبل أن

تجيب: «لا».

قالت أمها بألم: «لماذا؟».

أجابتها كاي: «لأنه لم يطلب رؤيتي ثانية، وهذا أمر متبادل. عمت مساءً أمي».

أدركت أن أمها بذلت مجهوداً لتتمكن من القول: «عمت مساءً عزيزتي».

قالت ذلك بصوت مقهور وهي تطفىء المصباح. لكن، مهما قالت أمها، فإن كاي لن تتمكن من سرد ما حدث في الأمسية بصوت عالٍ. بينما كانت مستلقية في الظلام، راحت أفكارها تحلل كل لحظة مرت منذ أن وصل ميتشل ليصطحبها معه.

كان العشاء مميزاً؛ ما إن تقدمت نحو الطاولة حتى شعرت بالانبهار. بدا ميتشل رفيقاً رائعاً ومسلياً، كما كان يرغب أن يكون. أجبرت كاي نفسها على البقاء هادئة، مدركة أن أمها لا تزال مستيقظة. لكن كل عصب في جسمها كان يتراقص وهي تتذكر مظهره الرائع... ما قاله... وكيف جعلها تضحك على رغم تصميمها بألاّ تتأثر بسحره.

قدمت الأطباق الخمسة بابتسامة واحترام من قبل هنري. كل طبق كان أشهى من الطبق الذي قبله، أما القطعة التي لا تقاوم فكانت الحلوى المصنوعة من القشطة المخفوقة مع البرتقال والفريز. بإمكانها أن تراها الآن، مزينة بالشوكولا ورقائق الليمون والفريز، وتسمع صوت ميتشل العميق يقول: «عيناك كبيرتان كعيني طفلة في مخزن للحلوى».

كم بدا صوته ناعماً! وتردد عقلها في القول... ولطيفاً.

آه...! تحركت في سريرها بحذر. لا شك أن الاحمرار علا وجهها في تلك اللحظة تماماً كما حدث معها في وقت سابق.

أخذا المزيد من الوقت لشرب القهوة، وتحدثا عن كافة المواضيع. وبقيت كاي تذكر نفسها أن ذلك هو ميتشل غراي، عدوها لأنه... ماذا؟ حدّقت في الظلام... رائع، مميز وساحر!

عندما طلب سيارة أجرة أدركت أنه لا يرغب في القيادة كي يجلس بجانبها في المقعد الخلفي. علمت في أعماقها أنه يريد أن يحظى بفرصة لمعانقتها. حتى

www.mamlasatreyaya.com

اللحظة التي صعدت فيها إلى المقعد الخلفي في السيارة معه، ظلت تقول لنفسها إنها لن تسمح له بمعانقتها ثانية، لكن ما إن اقترب منها ميتشل حتى ذابت كما تذوب قطعة الحلوى.

يا لها من حمقاء! حمقاء جداً. هذا ما قالته لنفسها بيأس. إحساسها بالاحباط من ضعفها تضاعف عشرات المرات لأنه لم يطلب منها موعداً آخر.

المشكلة هي أنه بدا رائعاً في استمالتها إليه، ومقاومتها لم تكن بتلك الصلابة، مع ذلك لم يحاول استدراجها لأكثر من عناق حميم. كذبت على نفسها بشدة، وهي تؤكد لنفسها أنها لا تريد رؤيته أيضاً، وأنه خيراً فعل بعدم اقتراحه ذلك. تودعا بطريقة عادية... والآن عليها أن تحظى ببعض النوم.

أخذت تتنفس ببطء وعمق. وبوعي منها أخذت تهدىء أفكارها المضطربة، متبعة خطة مارستها بطريقة ممتازة في الأشهر الأخيرة لزواجها المدمر من بيري، وفي الأشهر التي تلت الطلاق. احتاجت لوقت أطول من العادة، لكن في نهاية الأمر استسلمت لنوم عميق لا تزعجه أية أحلام. تكوّرت تحت الغطاء كأنها طفلة صغيرة.

* * *

في صباح اليوم التالي ساد الهرج والمرج في المنزل. بدأ العمل المعتاد في إعداد التوأمين: بدءً من ارتداء الملابس إلى تناول الطعام والاستعداد للذهاب إلى المدرسة، ثم بدأت بتحضير نفسها لتغادر عند الساعة الثامنة. عندما أطلق بيتر بوق السيارة خارج بوابة المنزل، كانت كاي جاهزة وبانتظاره.

- مرحباً!

تحية أخيها الصباحية تبدو دائماً مختصرة، لكن ذلك أمر عادي، إذ غالباً ما لا يكون بأحسن حال عند الصباح. وهذا يعني أنه ربما نسي كل ما يتعلق بأمر الغداء مع ميتشل في اليوم السابق. وهكذا لن تحتاج إلى التكلم عن تلك القصة البغيضة. في العادة، تذهب إلى عملها على دراجتها في حين يذهب كل من بيتر وطوم بشاحنة.

لكن دراجتها بحاجة إلى فحص دقيق، لهذا فإن أول عمل ستقوم به اليوم هو إحضارها من المرآب قرب المكتب.

- مرحباً بك!

جلست على المقعد قربه. كانت كاي ترتدي بذلتها المصنوعة من الجلد، وسرعان ما بدأ ذهنها يدور في عملية تنظيم لشؤون المكتب، فقالت: «سأعمل خارجاً طوال النهار، لكن هناك بعض أوقات الفراغ لك ولطوم في برنامج اليوم. تأكد من معاينة المجيب الآلي ما إن تصل إلى المكتب، لا تنسَ ذلك. بالطبع إن كان هناك أية وثائق بالإمكان إيصالها ضمن برنامجك اليوم فلا تغفلها، لكن لا تنسَ أن تسجل كل ما تفعله».

- بدون أدنى شك، سيدي الرئيس.

نظر إليها مبتسماً قبل أن يندفع بالسير بسرعة أكبر.

فكّرت كاي بصوت عال ما إن تضاعفت سرعة الشاحنة: «علينا أن نستخدم شخصاً ما ليجيب على المكالمات الهاتفية، إن لم يكن لأي شيء آخر. مع كل العمل الذي نجده بين أيدينا، فمن النادر أن يتسنى لي البقاء في المكتب هذه الأيام. وسيكون امراً جيداً إيجاد شخص دائم للقيام بذلك العمل، وإنجاز بعض الأعمال المكتبية أيضاً، فأنا متأخرة جداً بالعمل فيها».

هزّ بيتر رأسه، وقال بصورة عرضية: «بالحديث عن الأعمال، كيف جرى لقاؤك مع ميتشل غراي؟

حدّقت كاي به وسألته بصراحة: «هل اتصلت بك أمي؟».

- حسناً! ليس هذا ما حدث بالتحديد، كان هناك المزيد... نعم، فعلت».

اعترف بسخرية، وقد أبقى عينيه على الطريق أمامه.

كان عليها أن تعرف! هناك أوقات تشعر فيها أنها سمكة ذهبية تعيش حياتها في إناء من الزجاج. حاولت أن تبعد الانزعاج عن صوتها لكنها فشلت، وهي تقول: «إذاً! ما الذي قالته بالتحديد؟».

- فقط إن الغداء لم يسر بطريقة جيدة، و... شيء ما يتعلق بكونك قفزت من النافذة...

قال بيتر ذلك، وكأن الأمر بمنتهى البساطة، وتابع: «... وإنه عاد إلى المنزل، وإنك ذهبت برفقته ليلة أمس».

قالت كاي باختصار: «تقريباً، هذا كل ما حدث!».

قال متأملاً: «أثمة ما يتعلق بعملنا في هذا كله؟».

- لا!

- حسناً.

تابعا السير حتى وصلا إلى المرآب من دون التطرق إلى أي حديث آخر.

* * *

في الوقت الذي وصلت فيه كاي إلى إيفي كوتدج عند الساعة السادسة مساءً، كانت قد أصبحت متعبة حتى العظم. مرَّ النهار بصورة جيدة وبدون أية عوائق. كان الطقس معتدلاً، مشمساً مع نسمات دافئة، ووجدت متسعاً من الوقت لتتناول غداءها ولتشرب القهوة وتستريح لأكثر من مرة في النهار. سألت نفسها بقلق وهي تضع دراجتها في مكانها إلى جانب المنزل، وتنزع خوذتها، إذاً لماذا تشعر كأن كل شيء يسير بطريقة خاطئة؟ هذا ليس من عاداتها.

حرَّكت عضلات عنقها المتصلبة، ورفعت نظرها إلى سماء المساء المظلمة. هذه سنة جيدة، فالعمل تطور ونما بشكل كبير، والتوأمان بصحة جيدة وهما سعيدتان، وقد دخلتا المدرسة وتأقلمتا كما يتأقلم البط على العيش في الماء. من جهة أخرى باتت أمها مستقرة مرتاحة أيضاً، وبيتر وعائلته أصبحا بأمان من الناحية المادية بعد أن دفع أخيراً آخر سنت من ديونه التي تراكمت عليه عندما كان عاطلاً عن العمل، وقبل أن يؤسسا شركة شيروود للبريد السريع.

إذاً كل شيء يسير بصورة جيدة وليس هناك أي شيء سلبي. ها هي أشعة القمر تلقي بظلالها الفضية على الحديقة، وفي مكان ما، أشعل أحدهم مدفأته، فراحت رائحة دخان الحطب تنتشر في الهواء وتضفي جمالاً وكمالاً على هذه الأمسية، أما هي فلا تستطيع التوقف عن التفكير بميتشل غراي! شعرت بالراحة لأنها أخيراً اعترفت بذلك لنفسها.

اخفضت كاي رأسها. وحدّقت من دون أن ترى شيئاً في حديقتها النائمة، وسمعت أصواتاً خفيفة صادرة عن التلفزيون وعن ضحكات ابنتيها من داخل المنزل.

ما الذي جعل ميتشل غراي يتغلغل تحت جلدها؟ سألت نفسها بصمت. هي تعلم أن ليس هناك سبب واحد ومن أي نوع كان لإقامة علاقة بينهما، إنهما متباعدان كبعد الشرق عن الغرب. فلماذا ظل في مخيلتها لكل لحظة وكل دقيقة من هذا النهار؟

اتكأت على جدار المنزل، وتنفست بعمق من ذلك الهواء المنعش المنكّه بالدخان.

مهما يكن الأمر، إنها في حالة لم تشعر بها من قبل. تشعر أنها حية من أعلى رأسها حتى أخمص قدميها... إنها ترتجف وترتعش مبتهجة بالحياة.

- توقفي! توقفي عن ذلك الآن! لقد انتهى الأمر... انتهى. حتى قبل أن يبدأ. أنت مجرد ظاهرة مختلفة في حياته المليئة، هذا كل شيء. هو لم يطلب رؤيتك مرة ثانية، وهذا أفضل للجميع. أنت أم، ولديك طفلتان، ولست من النساء اللواتي يسعى اليهنَّ ميتشل غراي.

قالت ذلك لنفسها بصوت مرتفع، إذ شعرت أنها بحاجة إلى سماع تلك الكلمات. أخذت المزيد من الوقت لتتنفس بطريقة مهدئة لأعصابها، قبل أن تقف مستقيمة وترفع ذقنها.

إن التقرب منه خطر عليها، بل خطر جداً. كل حدس في داخلها يقول لها ذلك. وبما أن جورجيا وإميلي تعتمدان عليها لأنها الأم والأب معاً لهما، فالخطر ليس خياراً وارداً لها. سيسير كل شيء نحو الأفضل، وهذه العواطف السخيفة ستذوي وتموت. هذا ما يجب أن يحدث!

سارت من وراء المنزل لتصل إلى الباب الأمامي، فتحته ودخلت إلى الضوء الساطع، فطالعتها الرائحة الشهية لأحد أطباق أمها المميزة، بالإضافة إلى رائحة عطر ينبعث من أكبر سلة زهور رأتها عيناها. وضعت السلة على زاوية طاولة القهوة، لتثير انتباهها ما إن تصل.

- كاي! مرحباً، عزيزتي.

ظهرت أمها من باب المطبخ في اللحظة التي قفز فيها التوأمان عن سجادة غرفة الجلوس، حيث كانتا تجلسان وتلعبان معاً وهما مرتديتان ثياب النوم.

- ماما، ماما، انظري!

- ماما، كنا ننتظرك لتعودي إلى المنزل منذ أجيال.

أمسكتا بيديها، وشدتاها نحو سلة الزهور وقد أشرق وجهاهما، ومن فوق رأسيهما تمتمت لها أمها بشفتيها بصمت؛ ميتش!

- هناك بطاقة، ماما. لكن جدتي لم تسمح لنا بفتحها.

راحت جورجيا تقفز من قدم إلى الأخرى وهي تتكلم، محاولة أن تعاين مكان البطاقة: «انظري... هناك».

أخرجت كاي المغلف الصغير من بين براعم الورد الأصفر والأبيض، والأحمر الفاتح، وزهور السحلبية، والاقحوان والفريزية، وتمنت ألا تلاحظ أمها ارتجاف يديها. كُتب على المغلف: «السيدة كاي شيروود، إيفي كوتدج، شارع بيسهوبس ٢٤».

حدّقت به للحظة قبل أن تديره إلى الجهة الأخرى. وبعناية مدت يدها إلى داخله، وأخرجت البطاقة التي كتب عليها: «استمتعت بسهرة البارحة. هل يمكننا أن نقوم بذلك مرة ثانية في وقت ما؟».

قرأت الملاحظة مرتين، ثم سلمتها لأمها التي كانت تقف قربها، قبل أن تستدير لتقول للتوأمين: «إنها هدية لنا جميعاً من السيد غراي، الرجل الذي رأيتماه البارحة. أليس هذا لطفاً منه؟».

قالت جورجيا وإميلي بفرح واضح: «لنا أيضاً؟».

كررت كاي بحزم: «لنا جميعاً».

هل يمكننا أن نقوم بذلك ثانية في وقت ما؟ ماذا يعني هذا؟ أهو وداع مبالغ فيه أم أنه حقاً يريد رؤيتها ثانية؟ إن كان يريد ذلك، فما الذي ستفعله؟ من الحماقة أن تراه ثانية. لكن ربما هذه هي طريقته اللطيفة بالتخلي عن امرأة؟ في الواقع، لا فكرة لديها مطلقاً كيف يتصرف الرجال الأثرياء أمثاله.

نظرت إلى أمها التي كانت تراقبها منتظرة ردة فعلها. قالت لينورا بهدوء: «يا لها من زهور جميلة!».

وأعادت البطاقة إلى كاي وهي تتكلم.

- نعم، إنها كذلك.

أضافت لينورا: «وهناك الكثير منها».

- نعم.

حدّقت كاي بأمها لكن أمها لم تتراجع، بل بادلتها التحديق هي أيضاً.

- سأهتم بالعشاء بينما تستحمين وتبدلين ثيابك. تناولت الفتاتان عشاءهما، لكنني قلت لهما إن بإمكانهما البقاء لفترة بعد، أيناسبك ذلك؟

وافقت كاي بسرعة: «نعم، هذا جيد».

أي شيء يحول دون التحدث بصراحة أثناء العشاء.

سألت التوأمين عن يومهما، وأظهرت إعجابها بالرسومات التي أحضرتاها إلى المنزل من المدرسة قبل أن تصعد إلى الطابق الأعلى، وهي تشعر بالغضب من نفسها بسبب الحماس الذي يجري في عروقها. نزعت ملابسها في غرفة النوم وسارت إلى غرفة الحمام، وهي ترتدي رداء الاستحمام. بالكاد باتت تعرف نفسها هذه الأيام...

ما إن تركت المياه الساخنة تزيل عنها ذلك التوتر، حتى وقفت هناك لوقت أطول من المعتاد. اعتقدت أنها سمعت رنين الهاتف لكن لم ينادها أحد، فافترضت أن الاتصال لأمها من إحدى صديقاتها.

ارتدت كنزة خفيفة وبنطلون جينز قديم، فشعرت أنها عادت إلى طبيعتها القديمة. حدّقت في وجهها بالمرآة. بدا النمش في وجهها أكثر من ذي قبل ولاحظت وجود بثرة في ذقنها. ميتشل غراي مهتم بها، بدون شك! آه! لا بد أنها جُنت. لكنها، حقاً مجنونة. فالزهور هي طريقته ليقول وداعاً. كان بإمكانه أن يطلب رؤيتها ثانية ليلة البارحة لو أنه راغب بذلك، أو على الأقل لكتب شيئاً مميزاً على البطاقة.

نادتها أمها من المطبخ ما إن نزلت كاي إلى الطابق الأرضي: «هناك شراب قرب الأريكة لك، ولي أيضاً. سآتي لأجلس قربك بعد لحظات».

- شكراً.

جلست كاي، وعلى الفور تسلقت جورجيا وإميلي لتجلسا على جانبيها والتصقتا بها كأنهما جروان صغيران.

رنّ جرس الهاتف فظهرت أمها كأنها جني من المطبخ. قالت لينورا بطريقة عادية: «لا بد أنه ميتش. لقد اتصل عندما كنت تستحمين، وقلت له إن عليه

الاتصال ثانية بعد عدة دقائق».

لم تنظر إلى عيني كاي وهي تتحدث.

كانت جورجيا قد رفعت سماعة الهاتف وتحدثت مع المتصل، بينما تمتمت كاي: «أماه!».

قالت الفتاة الصغيرة بفرح: «نعم، أمي هنا الآن».

مدّت يدها ممسكة بالهاتف وهي تنادي: «ماما!».

بدأ قلب كاي يضرب بسرعة، وأصبحت راحتا يديها رطبتين. وقفت، وسارت نحو جورجيا. أخذت الهاتف من الطفلة الصغيرة وكأن السماعة جمرة حارقة. قالت بضعف: «نعم!».

قال المتصل بصوت ناعم مثير جعلها ترتجف: «كاي؟ أنا ميتشل».

تمنت أن يكون صوتها أقوى مما تشعر حين ردت: «ميتشل.. ! شكراً لك على الزهور. إنها جميلة! لكن ما كان عليك أن تفعل ذلك».

- ذلك من دواعي سروري.

بدا كأن صوته الهادىء المليء بالفرح يسخر من تسارع نبضها، ما جعل كاي تبذل مجهوداً لتستجمع شتات نفسها.

- كنت أتساءل إن كنت حرة في عطلة الأسبوع؟

- أنا.. آه...!

لم تشعر يوماً بالارتباك هكذا في حياتها. إن قالت له لا، من المحتمل ألاّ يزعج نفسه ثانية بالاتصال بها؛ وإن قالت نعم..

- فكرت في الذهاب لتناول العشاء معاً، ومشاهدة فيلم سينمائي ليلة السبت؟ أو.. ربما بإمكاننا تناول العصير في أي مكان تفضلينه. ما رأيك؟

أصبح صوته أكثر لطفاً وهو يضيف: «ليس للأمر أهمية، كاي. هذا ما أريد قوله. قلت إنك غير مستعدة لإقامة علاقة؛ لكنني أعتقد أنك بحاجة إلى الخروج من ذلك الصندوق الفولاذي الذي وضعت نفسك فيه، والبدء بتذوق الحياة ثانية. هكذا، سنبدأ كصديقين بدون أية روابط، وسنتمرن على ذلك بروية ولطف. إذ أراد أحدنا الابتعاد لن يكون في ذلك سوء، أما إذا رغب أحدنا بالتقدم خطوة جديدة فسنبحث الأمر. ما رأيك بذلك؟».

يا لأعصابه الباردة! حدّقت كاي عبر الغرفة بدون أي تركيز. كان ميتشل يتكلم بهدوء، وكأنه يقترح اتفاق عمل. لم تعلم كاي إن كان عليها أن تشعر بالسعادة بسبب حاسة المنطق لديه أم تشعر بالغضب لعدم اهتمامه ولا مبالاته.

- كاي؟!

صوته الهادىء ذكرها أنها لا تستطيع التردد أكثر من ذلك. تنفست بعمق... قالت بحذر: «العشاء ومشاهدة فيلم يبدوان أمراً رائعاً».

- جيد! سأمر لاصطحابك عند السابعة، وسأحجز بطاقتين للعرض المتأخر. هل هناك فيلم محدد تودين مشاهدته؟

لاحظت كاي للتو كم هي بعيدة عن الحياة عندما أدركت أنها لا تعرف أي شيء عن الأفلام التي تعرض هذه الأيام، فهي لم تذهب إلى السينما منذ ولادة التوأمين. في الواقع، بالكاد ذهبت إلى أي مكان منذ ولادتهما.

قالت بسرعة: «سأترك الاختيار لك».

قال بنعومة: «سأفاجئك».

ابتلعت غصة وقالت: «لا بأس!».

شعرت أن صوته يعبق بالمرح وهو يودعها، لكن بما أن أمها تسمّرت قبالتها، فلم تطل فترة الوداع.

قالت لينورا، وكأي كاي ربحت الميدالية الذهبية في الألعاب الأولمبية: «سترينه مرة ثانية!».

قالت كاي محذرة بنعومة: «اهدئي، أمي! إنها علاقة لا تتخطى حدود الصداقة».

كانت كاي مدركة تماماً لوجود ابنتيها اللتين رفعتا وجهيهما وراحتا تحدقان بها.

ابتسمت لينورا ابتسامة كبيرة وقالت: «بالطبع هي كذلك».

ابتلعت كاي الكلمات التي كانت تطوف على لسانها، وبدلاً عنها قالت: «سأتحدث إليك في ما بعد، اتفقنا؟ ما إن تنتهي العشاء».

- كما تريدين عزيزتي.

سارت لينورا نحو المطبخ، وكل ما في جسمها النحيل يظهر مدى رضاها

www.banisatrewaiya.com Jewelry

وافتناعها بأن ما يجري أمر رائع. حدّقت كاي بأمها، وهي تشعر بمزيد من الاحباط. ما سرّ مينشل غراي الذي يتمكن من سحر أية امرأة على بعد عشرة أميال؟

- هل هو الرجل الذي أرسل هذه الأزهار؟

سألت إميلي وهي تشير بيدها السمينة إلى سلة الزهور وتحدق بأمها.

هزّت كاي رأسها وقالت: «نعم. إنه هو، عزيزتي».

- أنا أحبه!

وافقت جورجيا بحماس: «وأنا أيضاً».

ارتمت كاي على الأريكة، ومدت يدها لتمسك بكوب الشراب. ثلاثة ضد واحدة. هذا ليس عدلاً، أليس كذلك؟

٦ - عروستان ورجل ثلج

اتخذت الأسابيع التالية منحىً جديداً في حياة كاي. كانت ترى ميتشل كل يوم؛ فيتناولان الغداء أو العشاء معاً في أحدى المطاعم المترفة جداً التي يختارها أحياناً، أو في منزله أحياناً أخرى. رقصا في النوادي الليلية، ذهبا إلى السينما والمسرح، كما لعبا البولنغ، وتزلجا على الجليد، حتى إنهما زارا معارض للأثريّات القديمة وأمكنة للمزاد العلني. وكما وعدها تماماً، استمتعا بوقتهما. لكن ذلك كله لم يكن حقيقياً، فهذه ليست الحياة التي اعتادت عليها كل يوم. هذا ما فكرت به كاي.

كانت تقف في المطبخ صباح نهار السبت الذي يسبق عيد الميلاد، ويداها مغمستان حتى مرفقيها برغوة الصابون.

إن فكرت بالأمر جيداً، فهما لم يتشاركا بحديث حميم منذ الأمسية الأولى التي أمضتها في منزله. آه! لقد عمل على تسليتها كثيراً، وإذا رغبت في أن تكون صادقة فعلاً، فكلما رأته كلما أحبته أكثر، لكن... تجهم وجهها وهي تنظر إلى النافذة، فهي لا تعرفه أبداً. هو قوي، ورائع بالسيطرة على نفسه وعلى من حوله، لكنها لم تستطع أن تخترق ذلك الحاجز غير المرئي ولو بمقدار ضئيل. أما الأمر الأكثر سخرية... الشيء المثير للسخرية حقاً... هو أنه اتهمها ليلة الأمس بالأمر نفسه.

- ما الذي احتاج إليه لأتمكن من تحطيم ذلك الحاجز؟

نظرت إليه ما إن تكلم. بدا صوته ناعماً وعيناه تلمعان بالمرح وهو يقود السيارة نحو بيتها بعد أمسية أمضياها في المسرح.

- ماذا؟

- أنت تعلمين عمّا أتحدث، كاي.

www.alsatrewaiya.com

جاء صوته هادئاً بل متمهلاً، لكنها أحست في أعماقها أن هناك ما هو أكثر من ذلك، ربما هناك بعض الغضب وراء موقفه المتراخي.

شعرت بالضيق بصورة لا شعورية وقالت: «لا.. لا أعرف».

لم يقل شيئاً لمسافة ميل أو أكثر. وقاد السيارة بمهارته المعتادة، ثم عاد يتحدث عن المسرحية التي شاهداها. حديثه لم يكن بحاجة لأي جواب لكنه جعلها تبتسم بالرغم عنها. وهكذا مرّت اللحظة!

عناقه الوداعي تركها تتحرق شوقاً إلى المزيد. لكن عندما تفكر بذلك تشعر كأنها كانت تقوم بدور ما. أغمضت عينيها بقوة، وعضت على شفتها وهي تغسل صحون الفطور بحماس لا حاجة له. إنه يثير أعصابها الآن أكثر مما فعل عندما قابلته للمرة الأولى. هذه هي حقيقة الأمر! كلما بقيت معه أكثر، كلما رغبت في البقاء بقربه، وليس هذا ما اعتقدت أنه سيحدث.

ربما لو كانت علاقتهما حقيقية... لو أنهما أصبحا حبيبين، لانتهى ذلك الانجذاب المجنون منذ زمن! كوّرت شفتيها من فكرتها الغبية تلك. ربما يصحّ ذلك بالنسبة إليه. في الحقيقة هي لا تشك بذلك لدقيقة واحدة، لكنها ليست كذلك. السبب الوحيد الذي جعلها تحاول وتحاول إنجاح زواجها هو أنها تؤمن بالارتباط الفعلي جسداً وقلباً وروحاً. فبالنسبة إليها هذه الأمور لا تنفصل. قد لا يكون تفكيرها عصرياً، لكنها لا تستطيع أن تتغير. لا تستطيع أن تتحمل أن تكون مجرد امرأة تمر في حياته.

حرّكت كتفيها اللتين أصبحتا متوترتين بسبب أفكارها المضطربة. أتراها أخطأت بإبقاء الاتصال بين ميتشل والتوأمين في الحد الأدنى؟ سألت نفسها بحزن.

لم تشأ أن تعتاد جورجيا وإميلي على ميتشل، وأن تتعلقا به. فهذا ليس عدلاً بالنسبة لهما. اعترفت بذلك على مضض.

بدا واضحاً منذ الموعد الأول أن الاخلاص حتى آخر العمر ليس خياره، وهي تعلم أن هذه الصداقة ليست صداقة حقيقية، لكن، كيف بإمكانها أن تشرح ذلك للطفلتين الصغيرتين اللتين صممتا على الإعجاب به منذ البداية؟

تنهدت بصوت عالٍ! أنهت تنظيف الصحون، وجففت يديها بمنشفة قبل

أن تغلي الماء في الإبريق لتصنع شراب الليمون الذي تعده لأمها. عانت لينورا مما أسمته «بعض البرد» في الأيام الأخيرة، لكن هذا الصباح بدت المرأة مريضة جداً ولم تتمكن من النهوض من السرير، وهكذا اتصلت كاي بالطبيب. اعتقدت أن أمها مصابة بفيروس الأنفلونزا الذي يجتاح البلد، لكن السعال المتقطع الجاف أصبح أسوأ بكثير أثناء الليل، ما جعلها تعتقد أن هناك التهاباً صدرياً بالإضافة إلى الفيروس.

كانت كاي عند أسفل الدرج حاملة كوب الشراب الساخن لأمها عندما سمعت طرقاً على الباب الأمامي، معلناً وصول الطبيب غالبريت.

بدا الطبيب مرحاً بما فيه الكفاية وهو يعاين لينورا، لكن ما إن أصبح في غرفة الجلوس في الطابق الأرضي حتى أخفض صوته بعد أن نظر إلى التوأمين. قال بهدوء: «علينا مراقبة التهاب الصدر لديها. لا أريده أن يتطور إلى أمر أكثر خطورة، لذا لا تسمحي لها أبداً بمغادرة السرير».

أضاف وهو يبتسم: «إنها بحاجة إلى الكثير من السوائل مع دواء مضاد للالتهاب دواء مضاد للصداع. هل هذا واضح؟».

- شكراً لك، أيها الطبيب!

هزّت كاي رأسها، لكنها تمنت لو أنها لم تفعل. فالصداع التي استيقظت وهي تشعر به قد ازداد بشكل واضح. قال الطبيب غالبريت: «تبدين أنت متعبة أيضاً».

نظر إلى وجهها الشاحب، وإلى شدة بياض بشرتها مقارنة مع شعرها المتجعد الأحمر، وتابع: «قد يصيبك المرض أنت أيضاً. هذا ما يحدث عادة. فالمرض يصيب أفراد العائلة كلهم. تناولي دواء مضاداً للصداع واتصلي بالعيادة إن احتجت لذلك. وبصراحة، إذا كنت قد خططت للقيام بشيء ما في عيد الميلاد، انصحك بإلغاء ذلك الآن. أتمنى لك ميلاداً سعيداً».

- حسناً! عيد ميلاد سعيد لك أيضاً! شكراً لك، أيها الطبيب.

كررت كاي، ورافقته إلى الخارج في ذلك الصباح الجليدي. أغلقت الباب بسرعة ما إن لفحها الهواء البارد وجعلها ترتجف.

بعد قليل قالت لابنتيها بحماس مصطنع: «هيا فتاتي، ارتديا أحذيتكما،

معاطفكما وقبعاتكما».

هي تعلم أن التوأمين لن ترغبا في الابتعاد عن برنامجهما المفضل على التلفزيون، لكنها تابعت: «علينا أن نذهب لشراء بعض الأدوية لجدتكما، وإذا كنتما هادئتين سنذهب إلى متجر الحلوى لشراء كعكة الزنجبيل التي تحبانها كثيراً».

لحسن الحظ، أن صف المتاجر يشمل متجراً للسلع المنزلية، صيدلية، متجراً للحلوى، ملحمة، ومحلاً لبيع الخضار، وكلها لا تبعد عن منزلها أكثر من شارعين. مع ذلك، شعرت كاي بالندم لأنها لم تحضر إحدى الشاحنتين معها من أجل عطلة نهاية الأسبوع. شعرت أن حالتها تزداد سوءاً في كل لحظة، كما أن إميلي راحت تتذمر قائلة إن رأسها يؤلمها، ورفضت أن تأكل من كعكة الزنجبيل التي تحبها كثيراً.

بعد أن رتبت سرير أمها وأعطتها دواء الالتهاب وداء الصداع مع كوب من شراب الليمون الساخن، نزلت كاي إلى الطابق السفلي لتجد إميلي مستلقية بخمول على الأريكة بقرب الدب تيدي. وعندما رفضت ابنتها أن تتناول قطعة الشوكولا عن شجرة الميلاد الصغيرة الموضوعة بجانب التلفزيون، علمت كاي أن ابنتها مريضة. مع أن جورجيا كانت لا تزال تقفز وتلعب كالعادة.

لمست الجبهة الصغيرة، وشعرت بالقلق لأنها بدت حارة جداً. وعندما انحنت كادت تسقط فوق إميلي لأنها شعرت بالدوار. تباً! ها هنّ يسقطن كالفراشات، وعيد الميلاد بعد ثلاثة أيام فقط، والفتاتان متحمستان كثيراً للاحتفال له.

غطت إميلي بغطاء دافئ ووضعتها على الأريكة، بعد أن أعطتها داء مخفضاً للحرارة. أما هي، فأعدت لنفسها فنجاناً من الشاي. عليها الذهاب للتسوق من أجل العيد يوم الإثنين. عساها تشعر أنها بحال أفضل يومها.

ربما تستطيع الاتصال ببيتر ليجالس التوأمين أثناء غيابها. لا... هذا لن يحدث، فهي لا تريد أن ينقل بيتر المرض لعائلته أثناء الميلاد. آه! ستتمكن من تدبير الأمر بطريقة ما، لكنها لا تستطيع التفكير بذلك الآن فيما رأسها يؤلمها بقوة.

ميتشل! جلست مستقيمة الظهر على أحد كراسي المطبخ. كانت ستخرج معه هذا المساء؛ عليها أن تتصل به وتعتذر.

أجاب هنري على الهاتف، لكن خلال لحظات سمعت صوت ميتشل العميق القوي: «كاي؟ قال هنري إن أمك ليست بخير؟».

- إنها الانفلونزا مع التهابات في الصدر. والآن إميلي تشعر بالمرض أيضاً. إني آسفة لأنني لا أستطيع الخروج الليلة.

ساد الصمت بينهما، بعد ذلك قال: «ما رأيك إن استخدمت من يجالس الطفلتين؟ لدي عدد من الأصدقاء الذين يتعاقدون مع...»

- لا!

لم تدعه يكمل... لن تسمح لغريبة، مهما كانت كفوءة، أن تبقى مع ابنتيها. تابعت تقول: «أشعر أنني لست بخير أنا أيضاً في الواقع، لذلك من الأفضل أن نؤجل ذلك».

ساد الصمت مرة ثانية، بعد ذلك قال بصوت هادئ: «هذا ليس بسبب ما قلته ليلة البارحة، أليس كذلك؟».

- ماذا؟

لم تكن تعلم مطلقاً عمّا يتحدث.

قال بنعومة: «لدي شعور أن الجسر المتحرك قد رفع بدلاً من أن تهدم الحواجز السابقة».

لماذا يفكر الرجال أن كل شيء يتعلق بهم طوال الوقت؟ لو لم تكن تشعر بالتوعك لأنبته على ما يقوله، لكن بما أنها كذلك قالت بهدوء: «ميتشل، أمي مريضة في السرير، ابنتي تعاني من ارتفاع في الحرارة، وأنا أشعر أنني لست بخير أيضاً. هذه هي الوقائع، مفهوم؟ سأتصل بك لاحقاً».

ووضعت سماعة الهاتف مكانها. إنها لا تستطيع التشاجر معه، اليوم. يمكنه أن يفكر بما يشاء.

رنّ جرس الهاتف على الفور، تنفست كاي بعمق وشجعت نفسها قبل أن تجيب.

- كاي، إذا احتجت لأي شيء اتصلي بي.

كان ذلك ميتشل، وحمل صوته نوعاً من الاهتمام جعلها فجأة ترغب في البكاء. يا للسخرية!

تمكنت من إبعاد التأثر عن صوتها، وقالت: «شكراً لك، سنكون بخير. لكن، شكراً بكل الأحوال».

في تلك الليلة نهضت كاي من فراشها عدة مرات من أجل أميلي، كما ساعدت أمها في الذهاب إلى الحمام مرتين. كانت لينورا ضعيفة جداً لتنهض بمفردها. علمت كاي أنها هي أيضاً أصيبت بالانفلونزا، فصداع رأسها لا يوصف، وهي تشعر بالبرد وبشرتها رطبة من الحرارة، وكل ما تقوم به يحتاج إلى مجهود كبير. عند الصباح أدركت أنها مريضة جداً ولم تعلم كيف ستتمكن من الاستمرار. كل ما قامت به هو أن تصلي آملة ألاّ تمرض جورجيا أيضاً.

مرّ الصباح بسرعة وهي تحضر الشراب الساخن، وتعطي الأدوية، وتتأكد من حرارة إميلي. وعندما رنّ جرس الهاتف في الطابق الأرضي كادت تتعثر وهي تحمل إميلي بين ذراعيها لتأخذها إلى الحمام. شعرت كاي أنها متعبة جداً حتى لتنادي وتسأل من المتصل عندما سمعت جورجيا تتحدث إلى شخص ما.

كانت تغطي إميلي في سريرها عندما ظهرت جورجيا قربها، وقالت باهتمام بالغ: «كان هذا ميتشل. قلت له إن الجميع بحال سيئة ما عداي، فقال لي إن عليّ مساعدتك. فماذا يجب أن أفعل؟».

استلقت كاي على سرير جورجيا، بجانب سرير إميلي للحظة، بينما راحت الغرفة تدور أمام ناظريها. همست بضعف: «فقط كوني فتاة عاقلة، والعبي بألعابك إلى أن أحضر لك الفطور بعد دقائق».

لاحظت أن ابنتها هزّت رأسها وخرجت من الغرفة، فأغمضت عينيها ثانية، متمنية أن تتخلص من هذا الدوار. بدا لها كأن لحظة واحدة فقط مرت عندما سمعت أصواتاً في الطابق الأرضي، لكنها علمت أنها نامت قليلاً. أجبرت جسمها على التحرك. جلست ومدت ساقيها على السرير الصغير، ثم نهضت لتسير بصعوبة نحو الباب.

أمسكت بمقبض الباب بقوة وظلت متعلقة به ما إن تحركت جميع الأشياء أمام ناظريها. سمعت صوتاً عميقاً يقول: «ما الذي . . . ؟».

وذلك مباشرة قبل أن تشعر بنفسها وقد رفعت عن الأرض.

أدركت كاي أنها تتمسك به، لكنها لم تتمكن من رؤية وجهه بوضوح. قالت: «ميتشل، أشعر أنني مريضة جداً».

سمعت صوت لينورا تنادي من غرفة النوم الأخرى. من الواضح أنها تتساءل ما الذي يجري في المنزل. أصيبت كاي بالرعب، وقالت: «يجب ألاّ تنهض من السرير. ستسقط وتؤذي نفسها».

لم يجب ميتشل على ذلك بل صرخ: «هنري، اصعد إلى هنا».

أجفلت عندما تردد صدى صوته في رأسها. سمعت ميتشل يطلب من هنري أن يذهب، ويؤكد لأمها أن كل شيء بخير، آه! كيف ستتقبل أمها دخول رجل غريب إلى غرفتها، لم تعرف كاي لذلك جواباً. لكن مع وجود ميتشل هنا، وهو يتولى زمام الأمور شعرت فجأة أنها عاجزة بشكل مطلق، ضعيفة وخائرة القوى، وأن عليها بذل الكثير من المجهود لتبقي عينيها مفتوحتين. كان يحملها قريباً من صدره، وقوته وحيويته تلفانها. بعد ذلك شعرت بنفسها توضع في سرير جورجيا مرة ثانية. قال لها ميتشل: «ابقي مستلقية، كاي، ولا تتحركي. سأذهب للتحدث مع لينورا».

بدأت إميلي بالبكاء فأضاف: «لا بأس، صغيرتي. أمك مريضة مثلك».

جاهدت كاي بقوة لتتمكن من الجلوس، مدّت ذراعيها وقالت: «اعطني إياها، ميتشل. أرجوك».

جلست تحتضن إميلي وهي تستمع للأصوات القادمة من غرفة النوم المجاورة، لكن كان عليها أن تبذل الكثير من الجهد لتتمكن من تمييز ما يقال هناك. إذا كان ميتشل مستعداً للبقاء لمدة ساعة فقط أو ساعتين، ستتمكن من النوم قليلاً لتستعيد بعض نشاطها.

استيقظت بعد فترة، لتحدق بعينين متعبتين بميتشل، الذي سار إلى داخل الغرفة قائلاً باختصار: «تم تدبير كل الأمور».

انحنى ليحمل إميلي التي كانت نائمة في حضن كاي، وتابع: «ستذهبين معي إلى المنزل».

- ماذا؟

ما زالت تعيش تلك الأحلام المتقطعة المزعجة التي تعاني منها منذ أن أصيبت بالانفلونزا. لا بد أنها كذلك. لا يمكن أن يكون ميتشل قد قال ما اعتقدت أنه قاله.

رأته يعطي الفتاة النائمة إلى هنري الذي ظهر عند الباب، وبعدها استدار إليها ليقول: «ستحتاج جورجيا وإميلي إلى العديد من الثياب وإلى ثياب للنوم. فأين هي ثيابهما؟».

حاولت أن تخرج الكلمات من فمها المتألم: «ميتشل، أنا لن أذهب إلى أي مكان. ما الذي تتحدث عنه؟».

- سآخذكنَّ جميعاً إلى منزلي.

لم تكن تلك دعوة، بل قراراً حاسماً.

- لا مجال لذلك!

لم تكن مريضة إلى هذه الدرجة، تابعت: «لدي الكثير من الأمور التي عليَّ القيام بها هنا من أجل عيد الميلاد».

- انتقل عيد الميلاد كله معنا.

نظر إليها بنفاد صبر، وتابع: «الهدايا التي خبأتها أنت وأمك عن التوأمين قد وضعت في صندوق سيارتي، ووضع عليها غطاء. أخذت أيضاً بعض الألعاب من صناديق الألعاب لتجد الفتاتان ما تلعبان به في الأيام القليلة القادمة. وما إن نحزم أمتعتهما حتى نكون قد انتهينا».

انتهينا! انتهينا! أهو مجنون؟ قالت بضعف: «أمي، ثيابنا . . .».

- كل شيء في السيارة.

قالت بصوت بالكاد يسمع: «وضعت أمي في سيارتك؟».

قال بصوت يتسم بالمرح من نبرتها المرتعبة: «ليس في الصندوق مع بقية الحاجات».

لو لم تكن تشعر بإعياء شديد لنظرت إليه بغضب، لكنها قالت: أدويتها . . .».

- قلت لك إنه تم الاهتمام بكل شيء.

قال ذلك وقد بدا بعض الانزعاج في صوته. سار إلى خزانة التوأمين بينما

كانا يتكلمان. فتحها وأخذ منها العديد من الثياب. قال وهو يضع كومة من الثياب على سرير إميلي: «هذه تكفي. ألديك حقيبة؟».

- هناك حقيبة كبيرة للرياضة على سطح الخزانة.

إنها لا تستطيع أن تجادله، فليس لديها القوة لذلك، لكنها لم تصدق أن هذا يحدث فعلاً، وبموافقة أمها أيضاً. بدون شك، لقد اتفقا على ذلك بينهما كانت هي نائمة.

- سآخذ الحقيبة إلى السيارة، ثم أعود إليك.

قال ذلك بهدوء، ونظر إليها بعينين يتعذر فهمهما ما إن حزم الملابس.

تمتمت: «من المؤكد أن سيارتك لن تتسع لنا جميعاً».

قال باختصار: «أتيت بسيارة خاصة للرحلات».

- آه، أحقاً؟

لم تكن تعلم أن لديه سيارة كهذه. يبدو أن لديه سيارة لكل مناسبة. فكرت وهي تشعر بثقل المرض ما إن غادر الغرفة.

فقط عندما سمعت وقع قدميها على الدرج تمكنت من استيعاب أنه خطط ليأخذهنَّ جميعاً إلى منزله طالما أنه أحضر سيارة تتسع لهنَّ. لم تكن متأكدة من شعورها حيال ذلك، لكن الآن ليس الوقت المناسب لتكتشف عواطفها. بذلت مجهوداً قوياً ووقفت على قدميها، شعرت كأن ساقيها لا تنتميان إليها.

كانت قد وصلت إلى منتصف الدرج عندما عاد ميتشل من المدخل الأمامي.

أطلق شتيمة لم تسمعها من قبل بصوت ناعم. ثم قال بغضب، وهو يحدّق بها: «ما الذي تحاولين القيام به، كاي؟ إثبات أمر ما بكسر عنقك؟».

تمتمت بضعف: «لا تصرخ بي، أنا لست واحدة من النساء اللواتي تعشنَ فقط بانتظار دعوتك».

هزّ رأسه وهو يراها تتمسك بالعمود عند الدرجة الأخيرة. قال: «ليتك كنت كذلك! انظري إلى نفسك. تكادين تموتين من التعب، وما زلت مصممة على عدم التراجع ولو قليلاً. يحق للنساء العظيمات أن يمرضن، كما تعلمين، كما يحق لهنَّ بعض أيام للراحة».

- ربما!

راحت الغرفة تدور أمامها، وأجبرت نفسها على الاعتراف أن تلك الخطوات القليلة قد أخذت منها كل قوتها. تابعت: «لكنني إن لم أهتم بجورجيا وإميلي وبأمي لن يفعل ذلك أحد غيري».

- مخطئة!

رفعها بين ذراعيه كأنها لا تزن شيئاً، وقال بصوت مهذب: «للأيام القليلة القادمة أنتنَّ جميعاً تحت رعايتي، وأنت ستفعلين تماماً ما يطلب منك. لِمَ لا تكونين مثل لينورا؟ فهي لا تتشاجر وتقاتل من أجل أتفه الأشياء».

على الرغم من حبها الكبير لأمها، شعرت كاي أنه أهانها. قالت بحرارة، و هي ترتجف من الألم في رأسها: «أكرهك!».

حدَّق بها، وبدت عيناه الزرقاوان ثاقبتي النظرات لدرجة جعلتها تغمض عينيها، وقال: «ربما! لكن الكره هو الوجه المقابل للحب».

- هاه!

هذا كل ما استطاعت التفوه به وهي مستمرة في إغماض عينيها.

قال بنعومة: «لا بدّ أنني مجنون».

بدا صوته دافئاً من خلال المرح الذي ظهر فيه وهو يسير عبر الغرفة إلى الباب الأمامي. انحنى والتقط غطاءً كان قد وضعه هناك، ولفه حولها، متجاهلاً اعتراضاتها وهو يتابع: «لم أحظَ بواحدة فقط صاحبة شعر أحمر تحت سقف بيتي، بل بأربعة لفترة عيد الميلاد».

ذكّرته بمرارة لا تخلو من الغضب: «لكن الباقيات لا يناقشن ولا يختلفن معك على أتفه الأشياء».

- صحيح!

وبالفعل، كانت لديه الوقاحة ليضحك وهو يخرج من المنزل بعد ظهر ذلك اليوم المثلج. أغلق الباب وراءه قبل أن يسير بخطى واسعة عبر الممر نحو السيارة الأنيقة التي كانت بانتظارهما بجانب الطريق، ورأت كاي هنري وراء المقود أما أمها وابنتاها فكنَّ يحدقنَ بقلق عبر النافذة، وقد لبسنَ جميعهنَّ ثياباً أشبه بثياب سكان الأسكيمو.

نامت كاي معظم الوقت خلال اليومين التاليين، وشعرت براحة أكبر عندما غادرت إميلي الفراش في صباح اليوم التالي.

أصرّ ميتشل على الاتصال بطبيبه الخاص لمعاينة المنزل المليء بالمرضى، لكن هذا الأخير أكد ما قيل سابقاً، وكرر النصيحة بالراحة وتناول المشروبات الحارة والأدوية.

بعد ظهر يوم عيد الميلاد بدأ الثلج بالتساقط. لأول مرة منذ أن أصيبت كاي بالانفلونزا، استطاعت الاستلقاء والتحديق إلى الخارج من النافذة من دون أن تشعر أن رأسها سيتمزّق إلى أشلاء. كانت تسمع أصواتاً من الطابق الأرضي، أصواتاً اخترقت أحلامها لمرة أو أكثر خلال الأربع والعشرين ساعة الأخيرة، لكنها لم تكن قادرة على الاستجابة والنهوض. شدَّت على شفتيها بقوة ما إن سمعت الصوت الذي تعرفه جيداً، صوت ضحكات ابنتيها. الحمد لله! الفتاتان بخير. قال لها هنري إن أمها تشعر بالتحسن عندما أحضر لها بعض الحساء في وقت سابق.

لن تفوت الفرصة لتكون بقرب ابنتيها في أمسية ليلة الميلاد. أجبرت كاي نفسها على الجلوس، مع أنها كانت تشعر بارتياح كبير وهي مستلقية بأمان ودفء وقد بدأت آلام المرض الذي انهكها تزول. لاحظت أن رقع الثلج الكبيرة تتساقط أمام النافذة بجمال لا يوصف.

كانت غرفة نومها فائقة الجمال، يطغى عليها اللونان القشدي والأصفر الذهبي الناعم، أما السجاد فهو ذو لون قشدي داكن. علمت كاي أن غرفة التوأمين عن يمينها وغرفة أمها عن يسارها، لكن ما عدا بعض الزيارات القصيرة من جورجيا وإميلي، فهي لم ترَ أحداً.

أبعدت كاي الغطاء عنها ومدّت ساقيها إلى جانب السرير، ثم سارت ببطء نحو الحمام. كان عليها أن تبذل الكثير من الجهد وأن ترتاح عدة مرات قبل أن تنتهي من الاغتسال وارتداء ملابسها. ربطت شعرها إلى الوراء بعيداً عن وجهها، وجلست على حافة سريرها لعدة دقائق بعد أن أصبحت جاهزة، منذهلة من إحساسها بالتعب.

ما إن أصبحت في الردهة حتى سمعت ضحك الطفلتين، فتبعت الصوت.

www.rahmatrewayat.com

وصلت إلى أسفل الدرج، لكن ما إن دفعت باب غرفة الجلوس ووقفت هادئة تتأمل المكان حتى اعترتها دهشة كبرى.

تحوّلت الغرفة إلى مهرجان للاحتفال، الزينة والأشرطة المعدنية اللماعة تزيّن الجدران وكل مكان متوفر كما بدا لعيني كاي المنبهرتين، لكن ما شدَّ انتباهها هو شجرة الميلاد الكبيرة. إنها تقف في روعة حقيقية في آخر الغرفة، أغصانها مزيّنة بالأشرطة اللمّاعة وبالحلى وبالأشياء المبهرجة، وقد وضع تحتها حوض كبير مليء بالرزم الملفوفة.

كانت إميلي مستلقية على إحد المقاعد الكبيرة التي وضعت قرب النار المشتعلة، منشغلة بصنع سلسلة من الأوراق مع هنري، وأمها مستلقية على أريكة أخرى قريبة منها وهي ترتدي ثوباً للمنزل وقد وضعت غطاءً فوق ساقيها، أما ميتشل وجورجيا فكانا يجلسان معاً على الأرض ويلفان رزمة.

بدا المشهد رائعاً، مريحاً، ويوحي بالإلفة. وهذا يعني أن الأشخاص الخمسة يشعرون بسعادة كاملة برفقة بعضهم البعض. بينما كانت كاي تراقب شعرت فجأة بالبرد. إنها الدخيلة التي تراقبهم من بعيد. قد يكون ما تفكر فيه، سخيفاً، لكن هذا ما شعرت به.

فجأة رفعت إميلي رأسها ورأتها، صرخة الفرح التي أطلقتها جعلت الجميع ينظرون إلى الباب. ما هي إلاّ لحظة حتى كانت جورجيا قربها. أمسكت يدها وقادتها لتجلس بقرب إميلي. ابتعد هنري، وسرعان ما ابتدأت الفتاتان تتحدثان بسرعة عجيبة.

- هل أحببت شجرة الميلاد والزينة، ماما؟ أردنا ان نفاجئك.

- وهناك هدايا لك ولجدتي تحت الشجرة، لكن لا يُسمح لنا بأن نقول ما هي.

- هدايانا هي مع سانتا كلوز. كتب العم ميتش له ليخبره أننا هنا في عيد الميلاد، لذلك بإمكانه أن يحضر كيس الهدايا إلى هنا.

- لقد احتجنا لدهور لنجعل كل شيء جميلاً، ماما.

جاءت الجملة الأخيرة من جورجيا. قالتها الفتاة بدون حماس. فأدركت كاي أن وجهها يظهر ما تشعر به. لكن كلمة «العم ميتش» قد أصابتها بضربة

قوية وفي وضح النهار. هذا تماماً ما تخشاه! هذا هو السبب الوحيد الذي منعها من الخروج برفقة أحدهم عندما كانت طفلتاها صغيرتين، ولهذا ترددت بشكل خاص مع ميتشل غراي.

لم ترد لابنتيها أن تتعاملا مع «الأعمام» فهي تعرف ما يحصل مع صديقات في مثل وضعها، فما إن يتعرف أطفالهن إلى عم حتى يختفي ويحل مكانه عم جديد. فالأعمام يمرون مروراً سريعاً. وهذا أمر منطقي، أليس كذلك؟ إذا كان آباء الأطفال غير مستعدين للبقاء بقربهم، فما بالك بالأعمام؟

أجبرت نفسها على وضع ابتسامة مشرقة على وجهها، فوضعت إميلي في حضنها، ولفت ذراعها حول جورجيا، التي كانت تقف قرب ركبتها. قالت: «إنها حقاً رائعة بشكل لا يوصف، عزيزتاي! لا بد أنكما عملتما كثيراً. لا أستطيع تصديق ما أرى».

نجحت محاولتها، وفي الحال أشرق وجها الفتاتين، وعادتا إلى التحدث معها، لكن عينيها التقتا بعيني ميتشل. كان ينظر إليها متأملاً، وأعماق عينيه الزرقاوين تلمعان، وكأنه قرأ ما تفكر فيه.

حدَّقت به وهي تعلم أن عليها أن تقول شيئاً، لكن عقلها استسلم للجاذبية المطلقة التي تنبعث منه. كان يرتدي بنطلون جينز وقميصاً خفيفاً وهو حافي القدمين، وقد بدا شعره أشعث. لم تره يوماً هكذا من قبل، فعادة ما يكون شعره مصففاً بعناية، وأنيقاً مثله تماماً. أما من تراه أمامها فهو ميتشل آخر؛ ها هي ترى الآن وجهاً آخر من شخصيته المعقدة. لكن على الرغم من أن هذه الشخصية تبدو أكثر تحبباً وأقرب إلى الطبيعة من الشخصيات الأخرى، إلاّ أنها تثير قلقها أكثر من ذي قبل.

قالت أمها التي تجلس على الأريكة المواجهة: «عزيزتي، كيف تشعرين؟ ذهبت إلى غرفتك منذ ساعة أو أكثر.. قبل أن أنزل إلى هنا، لكنك كنت نائمة».

استدارت كاي لتنظر باتجاه أمها، وأجبرت نفسها على الابتسام وقالت: «متعبة قليلاً لكنني أفضل بكثير من السابق».

لم تعرف كاي إن كانت أمها قد خمنت ما شعرت به عندما كانت تراقبهم لأنها قالت: «هذه هي المرة الأولى التي أنهض فيها أنا أيضاً. حتى إنه لا يمكن

القول إنني نهضت، لأنني حملت إلى هنا ووضع عليّ الغطاء ومُنعت عن الحركة. كل ما ترينه هنا قد تم تحضيره البارحة، كما يبدو».

قال ميتشل بنعومة وعيناه على وجه كاي الشاحب: «احتاجت الفتاتان للقيام بشيء ما كي لاتفتقدا أمهما».

شعرت كاي بالتوتر وهي تلتقي بنظراته مرة ثانية، قالت بقسوة: «كنت لطيفاً جداً معنا، شكراً لك. لا أستطيع تخيل كل هذه المشاكل التي وضعناك فيها».

كان قد وقف على قدميه عندما أسرعت جورجيا لملاقاتها. وضع يديه في جيبي بنطلونه، وبدت ملامح وجهه غير مقروءة حين قال: «لا مشكلة. من أجل هذا وجد الأصدقاء في النهاية».

تدفقت الدماء إلى وجهها الشاحب. لا بد أنه أحس بما فكرت به قبل قليل. تابع بصوت ساخر: «بالإضافة إلى ذلك، هذه المناسبة سمحت لنا، أنا وهنري، أن نشعر بأننا ولدان من جديد. أليس كذلك، هنري؟ وقد نقوم بصنع رجل الثلج إذا تساقط الثلج بمقدار كاف».

- لم أصنع يوماً رجل ثلج...

تركت جورجيا كاي قبل أن تتمكن من إيقافها، ثم سارت وأمسكت بساق ميتشل، وشدت بنطلونه لتجذب انتباهه وهي تابع «... سقطت قشرة رقيقة من الثلج السنة الماضية، لكنها ذابت بسرعة».

- أحقاً؟ هذا محزن، عزيزتي!

جعّد ميتشل بيده لفائف شعر الطفلة، وتابع: «سأخبرك ماذا سنفعل. سأتحدث إلى سانتا كلوز ليترك لنا المزيد من الثلج لصنع رجل ثلج هذه السنة. ما رأيك بذلك؟ وعندها سنتمكن من صنع رجل مع عينين كبيرتين من الفحم وأنف من الجزر».

رفعت جورجيا نظرها ببراءة إلى بطلها، وقالت: «لا تستطيع إميلي الخروج في البرد، عليها أن تبقى في الداخل وتراقب».

بدأت شفة إميلي السفلى بالارتجاف وهي تقول: «لا! لن أبقى. أريد أن أصنع رجل الثلج، أنا أيضاً».

عمرهما أربع سنوات، وها هما تختلفان عليه منذ الآن! فكرت كاي بيأس. ما سرّ ميتشل غراي وتأثيره بجنس النساء؟ حتى أمها... هناك إشراق واضح على وجهها، لا يعود سببه إلى حرارة النار التي تشتعل في المدفأة!

قال ميتشل بحزم: «ستصبح إميلي بألف خير بعد يوم أو اثنين».

قرص أنف الطفلة لتعلم أنه لا يوافقها الرأي، وتابع: «صنع رجل الثلج هو عمل يقوم به كل أفراد العائلة، اتفقنا؟».

هزّت جورجيا رأسها بإعجاب، فتأوهت كاي بصمت.

- والآن، هناك هديتان لمناسبة عيد الميلاد لفتاتين صغيرتين، وأعرف أنهما على شجرة الميلاد.

ابتسم ميتشل للتوأمين متابعاً: «يمكنكما البحث عنهما. ليس تحت الشجرة بل عليها».

قفزت إميلي عن حضن كاي، وعبرت الغرفة نحو الشجرة بعد لحظات فقط من وصول جورجيا. وجدت الفتاتان الهديتين بدون أية مشكلة. عندما فتحتا العلبتين وجدتا لعبتين ترتديان فستانين جميلين، لهما شعر طويل، ومعهما قفازات ومعاطف وكل ما يلزمهما. بدت اللعبتان متشابهتين تماماً، لكن واحدة منهما ترتدي ثياباً بلون الفضة والثانية بلون الذهب.

راقبت كاي كيف عادت الفتاتان وهما تتراقصان لتشكرا ميتشل بدون أي إبطاء. وعندما قال إن اللعبتين هما هديتان منه ومن هنري، ذهبتا على الفور وعانقتا هنري أيضاً، قبل أن تجلسا على السجادة أمام النار لتلعبا بلعبتيهما الجديدتين.

- إنهما فتاتان رائعتان، كاي. وأنت تربيهما بطريقة جيدة.

كان هنري يجلس مع أمها، وما إن انضم ميتشل إليها على الأريكة حتى شعرت كاي بالتوتر. قالت: «شكراً».

سألها بنعومة: «كيف تشعرين؟».

كان يجلس بجانبها ولم يكن قريباً جداً منها. مع ذلك راح كل عصب في جسمها ينبض بتوتر، وجدت نفسها غير قادرة على إبعاد نظراتها عن عينيه. قالت: «أشعر أنني ضعيفة جداً، وهذا يفاجئني».

لم تكن ترغب في قول ذلك، لكن قربه منها أثر فيها وجعلها تقول الصدق.

- لم تأكلي إلا السوائل لمدة أربع وعشرين ساعة. تتحدث الأخبار عن مدى تأثر الجميع، شباناً وعجائز بالانفلونزا. إنه مرض خطير جداً.

- الحمد لله إن جورجيا ما زالت تبدو بخير.

نظرت إلى الفتاتين اللتين بدت لفائف شعرهما كاللهيب أمام توهج النار، وتابعت: «منذ أن كانت طفلة صغيرة، والجراثيم تبتعد عنها بطريقة ما، بينما المسكينة إميلي تلتقط كل الأمراض المتواجدة في الهواء».

- لا بد أنه أمر صعب أن تكوني أنت وحدك المسؤولة عنهما، لا سيما عندما وُلدتا.

حرّكت يديها في حضنها وقالت: «أحياناً!».

أبقت عينيها على الرأسين الصغيرين، وتابعت بطريقة دفاعية: «لكنهما كانتا، وبطريقة ما، تتحديان كل الصعاب، كما أنهما دائماً طفلتان سعيدتان، وغير متطلبتين».

قال بلطف: «لم أكن أنتقد، كاي، فأنا أستطيع أن أرى أي أم عظيمة كنت وما زلت».

- لا شك أن بيري كان سيبدو أباً مرعباً، فهو لم يفكر أبداً إلا بنفسه. كان ليجعل حياتهما بائسة. ما يؤكد ذلك هو أنه لم يحاول أن يراهما مطلقاً.

- كاي! مهما كان الأمر، أعتقد أنك فعلت الصواب بالتخلص منه.

حدّق بها قبل أن يتابع: «هل قال لك بعضهم إن عليك البقاء معه مهما كلف الأمر، ومن أجل مصلحة الطفلتين؟».

- بالطبع!

لطالما آلمها ذلك بشكل كبير، مع أنها كانت تقول لنفسها إنهم لا يملكون أية فكرة عما يجري وراء الأبواب المغلقة.

أصبح صوته أقسى بسبب الغضب وهو يقول: «الأغبياء هم دائماً من يعطون رأياً متسرعاً. لقد نشأت في منزل يشبه ساحة القتال في معظم الأوقات. صدقيني.. التوأمان محظوظتان جداً. لديك ابنتان سويتان وسعيدتان، وهما خير دليل على أنك فعلت الصواب باتباعك حدسك. لا تشكي بذلك أبداً».

أمر مضحك! لم تتوقع كاي هذا التفهم والشعور بالاستحسان منه...

ليس من ميتشل. فهي لم تتحدث مطلقاً عن شعورها لأي مخلوق، حتى أمها، لكن يبدو أن ميتشل خمّن بطريقة غريزية كل مخاوفها وشكوكها. تلك المخاوف التي عملت على إبقائها محبوسة في داخلها طوال الوقت.

- من الأفضل ألاّ يكون لهما والد أبداً على أن يكون لهما والد يجعلهما تعيشان في الجحيم، كاي.

أمسك يدها، وشعر بها ترتجف تحت يده قبل أن تهدأ ثانية.

حل الظلام خارج المنزل الدافئ، لكن مع تساقط الثلج بصورة دائمة بدا المنظر رائعاً في الحديقة، فالأرض المكسوة بالثلج ازدادت توهجاً تحت الأضواء المنبعثة من النافذة. كانت أمها وهنري يتحدثان بهدوء، وبصوت منخفض لا يسمع، والتوأمان منشغلتان باللعبتين، وبدا لها أن اللحظة مناسبة لتقول: «تأثرت كثيراً من تصرف والدك، أليس كذلك؟».

رأت وجهه ينغلق كلياً أمامها، وللحظة اعتقدت أنه سيبتعد عنها. بدلاً من ذلك شدّ على يدها أكثر، وقال بمنتهى الوضوح والصراحة: «عاشت أمي حياة مستهترة تماماً. كانت تخرج مع أي رجل وفي أي وقت، لكن قبل ذلك بوقت طويل كنت أعلم أنها لا تحب أبي أو شقيقتي أو تحبني. لا أعتقد أنها كانت قادرة على الاحساس بأي نوع من الحب».

همست كاي: «كنت تعلم أن لديها علاقات، حتى عندما كنت صغيراً؟».

قال بمرارة: «لا أستطيع تذكر وقت لم أكن أعلم فيه. كانا يتشاجران. لا! هذه كلمة لطيفة جداً لوصف ما كان يحصل فعلاً. كانا يتقاتلان، بالمعنى الصحيح للكلمة. كانت تهاجمه بعنف وهو يحاول الابتعاد لفترة، لكنها تعود فتهاجمه بعنف أكبر. كسرت له ذراعه مرة؛ كنت في التاسعة من عمري ويمكنني أن أتذكر صراخه عندما ضربته بمذكي النار. يومها قال إنه سيرحل نهائياً، لكنه بالطبع لم يفعل. لا تسأليني لماذا، لأنني لا أعتقد أنه كان يحبها رغم ذلك كله».

- آه، ميتشل!

شعرت كاي بألم كبير وبتعاطف أكبر معه. ألم من أجله الآن، وألم من أجل الولد الصغير المرتبك الحائر الذي كانه. ومن أجل الفتاة التي أُحيطت بكل ذلك

الجنون. تابعت: «وشقيقتك؟ هل كانت أصغر منك؟».

هزّ رأسه ولوى شفتيه بمرارة ثم قال: «لطالما اعتدت على الاهتمام بها. وذلك قدر استطاعتي؛ كانت طفلة هادئة، خجولة، تخاف حتى الموت من أمنا. معظم الأحيان عندما نعود من المدرسة كنا نجد المنزل فارغاً، ثم يأتي أبي من عمله... أحياناً قبل عودتها وأحياناً بعدها. لم تحاول مرة أن تنكر ما تقوم به، فهي لم تهتم يوماً لمشاعر أحد.

«كنت أعمل في توزيع الجرائد، جولة قبل المدرسة وجولة بعدها. كنت مصمماً على توفير المال لإبعاد كاثلين والذهاب برفقتها إلى مكان ما. في العادة، كنت أرجع إلى المنزل قبل فترة طويلة من عودة أبي، لكن في تلك الليلة بالتحديد تعطّلت دراجتي. وحسب أقوال الجيران، كان أبي بانتظار أمي وعندما عادت اكتشف أنها تقابل رجلاً يعمل معه. جرّها إلى السيارة لتذهب وتقابله أمام زوجته وعائلته. أما، لِمَا أخذ كاثلين معه فلا أعرف! ربما أراد أن يشعر ذلك الرجل بفداحة عمله، أو ربما لم يشأ أن يتركها بمفردها في المنزل. بكل الأحوال، يومها اصطدمت سيارته بشاحنة... وانتهت القصة».

وضعت كاي يدها فوق يده، وضغطت عليها وهي تقول: «لم تكن تلك غلطتك، ميتشل. كيف لك أن تعلم أنه سيفعل ذلك؟ وأنه سيأخذ كاثلين معه؟».

رفع كتفيه العريضتين وقال: «كنت محط آمال كاثلين... كانت تثق بي. كان يجب أن أكون هناك... ما كان عليّ السماح لها بالذهاب معهما».

جاء صوته مليئاً بالألم ما جعلها ترمش بعينيها لتمنع دموعها من التساقط تأثراً.

- ربما كان والدك ليجبرك على الذهاب أيضاً، ما كان سيتسبب بقتلك معهم. ولفقدت حينها أربعة أرواح بدلاً من ثلاثة.

- لفترة طويلة تمنيت لو أن ذلك ما حدث فعلاً.

نظر إلى وجهها، ولوى شفتيه وهو يتابع: «كنت شاباً غاضباً جداً، كاي. كنت ثائراً، مليئاً بالمرارة ومتهور التصرفات. قمت بأشياء لا أشعر بالفخر بها، وأعتقد أن الحظ وحده ساعدني كي لا أنتهي في السجن. وفي أحد الأيام كنت

ومجموعة من الشبان نتسابق على الدراجات، فقتل أحد أصدقائي أمام عيني، وهذا ما جعلني أتبدل كلياً. أدركت أنني أريد أن أعيش بعد كل ما حدث».

قالت بنعومة: «أنا سعيدة لأنك قررت ذلك».

لم تقصد كاي أن تحمّل كلامها معنى عميق، ولم يحمل صوتها أي أثر لمشاعر غير عادية. لكن ما أخافها حتى الموت هو الرغبة في التخفيف عنه، وفي إبعاد تلك النظرة الحزينة من عينيه... ومواساته إلى أن يشعر بالارتياح. أصدقاء! هذه الكلمة تسخر منها. العواطف التي تشعر بها نحو ميتشل لا علاقة لها أبداً بالصداقة، ولم تكن كذلك أبداً، كما أنها لا تشبه مطلقاً الاعجاب المفرط والحب الأول الذي قادها إلى الزواج من بيري أيضاً.

توقف صوت الموسيقى التي تعزف ألحان عيد الميلاد في جهاز الستيريو في الغرفة. نهض ميتشل على قدميه، وسأل جورجيا وإميلي: «هناك فيلم رسوم متحركة يدعى «عيد ميلاد سانتا المميز» وهو سيبدأ بعد قليل. هل ترغبان بمشاهدته؟».

حدّقت كاي به وهو يسير نحو التلفزيون الضخم ليشغّله. هل ما يحدث هو من فعل مخيلتها؟ هل شعر بالصدمة بسبب ما قالته؟ هل فعله هذا انسحاب متعمد؟ هل شعر أنه قال الكثير، وأفصح عن الكثير من مكنونات نفسه؟ كيف بإمكانها التعامل مع ذلك؟

ما إن جلست التوأمان على مسافة مناسبة أمام التلفزيون وهما تمسكان بلعبتيهما، اتكأت كاي على الأريكة وأغمضت عينيها. شعرت بميتشل يسير عبر الغرفة مرة ثانية، لكن عندما فتحت عينيها رأته يلتقط غطاء ويلفه حول إميلي الصغيرة وهي تجلس مع جورجيا على الأرض. عمله هذا بدا مؤثراً للدرجة أن كاي أرادت أن تبكي.

اعترفت كاي أنها استمتعت فعلاً بما تبقى من الأمسية، مع أنها نامت مرتين قبل تقديم العشاء.

بدت جورجيا وإميلي متحمستين جداً، فلم يكن هناك داعٍ للإصرار عليهما للذهاب إلى سريرهما في الوقت المعتاد للنوم. وهكذا، تناولت الفتاتان الصغيرتان العشاء في غرفة الطعام الكبيرة مع الكبار، بدتا سعيدتين جداً

كالآخرين تماماً. كادتا أن تناما أثناء تناول الحلوى، وعندما رفعهما ميتشل، كل واحدة على ذراع، صعدت كاي معه لتضع ابنتيها في السرير. أحست أن ما يجري مريح جداً، ومليء بالعاطفة والألفة، لكنها لا تستطيع القيام بشيء بشأن ذلك في الوقت الحاضر.

نامت الطفلتان على الفور ما إن لمس رأساهما الوسادتين، فقد كانتا متعبتين من الحماسة التي شهدها يومهما ومن توقعاتهما بالنسبة للغد.

لم يستعجلها ميتشل لتغادر، وقف قربها وهي تراقب ابنتيها النائمتين لعدة دقائق.

قال بنعومة: «أنت تحبينهما كثيراً. أليس كذلك؟».

كادت تقول له بالطبع أحبهما، فهما طفلتاي، لكنها تذكرت ما قاله لها في الطابق الأرضي، فأجابت ببساطة: «هما عالمي».

تنفس ميتشل بهدوء وقال: «أعلم ذلك».

أدار رأسه ورفع وجهها إليه بإصبعه، وتمتم في ذلك الصمت الهادىء، بصوت ينم عن حزن ما: «اعتقدت أن من السهل جداً مواعدتك».

- لم تجد الأمر كذلك!

- لا! بالطبع إنه ليس كذلك، وأنت تعرفين ذلك. أليس كذلك، كاي؟ فأنا أريدك وأحتاجك.

شدّها إلى خارج الغرفة بينما كان يتكلم، وأغلق الباب بهدوء وراءهما، ثم أخذها بين ذراعيه في الردهة الخافتة الضوء. لم يكن عليه أن يقول لها ما الذي يريده، فالشوق إليها بدا واضحاً في عينيه وفي ملامح وجهه. تمسكت كاي به، ورأسها يدور، ليس بسبب الانفلونزا بل بسبب شعورها بقربه. بادلته عناقه هي أيضاً... لا يمكنها ألاّ تفعل، فهي دائماً تعانقه، إنه تأثير ميتشل غراي عليها! فكرت بذلك بمرارة للحظة واحدة قبل أن تذوب في عناقه من جديد.

سمعا أصواتاً في القاعة تحتهما، ثم سمعت صوت هنري يقول شيئاً ما لأمها وهو يفتح باب غرفة الطعام، وشمت رائحة القهوة تعبق في الهواء. شعرت بميتشل يبتعد عنها وهو يتنهد بأسى. رأت صدره يرتفع ويهبط وهو يستقيم في وقفته. وقالت بصوت أجش: «لسوء الحظ، علينا أن نتزل».

- نعم.

راحت تتنفس بصعوبة، وقد تورد خداها وأخذت يداها ترتجفان. لم تكن تعلم أن لديها كل هذه القدرة على الإحساس ولو مرَّ عليها مئة عام.

شعرت بالدوار... رفعت يداً مرتجفة إلى شعرها، وتعثرت قليلاً. وعلى الفور مدّ ميتشل يديه ليساعدها كي تقف ثابتة، وجاء صوته حزيناً وهو يقول: «تباً! نسيت أنك ما زلت متوعكة. لماذا لا أستطيع إبعاد يدي عنك؟».

- لا أعرف السبب.

- أنا أعرف. لأنك جذابة وملفتة للأنظار.

- أنا؟!

ابتسمت كاي بالرغم عنها. وتابعت: «أنا لست إحدى عارضات الأزياء الفاتنات اللواتي تعرفهنَّ، ميتشل. أنا مدركة لذلك تماماً. فأنا أملك مرايا في منزلي، كما تعلم».

تركها تسير أمامه، وتراجع خطوة إلى الوراء ليتأملها بعينين صافيتين رغم الغموض المسيطر على وجهه. قال بهدوء، وصوته يحمل سخرية مبطنة: «أولاً، ليست لدي علاقات بفاتنات يعملنَ في عرض الأزياء، كاي. ثانياً، مهما كان ما ترينه عندما تنظرين إلى المرآة، فأنا أرى امرأة جميلة دافئة، لم تشعر بعد بسحر أنوثتها. وثالثاً، أنا لا أقول أي شيء لا أعنيه».

حدّقت به، والتقت عيناها بعينيه... اقترب منها مرة ثانية، ولمس بإصبعه خدها ما جعلها تشعر بغصة في حلقها، وتابع: «شعر أحمر يتوهج كالنار عندما يمسه الضوء، عينان بنيتان عميقتان وناعمتان كالمخمل، وبشرة ناعمة جميلة كالرخام. كيف يمكن ألاّ تري ذلك، كاي؟».

لم تجرؤ أن تفكر أن هذا يعني أي شيء أكثر من خطة إغواء مجربة وناجحة من قبله. لقد قال لها إنه لا يريد أي ارتباطات أو أي شيء قد يدوم؛ لقد كان واضحاً جداً بذلك. ربما لو لم تكن أماً للتوأمين... لو أنها مسؤولة فقط عن نفسها وليس عليها أية مسؤولية، لاختلف الأمر. ربما لكانت خاطرت بالافصاح عن مشاعرها نحوه، متمنية أنه سيحبها في نهاية الأمر، وأنه عندما يحين الوقت للوداع لن يدعها ترحل.

www.hanasatrewaiya.com

لكن، لديها التوأمين، وهي لا تستطيع العبث بأمنهما واستقرارهما، ومهما كان الذي يقوله، فهي لا تزال غير قادرة على التصديق أن رجلاً مثل ميتشل غراي، بإمكانه الحصول على أية امرأة يريدها، قد يهتم لامرأة مثلها لوقت طويل. فهي معتدلة القامة، يعلو وجهها النمش، وليس فيها ما هو مميز. أما هو . . . إنه رائع الوسامة!

تسبب بيري بإيذائها، لكنها تمكنت من التخلص من كل ما أصابها، فاستجمعت قوتها وتابعت حياتها. لكن إن خانها ميتشل . . . إن منحته قلبها ثم سئم منها . . .

أدارت رأسها بعيداً عن نظرته الثاقبة. رفعت كتفيها، وقالت متعمدة أن يبدو صوتها ناعماً قدر الإمكان: «الجمال هو أمر نسبي، أليس هذا ما يقولونه؟ أليس من الأفضل أن ننزل الآن؟».

لم يحاول أن يلمسها، بل قال: «بالطبع! لكن من العدل أن أعترف لك أنني لا أستسلم أبداً، كاي. وأنا دائماً أحصل على ما أريده».

شعرت أنها أكثر عرضة للتأثر مما كانت عليه طوال حياتها. فحتى بعيد رحيل بيري، وبعدما أدركت أنها حامل، وأن عليها مواجهة مرحلة تربية الطفلتين بمفردها، لم تشعر يوماً بهذا الإحساس من اليأس. لكنها لن تدعه يعرف مدى تأثيره بها. أجبرت نفسها على السير نحو الدرج، وقالت من وراء كتفها: «آه! لكن هل تحصل دائماً على ما تستحق، سيد غراي؟».

سمعته يضحك بصوت عال، ثم يقول: «أمر مؤثر، سيدة شيروود!».

ما إن دخلا غرفة الطعام رأت كاي أمها تنظر إليها باهتمام واضح، بعد ذلك قالت لينورا القلق بادٍ في صوتها: «عزيزتي، أنت شاحبة جداً. لقد قمت بالكثير من الجهد، وهذا أول يوم لك بعد الفراش».

تمسكت كاي بتلك الفرصة وقالت: «إني متعبة فعلاً!».

وتلك هي الحقيقة! فجأة، لم تعرف كيف ستضع قدماً أمام الأخرى لتتمكن من صعود الدرج ثانية. نظرت إلى الأشخاص الثلاثة حولها نظرة سريعة، وتابعت: «سآوي إلى الفراش، إن كنتم لا تمانعون. عمتم مساءً، وعيد ميلاد سعيد!».

قال ميتشل بصوت ناعم كالحرير: «سأرافقك. لا نريدك أن تسقطي عن الدرج. أليس كذلك؟».

تجاهل اعتراضاتها، وأمسك بذراعها. ثم قال مخاطباً لينورا وهنري: «سأعود في غضون ثوانٍ؛ وأريد قهوة مرّة، هنري».

تمتمت كاي ما إن أصبحا قرب الدرج: «يمكنني تدبر أمري، شكراً. ارجع وتناول قهوتك».

- امرأة صغيرة عنيدة! ألست كذلك؟

ابتسم لها، لكن عينيه أظهرتا الجدية وهما تنظران إلى وجهها الشاحب وإلى الظلال تحت عينيها. تابع قائلاً: «أمك على حق. تباً! لقد قمت بالكثير من الجهد. عليّ أن أنتبه لذلك في المستقبل».

لا يمكنها تقبل المزيد من ذلك. ولسبب ما، شعرت أن كل عصب من أعصاب جسمها تعرض لهجوم هذه الليلة.

- والآن، لنأخذك إلى السرير.

قال ذلك بمكر متعمد، ففتحت فمها لتجيبه بكلام لاذع لم تتمكن من قوله، لأنه قاطعها ببساطة عندما حملها بين ذراعيه.

- ضعني على الأرض، ميتشل. أستطيع السير.

- ربما! لكن هذا أفضل.

نظر إليها وهو يصعد الدرج، عانقها عناقاً سريعاً حبس أنفاسها. بدا قوياً جداً، ورائعاً جداً . . . انحنت كاي على صدره القاسي، وتمنت لو أن اللحظة تدوم إلى الأبد. تمنت لو أنها طويلة، جميلة، شقراء ولديها قدرة على جذب الرجل بقوة؛ تمنت لو أنه لم يتعرض لكل ذلك الأذى من المرأة الوحيدة التي كان بإمكانه أن يثق بها في حياته، والتي صنعت الشاب ميتشل وحولته إلى هذا الرجل. تمنت . . . آه! تمنت الكثير من الأمور، وتمنت تحقيق كل الأحلام.

كان ميتشل يضمها إليه بقوة، ما جعلها تشعر بالأمان. عندما وصلا إلى غرفة النوم، وضعها على الأرض أمام الباب، ونظر إليها متسائلاً: «أفترض أنك تريدينني أن أتركك هنا؟».

لا! لا تريد ذلك. لكنها قالت: «نعم، من فضلك. ميتشل، هدايا الفتاتين

. . . نحن نضعهما عادة في كيس وسادة تحت الشجرة في المنزل».

- تم الاهتمام بكل شيء. أنا وهنري أحضرنا كل شيء، وسنضعها هنا قبل أن ننام. قالت لينورا إن هناك أيضاً شراباً بالنعناع وقطعة صغيرة من فطيرة الحلوى. سنشرب كمية من الشراب، ونأكل قطعة الحلوى أيضاً. بالطبع، يجب أن يحافظ سانتا كلوز على صحته.

- شكراً لك.

قال بنعومة: «يسعدني ذلك. لقد مرحنا جميعاً».

قالت كاي غير مصدقة: «انقلب بيتك رأساً على عقب، فقد امتلأ بالمرض».

ابتسم وهو يخفض رأسه ليعانقها عناقاً ناعماً. ثم وقف مستقيماً وقال بصوت أجش: «أنت هنا، وهذا ما يجعل الأمر ممتعاً».

- عمت مساء، ميتشل. وعيد ميلاد سعيد!

قالت ذلك هامسة وهي تفتح الباب. دخلت الغرفة بسرعة وأغلقت الباب وراءها من دون أن تنظر إليه ثانية. وقفت متكئة على الخشب لعدة لحظات، فيما راح قلبها يدق بسرعة وساقاها ترتجفان.

ابتعدت عن الباب وهي تشعر بالتعب. عبرت الغرفة نحو النافذة، ونظرت إلى الأسفل فإذا الثلج قد غمر الحديقة. وقفت هناك لدقيقة أو أكثر قبل أن تسدل الستائر.

أتراها تحلم بالحصول على القمر؟

٧ - جدار بين قلبين

لا بد أن التوأمين كانتا متعبتين جداً بسبب الحماس والتوقعات الخاصة بليلة الميلاد، لأن الساعة كانت قد تجاوزت السابعة عندما فُتح باب غرفة نوم كاي بقوة، ودخلتا منه وهما ترتديان بيجامتيهما، ورمتا بنفسيهما على السرير.

- ماما! إنه صباح عيد الميلاد.

- ها قد أتى العيد، ماما.

تلك الملاحظة الأخيرة كانت من إميلي، أما جورجيا ذات التفكير العملي فأضافت: «هل أتى سانتا كلوز؟ هل ترك لنا هدايا؟».

- لا أعلم، حبيبتاي.

كانت كاي قد نامت بعمق وبدون أية أحلام. جلست في سريرها، ثم أبعدت شعرها عن عينيها، وضمت ابنتيها وهي تقول: «هل نذهب لنرى ماذا هناك تحت الشجرة؟».

- يا لها من فكرة جيدة!

صوت ميتشل العميق عند الباب جعل التوأمين تقفزان. بسرعة رفعت كاي الغطاء حتى ذقنها. اتكأ ميتشل على الباب وقد بدا شعره أشعث وهو لم يحلق ذقنه بعد، فشعرت كاي بقلبها يضرب بعنف.

كان يرتدي رداءً حريرياً أسود وبيجاما تناسبه، ويبدو فائق الجاذبية. فكرت أن ما من رجل يملك الحق ليبدو بهذه الوسامة عند الصباح!

سأل ميتشل كاي: «ألا تظنين أن الجدة ترغب في الانضمام إلى ما سيحدث؟».

رفع حاجبيه، وعندما هزّت كاي رأسها موافقة أضاف: «اذهبا واستدعياها، صغيرتاي. لكن افعلا ذلك بلطف. اتفقنا؟ اجعلاها تستيقظ

www.kanasatrewaia.com

بلطف».

ما إن مرّت الفتاتان أمامه حتى لمس شعر كل واحدة منهما وجعّده، وبعد ذلك، ولدهشة كاي، دخل إلى وسط الغرفة وسار نحو السرير. صرخت به: «ما الذي تعتقد أنك تفعله؟».

- أريد أن أقول صباح الخير.

انحنى وعانقها برقة قائلاً: «صباح سعيد».

- يجب ألاّ تكون هنا.

حتى إنها لم تمشط شعرها أو تغسل وجهها، وبوجود التوأمين وأمها في الغرفة المجاورة...

رفع ميتشل حاجبيه بسخرية وقال: «اعذريني، لكنني أظن أنني أعيش هنا. أليس كذلك؟».

قال ذلك بكسل وكأنه لم يفهم مقصدها: «كما أنها ليست المرة الأولى التي أراك فيها في السرير فأنت هنا منذ ثلاثة أيام».

- كنت مريضة في ذلك الوقت.

- عليّ أن أخلصك من مخاوفك تلك.

نقر نقرة سريعة بإصبعه على رأس أنفها، وسار نحو الباب وهو يقول: «كنت أكثر مرحاً عندما كنت مريضة. كنت تتقلبين وتتحركين بطريقة رائعة في بعض الأحيان. هل ما زلت ترتدين قميص النوم ذا الشريطين الناعمين على الكتفين؟».

- أكنت تختلس النظر إليّ؟

احمر وجهها من الخجل، وشعرت بالغضب من نفسها لأجل ذلك.

اعترض ميتشل ببراءة: «ما ذنبي إذا ما استمريت في إبعاد الغطاء عنك بحماس؟».

- أنت، أنت..!

- انهضي وارتدي رداء النوم واجعلي من نفسك امرأة متزنة. فهناك أطفال حولنا.

ابتسم ميتشل لها فنظرت إليه بغضب.

هزّ رأسه متأسفاً، وقال: «أين روح الميلاد لديك، كاي؟ أين إرادة الخير لكل البشر؟».

أغلق الباب وهي تتأفف لكن ليس قبل أن يضيف: «من الأفضل أن تسرعي فجورجيا وإميلي مستعجلتان للنزول».

أخيراً نزلوا جميعاً إلى الطابق الأرضي، وانضم هنري إليهم عند ردهة الطابق. بدا هو أيضاً مميزاً جداً وهو يرتدي بيجاما داكنة اللون ورداء نوم مخططاً.

ما إن انهمكت التوأمان في عملية إفراغ كيس الوسادة من الهدايا، أوما ميتشل برأسه لهنري فغادر الرجل المتقدم في العمر الغرفة وعاد بعد فترة قصيرة وهو يحمل رزمة كبيرة ملفوفة.

قال ميتشل بنعومة: «هذه من هنري ومني، جورجيا وإميلي. نتمنى لكما ميلاداً سعيداً».

كانت الهدية عبارة عن بيت كامل للعبة مع مفروشاته الحديثة الطراز، ومعه أيضاً مجموعة من الألعاب بما فيها طفل في عربته. وبدت التوأمين فرحتين بشكل لا يوصف.

عندها تبادل البالغون الهدايا، شعرت كاي بالرضى لأنها أحضرت هدية لميتشل وهدية صغيرة لهنري، قبل أن تصاب بالمرض؛ قفازات جلدية للقيادة وشال من الكشمير استلمهما ميتشل بفرح، مع أن هذه الهدية بدت عديمة القيمة بالمقارنة مع الساعة المصنوعة من الذهب الأبيض والماس التي قدمها لها.

- آه، ميتشل! إنها جميلة جداً.

حدّقت بها كاي بتعجب. لم تفكر يوماً في أن تحظى بأي شيء غالي الثمن مثلها، لا بد أنها كلفّت ثروة. قالت: «لكنني لم أحضر لك شيئاً جميلاً بالمقابل».

أسكتها ميتشل بوضع إصبعه على شفتيها، وقال بنعومة: «كنت بحاجة إلى قفازات جديدة، والشال رائع. وكنتِ بحاجة إلى ساعة جديدة. فقد لاحظت أن ساعتك تتوقف دائماً أو تشير إلى الوقت خطأ».

فكّرت كاي كم هو لطيف لأنه لم يقل إن ساعتها القديمة هي ساعة مزيفة.

www.kanzastrewaira.com

نظرت إليه بعينين واسعتين وقالت متلعثمة: «شكراً لك».

بعد أن تلقت هدية رائعة كهذه، تساءلت لماذا تراها ترغب في البكاء!

قاطعهم هنري في تلك اللحظة: «الشاي والتوست والكعك المحلّى للجميع».

فجأة عاد ليستلم مهام تدبير المنزل والطاهي أيضاً عندما تابع: «لن أحضر فطوراً كاملاً لأنني أريد أن أحظى بكل التقدير لغداء الميلاد، الذي سيقدم عند الساعة الواحدة بالتحديد».

أضاف محذراً: «وستحدث مصيبة لكل من يقول إنه ليس جائعاً، أو يقدم أعذاراً تتعلق بفقدان الشهية بسبب الأنفلونزا».

- هل يمكنني مساعدتك؟

هذا ما قالته لينورا. أجاب هنري بطريقته القديمة المعتادة: «سيكون مرحباً بك حقاً! شكراً».

نظرت كاي إلى ميتشل ورأته يحدّق بصديقه باستغراب واضح. همست: «ما الأمر؟ لماذا نظرت إلى هنري هكذا؟».

عندما غادر هنري وأمها باتجاه المطبخ، وبقيت الفتاتان، تلعبان بفرح بمنزل اللعبة، ابتسم ميتشل ابتسامة مليئة بالفضول والفرح، ثم قال وهو يهز رأسه مفكراً: «طوال سنين معرفتي به لم يسمح هنري لأحد أن يدخل إلى حصنه المنيع في المطبخ. أنا حقاً أعني لا أحد. أمر مثير للدهشة!».

حدّقت كاي به ما إن استوعبت تماماً ما قاله، وعلّقت: «أنت لا تقصد...».

- أعتقد أن هنري معجب بأمك.

راقبها للحظة، ثم تابع وهو يسألها بهدوء: «هل تمانعين؟».

بالطبع، يسعدها أن ترى أمها تحظى باهتمامات تتخطى أمور عائلتها. قالت بحزم: «لا! لا أمانع مطلقاً».

بدأ الثلج بالانهمار بينما كانوا يتناولون الفطور، ومرت فترة الصباح بتكاسل، أمضاه الجميع بالجلوس حول النار يراقبون الطفلتين تلعبان، وهم يستمعون إلى الموسيقى من جهاز الراديو. أمضى البالغون الوقت وهم يتحدثون

بشتى المواضيع بينما كانت رائحة الحبش المشوي تنتشر في الهواء.

بعد أن قدم هنري القهوة المميزة بطعمها والكريما المخفوقة، مع صحن من الخبز الشهي المصنوع في المنزل، اتكأت كاي على الأريكة بجانب ميتشل وهي تشعر بالارهاق من الاحتفال. استيقظت بعد بعض الوقت وهي تشعر بالاحراج لأنها نامت قليلاً، كان رأسها ملقى براحة على صدره وذراعه تحيط بها وتضمها إليه.

توتر جسمها، ورفعت عينيها بحذر لتحدق بعينين زرقاوين صافيتين. قال يخاطبها: «أنت لا تصدرين شخيراً أثناء النوم، لكنك تتأوهين بين فترة وأخرى بطريقة ناعمة ساحرة، كأنك ملاك في الجنة».

شعرت كاي بالدم يتدفق إلى خديها، فضحك ميتشل بنعومة. جلس مستقيماً وهو يقول: «أنت لست الوحيدة التي سيطر عليها النعاس، انظري إلى هناك».

رأت كاي أمها مستغرقة في النوم على أحد المقاعد الطويلة، وفوقها غطاء يصل إلى خصرها: «هذا سيفيدكما حقاً، فما زلت تبدين هزيلة».

هزيلة! وماذا يعني بذلك؟ سألته راغبة في تبديل الموضوع أكثر من أي شيء آخر: «أين الفتاتان؟».

- تساعدان هنري في إعداد عجينة من الحلوى للشاي. في الواقع لقد أعدّ الحلوى للشاي لعيد الميلاد، لكن يبدو أن هذا الميلاد تحول إلى احتفال عائلي...

ورفع كتفيه بلا مبالاة.

هل يمانع؟ كان هناك شيء ما في صوته لم تستطع كاي أن تفهمه، لا بد أن لديه مخططات أخرى لقضاء عيد الميلاد في النهاية. فرجل مثل ميتشل غراي لا يجلس في المنزل في مثل هذه المناسبة.

انحنى ليلمس شعرها بذقنه، وتمتم كأنه يحدث نفسه: «رائحتك رائعة. ما العطر الذي تضعينه؟».

- عطر للأطفال.

رجع إلى الوراء ليحدق بها: «عطر للأطفال؟ هل تمزحين؟».

هزّت رأسها نافية وقالت: «عندما حملتني من المنزل لم أكن في حالة جيدة لأفكر بأي عطر أو مسحوق للتجميل، كما تعلم. والتوأمان لديهما عطر ومستحضر سائل بين أغراضهما، لذلك أنا أستعمله».

هزّ رأسه، ولمعت عيناه بالضحك وهو يقول: «هل تريدين إخباري أنني أنفقت ثروة عبر السنين على عطور باهظة الثمن كهدايا، وطوال الوقت كان بإمكاني الاكتفاء بعطر للأطفال؟».

حدّقت به. ومن دون قصد منها تذكرت مرة ثانية أنه النوع الذي يحب النساء ويتركهنّ بالسرعة نفسها. قالت بصوت عادي: «أنا أم، وهذه الرائحة أصبحت طبيعية بالنسبة لي مع السنين».

لم يكن يبتسم الآن وهو يقول: «وهذا يعني...؟».

قالت بحذر: «لا يعني شيئاً. ما عدا أن من تعرفهنّ من النساء معتادات على عطر شانيل وغوشي وأنا معتادة على عطر الأطفال، وبعيدة عن المنافسة. هذا كل شيء. بإمكانهنّ أن يسافرن عبر العالم لحضور أي اجتماع مهم ومميز في غضون لحظات، أمّا أنا فعلي التأكد إن كانت أمي قادرة على البقاء مع الطفلتين، وحتى مع ذلك ستبقى أفكاري معهما، لا سيّما إذا كانت إحداهما مريضة أو منزعجة بسبب شيء ما. وهذان عالمان مختلفان جداً ميتشل».

كان كلاهما يعلم تماماً عما تتكلم. سألها بنعومة: «أليس هناك جسور للتواصل؟».

لا، ليس الأمر كذلك! ابتسمت كاي بمرارة، وقالت: «لا أعتقد ذلك، إنها حالة تنافس بين الفراشات وعثة العثب، على ما أظن».

قال بخشونة، وقد أصبح صوته قاسياً: «أنت لست عثة، إلا إذا اخترت أن تكوني كذلك».

- قدرتي على الاختيار قد انتهت منذ أربع سنوات.

نظرت إليه بشجاعة. كانت ترتجف من الداخل لكنها تمكنت من أن تبدو قوية ومتماسكة وهي تتابع: «وما كنت لأرغب بها في أية طريقة أخرى. كل عطور شانيل وغوشي لا تقارن مع ابتسامات طفلتي. ماسات كارتي لا قيمة لها بالمقارنة مع السوار المزيف وخاتم البلاستيك اللذين أهدياني إياهما. إنها أشياء

تشتريانها من الخردة، لكنهما تعتقدان أنها جميلة. وهي كذلك لأنها منهما».

هزّ رأسه وقال: «يمكنني تفهم ذلك».

- لكنك لا تستطيع تقبل ذلك، ألا ترى؟ هما تقدمان لي حبهما غير المحدود وثقتهما الخالصة، وعليّ القيام بكل شيء للتأكد من أن عالمهما غير مهتز وأن ليس هناك ما يزعجهما.

تابعت، متعمدة ألاّ تتفهم ما قاله: «هما صغيرتان ميتشل، ولا تفهمان شيئاً عن الابتعاد والرحيل والعلاقات المؤقتة واستبدال شخص بآخر، وأنا لا أريدهما أن تعلما بهذه الأمور... ليس الآن. هناك وقت كاف لكل شيء عندما تكبران وتصبح لديهما طريقتيهما في الحياة. قد تتعرضان للخسارة والرفض حينها، أمّا الآن فالاستقرار والحياة الراسخة هي الأهم بالنسبة إليهما. ستقومان بالكثير من الأعمال الخاطئة، فهذا أمر محتم... هذه هي الحياة... لكنني لا أريدهما أن تعانيا من غلطة أقوم بها أنا. ألا يكفي أنهما محرومتان من الأب؟».

ساد صمت مقلق محشور بالأحاديث والأفكار المضطربة. لم تكن تريد قول ما قالته في النهاية. فكرت كاي وهي مشتتة الأفكار. في الحقيقة لم تكن تعلم أن هذا ما تشعر به فعلاً، لكنه كان مدفوناً في أعماق ضميرها. اخطأت فعلاً بالزواج من شخص حقير كبيري، وها هما ابنتاها تدفعان الثمن بعدم وجود والد لديهما.

أخيراً قال ميتشل: «لا يمكنك إلقاء اللوم على نفسك لأن بيري تحول إلى ما هو عليه، كاي».

بدأت أمها تتحرك، فقالت كاي بسرعة: «أعلم ذلك».

- أحقاً؟ لا أعتقد أنك تعلمين.

لا يمكنها أن تفعل ذلك. حقاً لا يمكنها. قالت بصوت ضعيف: «هل يمكننا التحدث عن هذا الأمر في وقت لاحق؟».

هزّ رأسه، ثم رفع ذقنه قبل أن يتمتم: «يبدو لي أن هناك الكثير الكثير من الكلام بيننا. ذلك الجدار الذي بنيته لإبعاد الدخلاء ما زال قوياً كالفولاذ، أليس كذلك؟».

الجدار الذي بنته! ماذا عن الجدار الذي لفه حول نفسه؟ حدّقت به كاي، وذكرته بهدوء: «أنت من قلت إننا من نوع واحد، وأنت أيضاً بنيت جداراً حول نفسك، ميتشل».

لم يعد هناك وقت لقول أي شيء لأن التوأمين عادتا، سعيدتين وفخورتين بالمجهود الذي بذلتاه، وهذا ما أيقظ لينورا. لكن طوال وقت الغداء الشهي الذي أعده هنري وفي فترة بعد الظهر وجدت كاي نفسها تعيد ما قالته مراراً وتكراراً حتى شعرت بدوار في رأسها. هل أفصحت عن الكثير؟ ربما! اعترفت أنها فعلت، لكن فات الأوان الآن.

تناول الجميع الحلوى مع التوأمين عند الساعة الخامسة، وبدا من الواضح أن الصغيرتين متعبتين. عند الساعة السادسة استحمتا وارتدتا ثياب النوم وركضتا إلى السرير، وقد بدتا كملاكين. قبلتهما كاي وتمنت لهما ليلة سعيدة.

ما إن خففت كاي الأنوار سألت جورجيا وهي شبه نائمة: «أين العم ميتشل؟ ألن يقبلنا قبلة المساء؟».

– ليس الليلة، عزيزتي. إنه يتكلم مع جدتك وهنري.

لم تقل كاي ذلك قبل أن تترك غرفة الجلوس لكن نيتها بدت واضحة؛ إنها ترغب في وضع الفتاتين في سريرهما بدون مساعدة أحد. رأت ميتشل ينظر إليها بقوة، كأن عينيه تبحثان في وجهها، لكنه لم يعترض، ولم يحاول أن يتبعها.

مرّت عدة أيام فقط لكن جورجيا وإميلي أحبتا ميتشل كثيراً. قالت كاي ذلك لنفسها وهي تنزل ببطء على الدرج لتنضم إلى الآخرين. عليها أن تهدىء الأمور كثيراً، وأن تضع مكابح عاطفية على ما سيحدث.

. عضت على شفتها وهي تفكر أنه كان لطيفاً جداً معها... معهن كلهنّ، وهي تقدر ذلك. هي فعلاً تقدر له ذلك، لكن ذلك لا يغير الوقائع. كانت مجنونة منذ البداية بالموافقة على رؤيته، والآن فجأة، خرج الأمر عن سيطرتها ليصبح معضلة كبرى. إنه يريدها وبدون أي التزام. كانت تعلم ذلك، كانت دائماً تعلم ذلك، لذلك كل ما يحدث هو غلطتها وحدها.

حاول إغواءها بمئة طريقة مختلفة. وفي الحقيقة، وجودها معه هو إغواء لها بحد ذاته، لكنه لم يكذب عليها. كان واضحاً منذ البداية. قال ما يريده بوقاحة

وهذا ليس مريحاً أبداً.

ما إن وصلت إلى باب غرفة الجلوس حتى سمعت أمها تضحك في الداخل، ضحكة دافئة، سعيدة هي أقرب إلى القهقهة. توقفت كاي عند الباب، وشعرت بقلبها يضرب بقوة. مرّت سنوات لم تسمع فيها تلك الضحكة. في الحقيقة، آخر مرة سمعتها فيها كان والدها ما يزال حياً.

كاي تعلم أن والديها كانا يحبان بعضهما كثيراً. لقد تشاركا حباً خالصاً لم يفرقهما إلاّ الموت بعده. وقد تخيلت أنها وبيري حصلا عليه فعلاً، لكن حب والديها كان حباً حقيقياً. والآن، ها هي أمها تضحك مع هنري. تغضن جبين كاي. هل هذا يعني...؟ لكنها لجمت بسرعة أفكارها المتسارعة التي قفزت لتصورهما يسيران معاً في الممر إلى المذبح ليتزوجا.

قالت لنفسها بجدية: حبا بالله! أمها ومدبر منزل ميتشل لم يتعرفا على بعضهما إلاّ منذ أيام قليلة. لم تكذب عندما قالت لميتشل إنها سعيدة لأنهما أعجبا ببعضهما البعض، وإذا تطورت الأمور بينهما إلى ما هو أعمق، فهي أيضاً ستكون سعيدة. لكن الوقت فقط سيحكم.

مع ذلك وجدت كاي نفسها تقف لدقيقة كاملة محاولة أن تستجمع قوتها، قبل أن تجد نفسها قادرة على فتح الباب والانضمام إلى الآخرين. لماذا تبدو الحياة معقدة ومليئة بالمشاكل؟ سألت نفسها ذلك قبل أن تضع ابتسامة مشرقة على وجهها وهي تدخل إلى غرفة الجلوس الدافئة. نظرت حولها والتقت بعيني ميتشل الثاقبتين الغاضبتين في الناحية الأخرى من الغرفة، وحصلت فوراً على الجواب.

٨ - لن أبتعد!

نظراً لوجود هنري وأمها، لم تجد كاي صعوبة في أن تمثل دوراً لما تبقى من الأمسية. تمكنت من القول، وبطريقة عادية، إن لدى التوأمين دعوة لحضور حفلة عيد ميلاد بعد يومين، لذلك من الأفضل العودة إلى المنزل بعد يوم الاهداء. أكدت بعناية أنهنَّ جميعاً ممتنات للطف ومساعدة ميتشل، لكن بالطبع لا بد أنهنَّ أزعجنه كثيراً. والآن بعد أن أصبحنَ كلهنَّ بألف خير، فمن الأفضل أن يعود كل شخص إلى حياته الطبيعية.

ابتسم ميتشل رداً على ما قالته، لكن ابتسامته جاءت من فمه فقط، أمّا ملامح وجهه فبدت قاسية كالفولاذ، وكذلك عينيه. حاولت كاي تجنب التقاء نظراتها بنظراته طوال السهرة.

عند الساعة الحادية عشرة، وبعد أن تثاءبت أمها للمرة المئة، وتحدثت عن رغبتها في الذهاب إلى فراشها، قفزت كاي لتنضم إليها. بقيت ملتصقة بلينورا كالصمغ وهما تقولان عمتما مساء للرجلين، وبعدها صعدت الدرج معها، إلى غرفتي نومهما.

- حسناً! ما الأمر؟

ما إن وصلتا إلى الردهة، أمسكت لينورا بذراع ابنتها، وأضافت: «هل تشاجرتما؟ أم حدث شيء ما؟».

- ما حدث هو أكثر من شيء ما.

همست لينورا: «لماذا؟ ومتى؟ اعتقدت أننا كنا معاً طيلة النهار. متى تمكنتما من التشاجر؟».

- لم نتشاجر. إنه مجرد...

لم تعرف كاي ما الذي ستقوله، لكنها أدركت، بدون أي شك، أن أمها

ستقف إلى جانب ميتشل مهما قالت.

همست بهدوء: «ميتشل لا يبحث عن علاقة دائمة».

ونظرت إلى الوراء، كأنه سيقفز في أية لحظة أمامها، وتابعت: «وأنا لا أريد أن يصيب ابنتي أي ارتباك أو انزعاج عندما يرحل. فهما تحبانه كثيراً».

سألتها أمها: «من قال إنه يخطط للرحيل؟».

- أنا... هو... آه...!

حدّقت كاي بأمها بغضب قائلة: «قال ذلك بوضوح... إن مقاصده غير شريفة. مفهوم؟ مجرد علاقة لعدة أسابيع أو شهور، ما دام يشعر بالمرح، وبعد ذلك نفترق بدون أي ندم. هكذا يتعامل مع الناس... قال لي ذلك بوضوح عندما التقينا لأول مرة، إذا أردت معرفة ذلك».

سألت لينورا بهدوء: «ومع ذلك وافقت على مقابلته؟».

عضّت كاي على شفتها السفلى: «ليس بالتحديد، لم يكن الأمر كذلك. هو لم يقبل كلمة «لا» كجواب، وأصر على أنه يمكننا التواعد كأصدقاء. قلت إن تلك فكرة مجنونة. لكن..».

- تمكن من إقناعك لتبديل رأيك.

رفعت كاي كتفيها بيأس وقالت: «نعم».

- وهل أقمت علاقة معه؟

حدّقت كاي بأمها لعدة لحظات قبل أن تجيب: «لا!».

نظرت لينورا إلى وجه ابنتها المضطرب، فظهرت الرأفة والاهتمام على وجهها. وضعت يدها على ذراع ابنتها وقالت: «تعالي إلى غرفتي للحظة، عزيزتي. أريد التحدث إليك».

للحظة، كادت كاي أن ترفض. شعرت أنها مسحوقة ومجروحة الشعور، وتعاني من آلام عاطفية، ولا تشعر بالرغبة في التحدث، لا سيّما عن موضوع ميتشل، ومع أكثر المعجبات به حماساً.

- أرجوكِ، كاي؟

هزّت رأسها بنكد، وما إن أصبحت في غرفة لينورا حتى سارت إلى أحد الكرسيين الموضوعين تحت النافذة وجلست عليه. قالت: «حسناً!».

www.liilas.com

جلست لينورا على المقعد الآخر قبل أن تبدأ بالكلام: «سأتحدث وكأنني فريق ثالث . . . هكذا أرى الأمر: «التقيتما، وطاردك . .».

ما إن حاولت كاي مقاطعتها، حتى رفعت لينورا يدها وتابعت: «دعيني أنهي كلامي كاي، من فضلك. أكرر: طاردك، حتى بعد أن علم أن لديك عائلة. قال بوضوح إنه يريدك. وبعد ذلك، عندما رفضت رؤيته، اقترح عليك التواعد كأصدقاء».

رفعت لينورا حاجبيها عند هذه النقطة وتابعت: «أصدقاء أقرب إلى الأقارب، أنا متأكدة من ذلك. لكن، في النهاية، لم يتحدث عن سبب لقائكما، أليس كذلك؟».

هزّت كاي رأسها. فهي ليست بحاجة لأن تسمع ذلك. هي حقاً، حقاً ليست بحاجة لذلك.

- أصبتِ بالمرض، ونقل أسرتك كلها إلى منزله لقضاء عيد الميلاد، ويمكنني أن أضيف أنه بذل مجهوداً كبيراً ليعطي الطفلتين أجمل عيد ممكن في مثل هذه الظروف. أهذا صحيح أيضاً؟

علّقت كاي قائلة: «إذاً، ما هي وجهة نظرك؟».

- وجهة نظري هي: مهما كان ما قاله في البداية، أعتقد أنه رجل مختلف عن الشخص الذي تفكرين به.

- آه. . أمي! حباً بالله!

أغمضت كاي عينيها، ووضعت يدها على حاجبها: «أنت من أغلى الناس عندي، لكنك أيضاً تجعليني أرغب في الصراخ في أوقات كهذه، لأنك دائماً تصرّين على رؤية أفضل ما في الشخص الذي يعجبك. اسمعي، أنا أعلم أنك تريدين الخير لي، لكنني أعتقد أنني أعرف ميتشل أفضل منك».

- هل أخبرك كيف أصبح هنري يعمل لديه؟

- هنري؟ لا، لم يخبرني. سألته مرة لكنه قال إنها قصة هنري وهو من يملك الحق في التحدث عنها.

قالت لينورا: «حسناً! أخبرني هنري قصته، وأنا أعلم أنه لا يمانع إن أخبرتك بها».

عندما ترغب أمها في الكلام فلا أحد يستطيع إيقافها. هذا بالإضافة إلى أنها تشعر بالفضول أيضاً، كما اعترفت لنفسها.

بدأت لينورا كلامها بفخر واضح، جعل كاي تتساءل مرة ثانية عن مدى العاطفة التي تكنها أمها لمدبر المنزل الطويل الأرستقراطي الملامح. قالت: «كان هنري واحداً من أفضل الطهاة، ويتقاضى الأجر الأعلى في البلد. عمل في إيطاليا، فرنسا، أميركا، وفي كل أنحاء العالم. ولأنه بقي أعزب، عاش حياة مستهترة. نساء، وسهر ومرح. منذ اثني عشر عاماً كانت له علاقة مع صديقة قديمة له. ويبدو أنها رزقت بطفل، لكنها لم تخبره بذلك أبداً. عاشا معاً بضعة أسابيع فقط وكانت علاقة عابرة بالنسبة إليه، ثم سافرت المرأة إلى أميركا. كانت ثرية جداً ومستقلة ولم تجد من الضرورة أن تخبره أنه أصبح والداً، لأنها لم تكن تريد أي شيء منه».

تنفست لينورا بصوت عال، وفهمت كاي من ذلك أنها لا توافق على ما فعلته تلك المرأة.

تابعت لينورا: «لكنها احتاجت إلى مساعدة منه، مساعدة. . هو الوحيد الذي يستطيع تقديمها؛ كان الطفل مريضاً وهو بحاجة إلى عملية زرع رقعة من النخاع الشوكي، لكن على رغم غنى تلك المرأة وعائلتها فهم لم يتمكنوا من إيجاد مانح. وافق هنري على المساعدة، وبقيامه بذلك التقى بالطفل، ابنه. كان ولداً رائعاً كما يبدو، في الثامنة من عمره، وهو صورة طبق الأصل عن والده. وافق النخاع الشوكي لهنري الطفل، لكن توفي الولد قبل القيام بالعملية».

- آه. . أمي!

بدت كاي مرتعبة، وعلى الفور اعتصر قلبها ألماً، وقد تخيلت نفسها في هذه الحالة مع إحدى ابنتيها.

حدّقت لينورا بابنتها وعيون المرأتين مليئة بالدموع: «ما حدث حطمه، كاي. عاد إلى انكلترا، وحاول متابعة حياته، لكنه شعر كأنه فقد صمّام الأمان. غرق في حالة من الضياع، فأخذ يتغيب عن عمله. وبشكل عام، انهار كلياً. فَقَدَ عمله، ثم حصل على عمل آخر وفقده ثانية، وبعد ذلك أصبح معروفاً بإهماله ولم يعد أحد يستخدمه. تخلى عنه أصدقاؤه، وأصبح في الحضيض تماماً.

رآه ميتشل في أحد الأيام وتعرف عليه كطاه مشهور عرفه مرة، وأخذه إلى منزله».

كانت كاي تجلس على الحافة الأمامية للمقعد، وهي بالكاد تستطيع التنفس، وقد أثارت القصة التي لم تكتمل بعد كل اهتمامها.

- قال هنري إن ميتشل أعطاه المسكن والثياب والطعام، والأهم من ذلك كله أعطاه صداقته، حتى عندما كان في أسوأ حالاته. شخص طبيب ميتشل حالته بالانهيار العصبي وقال إن الشفاء بطيء وبحاجة إلى وقت طويل، لكن مع الأيام اكتشف هنري أنه يريد الحياة بدلاً من الاستسلام والموت.

تنفست كاي بنعومة وقالت: «تماماً مثل ميتشل».

رفعت أمها حاجبيها مستفهمة، فقالت: «ذلك لا يهم، تابعي!

- ليس هناك الكثير لقوله. لم يرغب هنري بالعودة إلى حياته السابقة، حتى لو وجد أماكن ليعمل فيها. توافق شفاؤه مع شراء هذا المكان، فقدم له ميتشل المنزل والعمل ما دام راغباً في البقاء.

قالت كاي بنعومة: «لقد أغرمت بهنري، أليس كذلك؟

تورد خدا لينورا، ما أعطاها إجابة عن السؤال بحد ذاته، ثم قالت: «إنه رجل طيب القلب، كاي، مثل ميتشل».

ها قد عادتا للتحدث عن ميتشل ثانية. تراجعت كاي في مقعدها، محاولة أن تخمن ما الذي يضايقها الآن بشأن قصة هنري المؤثرة، ووصلت إلى استنتاج لمع فجأة في رأسها.

قالت كاي ببطء، وهي تحاول أن تشكل الأفكار برأسها: «أنا لا أنكر أن لديه قدرة رائعة على العطاء في بعض المناسبات، كما فعل مع هنري، وفعل معنا في عيد الميلاد. لكن ألا ترين؟ مساعدته لهنري تنفي المنطق الذي تفكرين به بأنني مميزة لديه ومختلفة عن الآخرين. وهذا ما تحاولين قوله، أليس كذلك؟».

- كاي...!

قالت كاي بحزم مقاطعة أمها: «لا! حان دوري الآن. ما فعله لهنري أمر رائع... إنه حقاً كذلك...! وكما نعلم جميعاً، ميتشل قد يقوم بمليون عمل جيد في حياته، لكن ذلك لا يغير نظرته إلى النساء وإلى الارتباط بهنّ. هناك

أشياء في ماضيه شكلته... أشياء حدثت عندما كان صغيراً، وهو يحتاج إلى امرأة مميزة لتساعده على التخلص من آثار الماضي، أنا...».

قالت لينورا بسرعة: «رائعة!».

ابتسمت كاي وقالت بضعف: «أنا امرأة عادية. واجهي الأمر أمي. إنني كذلك».

- لكنك تهتمين به، مع ذلك.

لو لم يكن صوت أمها حزيناً جداً لربما كانت كاي قادرة على خداعها. لكن بما أن الوضع هو كذلك، ابتلعت غصة بصعوبة، وهي تشعر بالدموع تؤلم عينيها. قالت لنفسها بعنف إنها لا تستطيع البكاء.

- هذا من سوء حظي، أليس كذلك؟ دخلت إلى عالمه وأنا مفتوحة العينين، وأعتقد أنني كنت آمل...

قاطعتها لينورا على الفور بلطف: «تأملين؟».

- أنه قد يقع في غرامي بجنون، خلال الوقت الذي أمضيناه معاً طوال الشهرين الماضيين... كما حدث معي.

جلستا معاً بصمت لعدة لحظات. أمسكت لينورا يدي كاي الباردتين بيديها الدافئتين، وقالت: «وماذا ستفعلين؟».

لم تجب كاي لفترة قصيرة، بعد ذلك نهضت، وشدّت كتفيها قائلة: «سأنهي الأمر قريباً، لكن ليس بطريقة درامية. لأن ميتشل هو ميتشل، سينظر إلى الأمر كتحدٍ له. وأعتقد أن هذا هو السبب الذي جعله يهتم بي في الدرجة الأولى، لأنني لم أقع في شباكه وألاحقه كما تفعل معظم النساء. كنت مختلفة، هذا كل ما في الأمر».

تابعت بمرارة واضحة: «سأفعل ذلك بحذر شديد، سأتخلف عن المواعيد كلما استطعت ذلك، وسأضع بعض العراقيل... شيء من هذا القبيل».

سألت لينورا بشك: «أتعتقدين أن هذا سينجح؟».

- لا بد من ذلك في نهاية الأمر، فهو متكبر، أمي.

تكلمتا لبضع دقائق أخرى، وبعد ذلك قبّلت كاي أمها، وضمتها إليها بقوة للحظة قبل أن تغادر. ما إن أصبحت في الردهة وقفت تصغي قليلاً، لكنها لم

www.mashaerewaya.com

تسمع أي صوت من الطابق الأرضي. سارت إلى غرفة التوأمين. فتحت الباب بهدوء، وسارت على رؤوس أصابعها لتصل بالقرب من الفتاتين النائمتين في سريرهما. وقفت هناك لبعض الوقت. لم تشعر كم طال وقوفها حتى شعرت بطعم الملح على حافة فمها، فأدركت أنها تبكي. مسحت عينيها بظاهر يدها، وشدّت الغطاء أكثر حول ابنتيها الصغيرتين، ثم وضعت الدببين تحت ذراعيهما، قبل أن تغادر بصمت كما دخلت.

ما إن فتحت كاي باب غرفتها حتى كادت تقفز من جلدها. كتمت صرختها براحة يدها ما إن أدركت أن الشخص الكبير الجالس على أحد المقاعد المريحة هو ميتشل.

- أين كانت الحفلة؟.

سألها بسخرية، من دون أن يتحرك، بينما أغلقت هي الباب قبل أن تتقدم خطوتين إلى داخل الغرفة.

- ماذا؟

نظر إلى ساعته الرولكس في يده السمراء، وقال: «أمضيت خمساً وثلاثين دقيقة، وهذا مستغرب من امرأة تدّعي أنها متعبة جداً، ولم تتمكن من إبقاء عينيها مفتوحتين في الطابق الأرضي».

زالت صدمة رؤيته جالساً هناك، وحلّ مكانها الغضب القوي. قالت باقتضاب: «كنت متعبة، لكنني تحدثت قليلاً مع أمي. وهذه ليست جريمة، أليس كذلك؟».

أضافت بانزعاج: «ثم ذهبت لرؤية ابنتي أيضاً، وهذا ما أفعله دوماً، ميتشل. أنا أم!».

أصبحت عيناه باردتين في وجهه الوسيم، وقال: «أنت تذكرينني بذلك بشكل دائم، وهذا ما جعلني أتذكر لما أنا هنا».

نظرت إليه بغضب، وقالت: «هذا ما كان يجب ألاّ تفعله. إنها الساعة الثانية عشرة إلاّ عشر دقائق، وأنا متعبة».

- أمر مؤسف!

قال ذلك بنعومة تحمل مكراً واضحاً في صوته.

قالت كاي بحدة: «كم أنت مضياف حقاً!».

- وأنت لم تكوني بحاجة إلى التحدث بهذه النبرة. عملت على إبعادي طيلة بعد الظهر وفي المساء أيضاً، وأريد أن أعرف السبب. هل ما زال الأمر يتعلق بعالمين مختلفين؟.

قالت بحرارة: «بالطبع، إنه ليس كذلك».

التوتر الذي سيطر عليها بعد الظهر، والارهاق العاطفي بسبب التحدث مع أمها جعلاها تشعر بتحطم أعصابها.

- بِمَ يتعلق إذاً؟

وقف عن الكرسي، وأجبرت كاي نفسها ألاّ تتحرك أو تظهر أية ردة فعل بينما كان يسير نحوها. تابع: «ما الأمر؟ ما هذا الحديث عن كونك أمّا؟ تباً، كاي! لقد كنت أماً منذ اللحظة التي تعرفت فيها عليك. لم تصل جورجيا وإميلي فجأة إلى حياتنا. أنا لن أطلب منك أمراً يسبب لهما الإزعاج، أو يعيق حياتهما أو إحساسهما بالأمان. لا تعامليني كأنني أحد أولئك الذين لا يهتمون إلا بأنفسهم، لأنني لا أحب ذلك أبداً».

قالت بسرعة، وهي تشعر بقلبها يقفز في صدرها: «لم أقل أبداً إنك كذلك».

- حسناً! لكن هذا ما جعلتني أشعر به طوال فترة بعد الظهر.

مرر يده خلال شعره القصير، كأنه يظهر مدى إحباطه وغضبه.

- تباً! لقد سرت معك كمن يسير على قشر البيض طوال الشهرين الماضيين، وكنت دائماً أحذر نفسي لكي أسير ببطء حتى كدت أجن. أينتهي بي الأمر بأن تخافي مني في لحظة ما، وكأنني شيء خرج لتوه من القذارة؟

- هذا غير عادل! غير عادل بشكل لا يوصف.

- بل إنه كذلك، كاي!

كان يقف قريباً جداً منها حتى إنها تمكنت من رؤية الجرح البسيط الذي سببه لنفسه أثناء الحلاقة، فيما ملأت أنفها رائحة عطره الدافئة الخفيفة.

قالت متوترة: «حسناً! إن كنت تشعر بهذا السوء كله فلماذا أزعجت نفسك؟ تواعدنا معاً هو فكرتك إن كنت تتذكر».

- آه! نعم، أتذكر تماماً.

تابع وقد ظهرت لمحة من السخرية في صوته: «أتذكر كل شيء عن ذلك الغداء في موعدنا الأول. صدقيني! سيبقى محفوراً في ذاكرتي حتى يوم مماتي».

شدّها إليه فجأة، واضعاً ذراعيه حولها كأنه يريد أن يضمها إليه إلى الأبد.

- شجار وتحد بلا سبب، وعينان متقدتان، وتنورة قصيرة... بقيت أفكر فيها لأسبوع كامل.

هزّها قليلاً وتابع بصوت يحمل رنة من الهزء بالنفس: «عندما أخبروني أنك هربت من المطعم أدركت أنه ينبغي عليّ أن أبتعد عنك نهائياً. لم أكن بحاجة إلى عداوة مع حورية حمراء الشعر تقول لي اذهب إلى الجحيم! لكنك كنت قد دخلت تحت جلدي، حتى في ذلك الوقت».

رفعت رأسها وحدّقت به وهي غير قادرة على التفوه بكلمة واحدة. راحت عيناه تلمعان بلون فضي من خلال الضوء الخافت للمصباح بجانب السرير. بدا كأن لا وجود للون الأزرق في عينيه. وأدركت كاي ما الذي يحدث؛ الجاذبية الطاغية في أعماق شخصيته تحاول إقناعها بأن الأسود أبيض والأبيض أسود. تراجعت قليلاً إلى الوراء. وهمست: «هذا جنون..! ولن ينجح. لا بد أنك ترى ذلك. نحن مختلفان جداً، ميتشل».

قال بنعومة: «أصبحت مقرباً جداً منك، وهذه هي المشكلة الحقيقية. أليس كذلك؟».

تنفست بعمق، وقالت بشجاعة: «صحيح! لم يكن من ضمن اتفاقنا أن تصبح مقرباً من عائلتي».

تابعت بسرعة: «أنا ممتنة... حقاً... لكل ما فعلته...».

أي شيء آخر رغبت في قوله غاب ما إن عانقها... وجدت كاي نفسها تتمسك به بشوق كبير، فيما راحت الدماء تتدفق في شرايينها بسرعة لم تعهدها من قبل.

عليها أن تتوقف، فما يجري يناقض كل ما كانت تفكر فيه وتتحدث عنه... لكنها لم تستطع تحمل الابتعاد عنه، فهي تريده وتحتاج إليه.

قال وهو يتأملها: «أنت جميلة جداً... أجمل بكثير مما تعتقدين،

عزيزتي».

ظهر صوت كالأنين من أعماق أعماقه، وقال بصوت مليء بالعاطفة: «لا تنظري إلي هكذا، ولا تعتقدي أنني لا أريدك؟ تباً! أشعر كأنني سأصاب بالجنون، ويزداد الأمر سوءاً كلما كنا معاً، لكنني لا أريد أن تجري الأمور بشكل متوتر. ذلك التافه الذي كنت متزوجة منه لم يعرف كم أنت غالية وجميلة. وعندما سنصبح معاً، كاي، سيكون ذلك قراراً من عقلك وجسمك معاً. أريدك أن تعلمي تماماً ما الذي تفعلينه».

قالت محاولة أن تسخر منه رغم علمها بفشل ذلك: «كم أنت متحضر!».

جاء صوته بارداً الآن، حين قال: «قولي ما شئت. لكن عندما نصبح معاً لن يكون لديك أي إحساس بالندم، لأن عاطفتك سيطرت عليك. ستكون تلك فرصة جديدة مختلفة تماماً بالنسبة لك».

رفعت كاي عينيها لتلتقيا بعينيه. ليته فقط يقصد المعنى الحقيقي لكلامه، لكنه يتكلم عن الانجذاب الحسي وليس عن الحب!

قالت باقتضاب، مجبرة صوتها على أن يبدو قاسياً كالفولاذ لتتمكن من السيطرة على الارتجاف الذي تحاول جاهدة أن تخفيه: «وإن لم يحدث ذلك؟».

- بل سيحدث.

كان يتكلم بثقة كاملة، وللحظة شعرت بالكره نحوه. تابع: «ستأتين إليّ بإرادتك، وسأجعل منك المرأة التي يجب أن تكونيها. إنه قدرنا... إنها القسمة والنصيب».

- هذا مجرد تفكير مبني على الرغبة لا على الحقيقة.

لم تعرف من أين وجدت القوة لتتصرف وكأن قلبها لم يكن يتمزق إلى أشلاء، لكنها شعرت بالامتنان لذلك.

قال بنعومة: «ما زلت تقاومين».

انتقلت عيناه إلى شعرها الأحمر، فاشتعلت كاي غضباً وقد فارقها تصرفها البارد الهش. قالت: «لا تجرؤ وتذكر لون شعري، وإلاّ.. سأضربك. ومن فضلك، هل يمكنك مغادرة غرفتي؟ لقد نشأت وأنا أعتقد أنه عندما ينزل أحدهم ضيفاً على آخر فهذا الأخير لا يحق له زيارته ساعة يشاء».

www.hanaatewaya.com

تجاهل ما تلفظت به، لكنها رأت عينيه تضيقان على الفور، وعلمت أنه انزعج مما سمعه.

- عمت مساء، كاي.

سار باتجاه الباب، وقد بدا جسمه الطويل النحيل مرتاحاً أكثر مما ينبغي. فكرت كاي بضيق: ها هي هنا تحترق من الداخل وتعلم أنها ستمضي الليل وهي تتقلب في فراشها، بينما يبدو هو أكثر برودة من الثلج. تابع ميتشل يقول: «احلمي بي».

نظرت إليه بغضب، ثم قالت ببرودة وهي تعلم أنها تكذب: «هذا احتمال بعيد جداً!».

- «الهجاء هو مثل شفرة حادة مسنونة، يجرحُ بلمسة من النادر أن يُحَسّ بها أو أن تُرى»، هذا كلامٌ كتبته امرأة منذ أكثر من مئتين وخمسين سنة.

تابع بصوت كالحرير: «هل تعتقدين أن الليدي ماري ورتلي موتاغو كانت لديها أفكار مثل أفكارك؟».

رفعت كاي ذقنها بكبرياء، وهي لا تزال تشعر بتوهج خديها كالنار، وقالت: «أمر محتمل جداً، إذا كان هناك رجال مثلك قربها».

- أووه!

تظاهر أنه أجفل، وما إن فتح الباب استدار عند العتبة لآخر مرة ونظر إليها متأملاً؛ وهي تبدو مشعثة الشعر ومتوهجة الخدين. قال بنعومة: «لا تنسي! سنبني رجل الثلج غداً، وأنا أريدك أن تكوني جاهزة ومستعدة في وقت باكر، وإلا سآتي وأبحث عنك».

كيف يجرؤ على التحدث بهذا الصوت العميق الجذاب بعد أن تجادلا للتو؟ سألت كاي نفسها بغضب. إنها تكرهه... هي حقاً حقاً تكرهه!

كانت لا تزال تفكر برد جارح مناسب عندما أغلق ميتشل الباب.

٩ - العودة إلى الواقع

أطل يوم الإهداء صافياً كالكريستال. بدت السماء زرقاء، أما أشعة الشمس المتلألئة فحولت الثلج السميك إلى سجادة بيضاء لمّاعة، ما جعل التوأمين تكادان تطيران من الفرح.

اختارت لينورا وهنري البقاء في الدفء، وهكذا بقي عل كاي وميتشل بناء رجل الثلج مع التوأمين.

تبدد الاحراج القوي الذي شعرت به كاي عند الفطور عندما التقت بميتشل لأول مرة هذا الصباح. انخرطا معاً في الصراخ واللعب على الثلج مع جورجيا، ومساعدة إميلي بالعمل الجدي والبناء المتقن لرجل الثلج، ما زاد من فرح الطفلتين.

وعندما انتهى «فروستي» كما أسمته جورجيا وإميلي، رفع ميتشل الفتاتين الصغيرتين بذراعيه معاً لتمكنا من وضع القبعة والشال له مع عينين من الفحم، وأنف من الجزر، كما وضعتا بعض الحصى كأسنان ضاحكة له.

قالت جورجيا بوقار: «إنه رائع! أليس كذلك، ماما؟».

واستدارت تحت ذراع ميتشل لتمسك بيد كاي، وهذا ما فعلته إميلي أيضاً. ما إن أمسكت كاي برأس القفازين بين يديها حتى شعرت بعيني ميتشل قريبتين من وجهها، اجتمع الأربعة معاً في ما يمكن تسميته «وحدة عائلية». آلمها ذلك بشكل لا يحتمل.

قالت مظهرة ابتسامتها: «إنه رائع، عزيزتي. أفضل رجل ثلج في العالم».

سواء لاحظ ميتشل الفرح المصطنع في عينيها أم لا، شعرت كاي بنظراته تلهب وجهها، قبل أن يقول: «الآن، وبعد أن لبس فروستي قبعته وشاله، ما رأيكما في الذهاب لإطعام البط في البحيرة؟ لِمَ لا تذهبان إلى هنري وتطلبان منه

بعض الخبز؟».

ما إن هزّت كاي رأسها بالموافقة، حتى أسرعتا بالركض على قدر ما تسمح لهما جزمتاهما الجلديتان.

عندما اختفت الفتاتان داخل المنزل ساد صمت نابض بالحياة والنشاط للحظة وأكثر. بعد ذلك قال ميتشل بنعومة: «كيف كانت أحلامك؟».

اجتاحتها موجة من الغضب جعلتها تجيب بخشونة: «نمت بشكل جيد، شكراً لك».

- أنا لم أنم أبداً.

لم يكن يبتسم بينما كان ينظر إلى عينيها.

- أحقاً؟

رفعت حاجبيها بقدر ما تستطيع، رافضة أن تلتقي عيناها بعينيه، واستدارت لتتأمل الأرض الرائعة الجمال أمامهما في الشتاء، ثم تابعت: «يجب أن تجرب كوباً من الحليب الساخن مع ملعقة من العسل. هذه الوسيلة تنجح دائماً مع التوأمين».

قال بفظاظة: «أعلم جيداً ما هو العلاج لاضطراب نومي، كاي. وأنا متأكد أنه ليس الحليب الساخن».

أدارت كاي ظهرها له وتظاهرت أنها تسوي أنف فروستي إلى أن ظهرت جورجيا وإميلي بعد لحظات عدة.

- أعطانا هنري كيساً كبيراً جداً من الخبز، ماما... وبعض الكعك أيضاً.

صرخت جورجيا وهي تركض نحوهما، فيما إميلي تتبع خطاها، وهي يقول: «ألن تسر البطات بها؟».

بالطبع فرحت البطات في بحيرة ميتشل الصغيرة كثيراً، كما فرحت التوأمان أيضاً. راحتا تراقبان البطات وهي تخرج من الماء لتأخذ الخبز من بين أصابعهما.

قال ميتشل بهدوء: «إنها داجنة وديعة، والفضل يعود بذلك إلى هنري. ذهب لزيارة أخته في «كانت» في الربيع، فوجد أن لديهما عدداً من البطات بينها واحدة تحتضن بيضها. وبينما كان هناك، جاء ثعلب واصطاد البطة الأم،

فأحضر هنري عش البيض إلى المنزل وضعه في صندوق مغلق مع زجاجة من المياه الساخنة، وهكذا تحول المطبخ إلى حاضنة لفراخ البط. بعد مدة فقست البيضات كلها، ولم يخسر أية بطة منها. أتصدقن أنه وضع بركة صغيرة في غرفة المؤونة قرب المطبخ لعدة أسابيع؟».

ذهلت كاي وقالت: «أحقاً؟».

قال ميتشل وهو يبتسم بسخرية: «عندما كبرت البطات وجدنا صعوبة في إقناعها بان هنري ليس أمها. لعدة أسابيع كنا نرى آثاراً لخطوات صغيرة في المنزل إذا نسي هنري باب غرفة المؤونة مفتوحاً. وهكذا عندما كان على هنري أن يفتح الباب لأي طارق، فإن خطاً مستقيماً من سبع كرات من الزغب وأقدام مفلطحة كان يسير وراءه».

ابتسم لها وشعرت كاي بقلبها يقفز هلعاً.

استدار ونظر إلى جورجيا وإميلي وهما راكعتان على الثلج والبطات تحوم حولهما. قال: «هل تعلمان أن لهذه البطات أسماء؟ هذا الذي يقف في المقدمة، والذي يبدو فظاً يدعى تشارلي، وهو الرئيس. وتلك الصغيرة البنية اللون التي تقف منزوية هي ماتيلدا، وهي الأكثر جُبْناً في المجموعة كلّها. مع ذلك، هي وتشارلي لا يفترقان. وكأنه يعلم أنها بحاجة إلى من يعتني بها».

استدار لينظر إلى كاي بدت نظراته قوية، وشعرت كاي كأن تينك العينين الفضيتين تمسكان بها بطريقة تمنعها من الكلام ولو لإنقاذ حياتها. لم تعد تستطيع التنفس أو التحرك. وكأن ليس في هذا الكون سوى ميتشل.

أخيراً تمكنت من القول متلعثمة: «هل... هل للباقيات أسماء؟».

ابتسم ميتشل ابتسامة جميلة وقال: «آه! بالطبع».

اقترب منها، فأمسك بيدها ووضعها تحت ذراعه وهو يشير باليد الأخرى قائلاً: «تلك كلارنس، لوليتا، نيسي، بركيفال وأغنيز. مع أن لوليتا قد تكون أغنيز وأغنيز قد تكون لوليتا، فهنري هو الوحيد الذي يستطيع التمييز بينها».

تمكنت من النظر إليه من تحت رموشها. المعطف الكبير الفحمي اللون الذي يرتديه جعله أكثر غموضاً ورجولة، في ذلك العالم الأبيض الأسطوري الذي يحيط بهما.

لا بد أن ميتشل شعر بتحديقها، فاستدار وأخفض نظره إليها. ببطء اقترب منها وعانقها، فلم تبذل كاي أي مجهود لتبتعد عنه. بدا عناقه ناعماً، دافئاً في ذلك الجو البارد، ولم يدم لأكثر من لحظة أو أكثر. بعد ذلك مدَّ يده الأخرى ووضعها فوق يدها التي كانت ترتاح على ذراعه.

سمعت صوتاً في داخلها يقول لها بيأس: لماذا عليه أن يكون رائعاً وفاتناً هكذا؟ كانت لترضى بالمعدل المقبول. بالطبع كانت لتفعل، لو أن سهم كوبيد قد أصابها مع رجل مناسب. لكن عوضاً عن ذلك، وقعت في غرام ميتشل. وهذا وضع مستحيل، لأنه رجل مستحيل!

ابقى ذراعها تحت ذراعه في طريق العودة إلى المنزل، فيما راحت الفتاتان ترقصان أمامهما كأنهما جنيتان صغيرتان. إنه يومهما الأخير هنا! ما إن دخلوا إلى المنزل عبر باب المطبخ حتى شعرت كاي بقلبها ثقيلاً كالرصاص؛ لن تعود ابنتاها إلى هنا أبداً، وهي ستحرص على ذلك. فما تشعران به رائع جداً، وخطر جداً. أعطاها هذا المشهد إحساساً كيف يمكن أن تكون الأمور لو أن ميتشل لديه شعور مختلف نحوها.

كانت أمها وهنري يجلسان إلى طاولة المطبخ قرب بعضهما، ورائحة القهوة المغلية تعطر الهواء. راقبت كاي جورجيا وإميلي تركضان نحوهما. كان وجها الطفلتين يتوهجان وهما تتحدثان عن مغامرتهما مع البطات، ورأت تعابير أمها وهنري مليئة بالحب والحنان.

ما الذي ستفعله إذا كان هذا التأثر الذي تشعر به بين أمها وهنري قد نما؟ سألت كاي نفسها وهي تنزع عنها الملابس التي كانت ترتديها للخارج. هذا يعني أن ميتشل سيصبح دائماً شخصاً مقرباً من العائلة، حتى عندما تصبح لديه صديقة جديدة وتصبح هي واحدة من صديقاته السابقات! شعرت بلدغة تلك الفكرة كأنها لدغة عقرب.

كان الغداء طعاماً معداً ليؤكل بارداً، لكنه لم يكن أقل إثارة للشهية من سواه. فلدى هنري موهبة يحسد عليها بإضفاء مذاق شهي على أكثر الأطباق بساطة.

لا بد أن لينورا كانت تفكر بالأمر نفسه، فما إن أنهت آخر قضمة من قطعة

الحلوى المصنوعة بالشوكولا والكريما المخفوقة، والمليئة بالسعرات الحرارية حتى قالت: «هنري، تلك الحلوى رائعة حقاً، لكن على الرغم من إصابتي بالانفلونزا فأنا متأكدة من أنني كسبت بعض الغرامات الإضافية في الأيام الماضية. يذهلني كيف أنك وميتشل تحافظان على لحافتكما ورشاقتكما».

قال هنري بنبرة واقعية: «بُنْيَة الرجال تختلف عن بُنْيَة المرأة، من حيث خلايا الدهون وغيرها من الأمور. ثم... ما أهمية ذلك؟».

قالت لينورا بحزن: «في مثل عمري، وعندما تبدأ آثار منتصف العمر بالظهور بملامحها البشعة، يصبح العديد من الأمور ذا أهمية».

- أنت ما زلت رائعة الجمال.

كان هنري ينظر مباشرة إلى عيني لينورا، وفكرت كاي أنه نسي وجود الآخرين حوله في الغرفة للحظة. تابع: «سمينة، أو نحيلة، فهذا لا يهم بالنسبة لي. أنت رائعة الجمال».

آه... ثم آه! نظرت كاي إلى ميتشل الذي رفع حاجبيه باقتضاب. فهناك بدون أي شك شيء ما يجري هنا...!

تورد خدا لينورا، وارتبكت من الموافقة المتبادلة وغير المعلنة. بعدئذ تحول الكلام إلى مواضيع أكثر أماناً، لكن نظرة عيني هنري والعاطفة الواضحة في صوته بقيتا في ذاكرة كاي لما تبقى من النهار.

في وقت متأخر، عندما استلقت كاي على سريرها، أخذت تستعيد أحداث النهار وتفكر بها ملياً. بدءاً من بناء رجل الثلج، إلى الأحداث المتعاقبة مع الفتاتين والبطات، وكيف أصرّت جورجيا وإميلي على ميتشل أن يقرأ لهما قصة بعد استحمامهما وذهابهما إلى السرير، وصولاً إلى العشاء الرائع على ضوء الشموع، والذي احضره هنري للراشدين الأربعة، وجو المرح والضحك الذي ساد بين ميتشل، هنري، وأمها... كل ذلك مجرد خداع كبير. بإمكانها أن تخدع نفسها بسهولة جداً هنا، وأن تتظاهر أنها تعيش بداية قصة حب ستدوم إلى الأبد. لكن الحقيقة ليست كذلك.

همست في الظلام: «حان وقت الحقيقة، كاي!».

صباح الغد، ميتشل سيصحبهنَّ إلى إيفي كوتدج، وستستأنف الحياة

الحقيقية دورتها من جديد. أما لعبة الهرة والفأر الغريبة هذه، والذي يبدو أنه مصمم على القيام بها فستبدأ من جديد أيضاً، لكن هذه المرة عليها أن تبدأ بالقيام بتعديلات عديدة. عليها أن تبرد الأجواء بينهما، وأن ترفض المواعيد غير المتفق عليها سابقاً، وأن تقطع أي اتصال بين ميتشل والتوأمين، وهكذا ستتمكن الفتاتان من نسيانه بصورة تدريجية، وذلك من أجل مصلحة الجميع.

انقلبت على بطنها وهي تتنهد، غاضبة من ميتشل، من نفسها ومن العالم بأسره.

* * *

العودة إلى إيفي كوتدج بدت أسهل مما توقعت كاي. والسبب الرئيسي لذلك ظهور حالة طارئة في فرع شركة ميتشل في سوث أمبتون تتطلب تدخلاً شخصياً من الرجل ذاته. وبالرغم من ذلك، أصرّ على أخذ كاي بنفسه إلى منزلها مع أمها وابنتيها، عندما عرض هنري القيام بذلك وتحمست كاي لعرضه هذا.

- بإمكان هولدن وفريق عمله الانتظار.

قال ميتشل ذلك بجدية بعد الاتصال الذي أتى من المدير المسؤول في سوث أمبتون أثناء تناول الفطور. تابع قائلاً: «ساعة أو ساعتان على أبعد تقدير لن تشكل أي فرق. أنا من سيوصلك إلى منزلك، اتفقنا؟».

نظر بغضب إلى كاي وكأنها هي من سبب ذلك الوضع، قبل أن يكمل كلامه: «وستتوقف في المخازن الكبرى في طريقنا كما خططنا من قبل... وبدون أي شجار».

هزّت كاي رأسها موافقة، وتركت الأمر على حاله. على الأقل، سيكون الوداع مختصراً وقصير الأمد، ولا داعي لتقديم القهوة أو أي شيء آخر قد يؤخر رحيل ميتشل بعد أن يوصلهنّ.

في غضون عدة دقائق من عودتهنّ إلى المنزل الصغير، وقفت كاي وأمها والفتاتان يلوحن لميتشل على عتبة الباب.

تمتمت لينورا وهي تقف بقربها، بينما كانت جورجيا وإميلي تقفزان إلى الأعلى وهما تلوحان بشدة إلى بطلهما: «كم هذا مزعج! كان يجدر بنا أن نقدم

هنري وميتشل العشاء الليلة بعد كل ما فعلاه من أجلنا».

آه! لا. لن تبدأ بهذا. قالت كاي بحزم لا يحمل أي مجال للنقاش: «لا متسع لدينا هنا لدعوة أحد، أمي. كما أنك تعرفين ما هو شعوري نحو هذا الأمر».

قلبت لينورا شفتيها بعدم رضى، وقالت بهدوء: «عزيزتي، أتمنى أن تفكري بالأمر ثانية. هنري متأكد أن ميتشل مولع بك».

- لا شك لدي أنه كان مولعاً بعدد كبير من النساء في الماضي.

قالت كاي ذلك بهدوء، ما إن غادرت سيارة الرحلات مبتعدة. اختفى التوأمان بسرعة في غرفة نومهما مع ألعابهما، وكأنهما قد ابتعدتا لعدة شهور لا لعدة أيام.

- كيف تعرفين أن ما بينكما ليس مختلفاً؟

- لأنني أواجه الحقائق.

استدارت كاي ونظرت إلى أمها ما إن دخلتا إلى المطبخ لترتيب الأغراض التي اشترتها، والتي أصر ميتشل على دفع ثمنها. تابعت: «مثلاً، هل دعا ميتشل نساء أخريات إلى منزله لتمضية سهرة رومانسية وما يشبه ذلك في الماضي؟».

تحركت لينورا بانزعاج واعترفت باستياء: «أعتقد ذلك».

- أنت تعرفين أن هذا ما كان يحصل، وأنا كذلك. وربما بقيت بعضهنّ في منزله أيضاً، ربما رغبن بأن يعرفنّ ميتشل وأن يكنّ جزءاً من حياته، لكن فقط طالما هو يريد ذلك. هذا هو ميتشل، أمي! إنه صاحب عمل كبير جداً وناجح جداً. إنه يعمل بقوة ويلعب بقوة أيضاً، ويستمتع بطراز حياة الرجل الأعزب الذي لا قيود تلزمه ولا أية ارتباطات. فولاؤه وارتباطه يعودان إلى عمله فقط.

وافقت لينورا بعناد وهي تقول: «لكن هذا لا يعني أنه لا يستطيع التخلي عن ذلك كله إذا وقع في غرام إحداهنّ حقاً».

- اسمعي أمي! ميتشل لا يفهم مطلقاً ما هي العائلة. فعائلته كانت غير ناجحة ومليئة بالعنف، ولهذا لا يريد مطلقاً أن يستقر وينشئ عائلة. فلماذا سيقبل بعائلة جاهزة، حبا بالله؟ وأنا أعني له «عائلة»، وعائلة كبيرة أيضاً، أمي! هذه هي الحقيقة. واجهي الأمر. كما فعلت أنا.

سرعان ما تفاجأت هي أيضاً عندما انفجرت بالدموع.

www.riwayatforever.com

في وقت لاحق، وبعد فترة من التنظيف، تبعتها فترة لشرب الحليب الساخن مع الشوكولا، قالت ليتورا معتذرة: «لا مزيد من الكلام عمّن تعرفينه أكثر مني. أعدك بذلك».

ابتسمت كاي وقالت: «حسناً! لكن لا تدعي الأمور العالقة بيني وبين ميتشل تؤثر في علاقتك بهنري، مفهوم؟ إنه رائع! وأنا أقصد ذلك. أريدك أن تريه كلما رغبت بذلك. أعتقد أنني وميتشل سنعمل على التراجع قليلاً الآن، بكل الأحوال. هذا لمصلحة الجميع حقاً».

* * *

عند الساعة العاشرة جلست كاي أمام النار تدفيء قدميها، وقد وضعت كوباً من الشراب الساخن قربها. ذهبت أمها إلى النوم باكراً، أما هي فجلست بمفردها في غرفة الجلوس الصغيرة، وأنوار شجرة الميلاد تتلألأ قبالتها، وكانت تسمع عويل عاصفة قوية في الخارج، وأحست أن الرياح تناسب ما تشعر به في داخلها. بدا الجو أليفاً ويتسم بالحميمية، فالغرفة دافئة آمنة، وعائلتها بقربها، ومع ذلك فهي تشعر بيأس أكثر مما شعرت طوال حياتها.

عندما رنّ جرس الهاتف قفزت من مكانها كأنها ستقفز من جلدها. سقط الكتاب الذي كان في حضنها على الأرض وهي تمسك بالهاتف بسرعة قصوى.

- هل تفتقدينني؟

كادت سماعة الهاتف تسقط من يدها، وبدأ قلبها يضرب بقوة. فقالت بضعف: «ميتشل؟».

- أتمنى ألّا يكون هناك رجل آخر في حياتك لديه الحق في أن يسألك إذا كنت تفتقدينه.

قال ذلك بنعومة وصوته مليء بالضحك قبل أن يتابع: «إذاً، هل تفعلين؟».

لم يعمل عقلها بشكل طبيعي، فقالت: «ماذا؟».

- أتفتقدينني؟

قالت مراوغة: «وهل تفتقدني أنت؟».

لم يُبدِ ميتشل أي تردد، بل قال: «وكأنني في الجحيم».

- حسناً! أنا أفتقدك أيضاً.

ماذا بإمكانها أن تقول غير ذلك؟ سألت نفسها بيأس. كما أن هذه هي الحقيقة.

- خبر جيد.

تخيلت كاي أنها ترى الابتسامة تشع على وجهه وهو يتابع: «جيد جداً».

ساد صمت قصير بينما كانت كاي تحاول أن تستعيد السيطرة على دقات قلبها السريعة. سألت بهدوء، وهي تتمنى ألاّ يظهر الارتجاف الذي تشعر به في داخلها على صوتها: «من أين تتصل بي؟».

- من فندق اعتدت النزول فيه عندما أكون هنا.

بدا صوته خشناً، وكأنه لا يريد التحدث عن كيفية إمضاء ليله هناك.

- كيف وجدت الأمور عندما وصلت؟ هل كانت سيئة كما توقعت؟.

- بل أسوأ.

أمكنها سماع التوتر في صوته وهو يفكر بذلك، تابع يقول: «كما يبدو، سأبقى هنا ليوم أو أكثر محاولاً التخلص من هذه الفوضى».

تبدل صوته كلياً وهو يسأل بنعومة: «أتعتقدين أن بإمكانك تدبر أمورك بدوني أثناء هذا الوقت؟».

- كل ما عليّ القيام به هو المحاولة، أليس كذلك؟

قالت ذلك بنعومة، بعد أن استعادت السيطرة على نفسها، واستعادت توازنها بعد تعرضها لصدمة سماع صوته.

- لا تحاولي كثيراً!

فكرت بحزن أنها لن تحصل على أية نتيجة مهما حاولت، فهو الرجل الأكثر روعة الذي التقته يوماً. فهو جذاب، وسيم، مرح، وهي تحبه كثيراً. لم تحلم أبداً بأن تقع في حب رجل مثله.

إذاً، هذه هي حالتها! أية فرصة لديها لإخراجه من حياتها في غضون عدة أيام؟ قالت بصوت هادىء: «يجب أن تكون سعيداً لأنني أستطيع تدبير أموري بدونك. لا ارتباطات، لا وعود... أليس كذلك؟».

- امرأة عصرية!

شيء ما في صوته لم تستطع أن تجد تفسيراً له. فجعدت أنفها وهي تحاول أن تميزه. قالت موافقة: «هذا هو التعريف الصحيح».

ساد صمت جديد، ومرت لحظة، ثم لحظة أخرى وأخرى.. قال ميتشل مؤكداً بصوت ضعيف: «يمكنك أن تكوني عصرية جداً، أتعلمين؟».

قالت بصوت هادىء: «لم أكن أعلم ذلك».

- ولا أنا أيضاً... حتى وقت قريب جداً.

لم تعلم بما عليها أن تجيب، أو كيف ستتمكن من تفسير كلماته. إنها أحاجي، أشياء غامضة، وهي دائماً هكذا. في علاقتها بميتشل لم تكن تعلم أبداً إن كانت تسير على قدميها أو أنها على ظهر حصان.

سألها بنبرة مختلفة تماماً: «كيف هما جورجيا وإميلي؟».

- بخير، لكنهما متعبتان. لقد أمضتا الوقت وهما ترتبان مفروشات منزل اللعبة، بعد أن قررتا أين تريدان وضعه في غرفة نومهما. والخيار الكبير كان بين وضعه على الأرض بجانب المكتبة، وهكذا يمكنهما الاستلقاء على السجادة واللعب به، أو على طاولة الزينة وهكذا تجلسان على المقعد. أرادت جورجيا الأرض، وإميلي أرادت طاولة الزينة. أنا تركت لهما اتخاذ الخيار المناسب.

قال بسخرية: «أراهن أنني أعلم من ربحت».

اعترفت كاي: «ليس هناك أية جائزة. إنها جورجيا».

- إنها قوية الإرادة كأمها.

الابتسامة في صوته جعلت أي انتقاد في كلامه يبدو ناعماً كالحرير. وبالرغم من ذلك، شعرت كاي أنه يجدر بها أن تعترض فقالت: «الإرادة القوية ليست بالأمر السيء بالتأكيد. أليس كذلك؟».

- لا! إلاّ إذا...

- إلاّ إذا ماذا؟

- إذا جعلت المرء لا يرى ما هو تحت أنفه.

رمشت بعينيها، وقد ذهلت فعلاً.

قال بصوته العميق الهادىء: «عمت مساء، كاي. احلمي بي».

هذه المرة لم تستطع أن تجيبه بسخريتها المعتادة، كما فعلت في المرة الماضية.

ابتلعت غصة في صدرها، ثم قالت: «عمت مساء، ميتشل».

وقفت تحدق في الغرفة حولها وهي تحمل سماعة الهاتف بين يديها لبعض الوقت، بعد أن أقفل ميتشل الاتصال من جانبه. وضعتها ببطء مكانها، وهي تشعر بدوار في رأسها.

جلست أمام النار وقد وضعت الكتاب في حضنها، شعرت بحاجة ماسة لتفكر بروية وحذر. ما الذي ستفعله؟ كلما اتخذت قراراً واعياً بالانسحاب يعود ميتشل ويشدها إليه لتصبح أقرب منه.

ما الذي يريده؟ ما الذي يريده فعلاً؟ مع كل غرابة ماضيه الحزين ونجاحه الذي يسابق الشهب، والذي أعطاه الثروة والسلطة، ما الذي يريده فعلاً؟ أتراه يعرف نفسه جيداً؟ لقد وضع حدود علاقتهما ورصفها بالاسمنت منذ البداية. ولم يقل شيئاً محدداً يشير إلى أنه بدل رأيه. ستكون مجنونة إن صدقت أن بعض الكلمات المبطنة والنظرات الغريبة تشير إلى أنها تعني له أكثر من كل النساء الأخريات. حتى إنها لا يمكنها أن تقدم له التسلية التي كانت تقدمها له صديقاته السابقات، هذا بدون ذكر النساء اللواتي يلتقي بهنَّ في حياته العملية طوال الوقت.

شعرت بغيرة قوية تجتاحها، فضغطت على معدتها، آمرة نفسها ألاّ تفكر بغباء. أغمضت عينيها، واتكأت على الأريكة المنتفخة. إنه في غرفة فندق ما في هذه اللحظة، ومن المحتمل أنه فندق فاخر جداً. تمنت لو أنها معه... تمنت ذلك بقوة إلى حد جعلها تشعر بألم قوي وحقيقي في كيانها كله.

www.banatewaiya.com

١٠ - وداعاً للآلام

لم تتوقع كاي رؤية ميتشل قبل نهار الإثنين. لقد اتصل هاتفياً بها مساء الجمعة ومساء السبت، وهي لن تعترف حتى لنفسها بأنها ظلت متوترة كأنها مشدودة على وتر طيلة الوقت، لأن كل عصب في جسمها كان مشتاقاً لسماع صوته.

لقد تعلقت به بشكل سيء جداً. هذا ما قالته لنفسها بيأس، عندما أصبحت الساعة الثالثة من فجر يوم الأحد، وهي لا تزال غير قادرة على الاستسلام للنوم. أخافها ذلك حتى الموت . . . أخافها حتى الجنون. . . في الحقيقة، هذا ما هي عليه، حمقاء. . مجنونة. . بعيدة عن المنطق. . متوترة. . متصلبة. . تحدق أمامها. . كأنها فقدت عقلها كلياً.

جلست في سريرها، وهي تبعد شعرها عن عينيها قبل أن ترمي الغطاء جانباً، وتدلي ساقيها إلى الأرض. بعد أن لبست رداء النوم انتعلت في قدميها خفاً، وغادرت الغرفة بصمت. كانت أمها تنام نوماً عميقاً؛ فقد أمضت لينورا النهار برفقة هنري، ولم تصل إلى المنزل إلا بعد أن تجاوزت الساعة الحادية عشرة. بدت مفعمة بالنشاط والسعادة، وقد علا التوهج خديها ما ينبيء أنها أمضت نهاراً رائعاً جداً.

ما إن أصبحت في الطابق الأرضي حتى أعدت لنفسها كوباً من الحليب الساخن، ووضعت فيه ملعقة من العسل، وحملته إلى غرفة الجلوس. لم تزعج نفسها بإنارة الغرفة، فالبدر المكتمل كان يرسل نوره من خلال النوافذ.

تكوّرت على الأريكة، وأمسكت الكوب الدافيء بقوة وهي ترتشف الحليب. عندما انتهت من شربه استلقت على الأريكة، وقد شدّت ثوبها حولها. كانت متعبة مرهقة في الواقع. لكن ولسبب ما، فإن غرفة النوم التي تتشارك بها

مع أمها باتت تُشعرها برهاب الاحتجاز في اليومين الأخيرين. ربما لأنها في الحقيقة كانت دائماً تنام ما إن يلمس رأسها الوسادة في ما مضى من الأيام.

لا بد أنها استغرقت في النوم لأن ضجّة ما أيقظتها، فأدركت أنها اتخذت شكلاً لولبياً وهي تستيقظ من مكان دافيء عميق، حيث كانت تحلم بميتشل.

كوّمت جسمها على شكل كرة صغيرة على الأريكة أمام النار التي أصبحت رماداً الآن ولم يكن نور الصباح قد أطل بعد. عكس ضوء القمر ظلالاً تتحرك في الغرفة مصدرها الأغصان العارية للشجرة المقابلة للنافذة. رفعت كاي رأسها، ونظرت من فوق ظهر الأريكة باتجاه النافذة، ما إن سمعت صوتاً كأنه نوع من الخربشة، للمرة الثانية. بدا كأن أحدهم يتلمس طريقه بصعوبة.

لا يمكنها أن تشرح لِمَ لم تشعر بالخوف. ربما لأن الهرة التي تعيش في الجوار كانت غالباً ما تتجول في حديقتها أثناء الليل، أو ربما لأنها لا تزال شبه نائمة وليست مستيقظة بما فيه الكفاية. لكن في اللحظة التي صفع الهواء البارد المثلج وجهها، رأت شكل رجلين أمام النافذة التي فُتحت فجأة.

تجمدت كاي من الخوف وفي اللحظة التالية، رفع أحد الرجلين جسمه إلى حافة النافذة ومدّ ساقيه إلى داخل الغرفة، وهو يتحرك بصمت كالهرة.

حدّة صراخ كاي فاجأها هي نفسها، وذلك عندما تمكنت من الصراخ. بعدئذٍ بدا كأن عدة أشياء قد حدثت في الوقت نفسه. انحنت كاي عن الأريكة وأمسكت بمذكي النار في المدفأة، وفي الوقت ذاته سمعت الرجل داخل الغرفة يشتم بانفعال، ويقول شيئاً ما على عجل للرجل الآخر، إلاّ أنها لم تستطع أن تستوعب ما الذي قاله.

سُمع صوت زجاج يتحطم، تلته ضجّة، هرب بعدها الرجل بسرعة. لكن ما إن أنيرت الأضواء في الفسحة فوق الدرج حتى سُمع صوت لينورا المليء بالرعب: «كاي! كاي! ما الذي يحدث؟».

علمت كاي أنهما هربا.

قالت بسرعة لأمها، وهي تسرع لتنير الغرفة: «ابقي مع الفتاتين، سأتصل بالشرطة. تعرضنا لعملية سرقة وكان لدينا دخلاء».

- دخلاء؟ آه! كاي، كاي! هل أصبت بأذى؟

بدا كأن أمها أصيبت بنوبة هستيرية، لكن عندما نادت التوأمان من غرفتهما أصبح صوت لينورا أكثر هدوءً وهي تجيب: «أنا قادمة، عزيزتاي. لا تقلقا.. كل شيء بخير».

قالت كاي محذرة وهي تقوم بالاتصال: «ابقيهما في الطابق العلوي. لا أريدهما هنا الآن».

خلال الدقائق القليلة التي احتاجها الشرطيان الشابان للوصول، ظلت كاي مستمرة قرب الهاتف بدون أي حركة. يمكنها أن ترى الآن أن اللص الذي كان في الداخل هو من كسر النافذة في استعجاله للهرب، وهو يحمل زهرية ثقيلة من الزجاج موضوعة على حافة النافذة. راحت ترتجف.. بدأت أسنانها تصطك بسبب ما حدث معها من جهة، وبسبب الهواء البارد الذي يطوف في الغرفة من جهة أخرى.

شعرت بإحساس بالغثيان ممزوج بالصدمة والغضب، ما جعل ساقيها ترتجفان. كيف يجرؤان؟

عندما سمعت صوت توقف سيارة في الخارج، أجبرت نفسها على السير نحو الباب الأمامي وفتحه إلا أن وجهها بدا شاحباً كوجوه الموتى. كان الشرطيان رائعين، وما لبثت أن وصلت سيارة أخرى، وهذه المرة كانت هناك امرأة برتبة ضابط شرطة. بينما راح أحد الشرطيين يأخذ أقوالها، بحث الآخر في الحديقة، لكن كاي أخبرتهما أنها متأكدة من رحيل اللصين.

صعدت المرأة الشرطية إلى الطابق العلوي لتتحدث إلى لينورا، ثم عادت بعد وقت قصير. ابتسمت لكاي وهي تقول: «لديك فتاتين رائعتين».

نعم. هذا صحيح! وهذان اللصان كانا هنا، في المنزل نفسه مع طفلتيها الغاليتين. لا بد أن اللصين توقعا أن تكون نائمة في الطابق العلوي، كما فكرت كاي باشمئزاز. يبدو أن المرأة الشرطية قد قرأت على وجهها ما الذي تفكر فيه، لأنها قالت لها بتوتر: «أعتقد أننا بحاجة إلى فنجان من الشاي».

يا لها من ليلة طويلة! لكن في الوقت الذي أطل فيه الفجر البارد ليمحو ظلام الليل، كان أفراد الشرطة قد مسحوا المكان باهتمام شديد، وأزالوا الحطام. حتى إنهم وجدوا قطعة من الزجاج عليها بضع نقاط من الدماء.

قال الشرطي برضى واضح: «أحد اللصين قد جرح نفسه، وهذا عمل جيد منهما. قد نجد دليلاً عنهما في ملفاتنا».

نزلت أمها والتوأمان إلى الطابق الأرضي بعد فترة من الوقت. كان فضول الطفلتين ساحقاً، لكن كاي شعرت بالراحة عندما وجدت أن جورجيا وإميلي لم تدركا فعلاً ما الذي حدث. التصقتا بها لفترة في البداية، وشعرت إميلي الصغيرة الناعمة الرقيقة بالاستياء من تلك الفوضى، لكن الأمر اقتصر على ذلك فقط. وما لبثتا أن استسلمتا لنوم عميق في غضون عشر دقائق، بعد أن وضعتا في سريريهما.

- هل أنت متأكدة أنك لا تريدين الاتصال بأخيك أو بأي شخص آخر قبل أن نغادر، سيدة شيروود؟

سألتها المرأة الشرطية ذلك، بعد أن قامت هي وزملاؤها بكل ما يمكنهم القيام به. وقد وضع أحد الشرطيين قطعة كبيرة من الكرتون على النافذة المكسورة. لكن الغرفة بقيت باردة جداً.

هزّت كاي رأسها، وقالت بهدوء: «لا داعي لإزعاج أحد الآن، فما زالت الساعة السابعة صباحاً. سأقوم بذلك في ما بعد».

ما كادت الشرطة تغادر حتى أمسكت لينورا بالهاتف وهي تقول: «سأتصل بهنري، فهو ينهض دائماً عند الساعة السادسة. بدون شك، هو يريد أن يعلم».

فكرت كاي بتسامح، من المؤكد أن أمها ترغب بإخباره، وهي لا تمانع. وإذا أرادت أن تكون صادقة مع نفسها، فإن أول فكرة طرأت على بالها وهي تنتظر الشرطة هي لو أنها تتمكن من التحدث مع ميتشل.

انكمشت أمها على نفسها عندما أجابها المجيب الآلي. افترضت أن هنري عند البحيرة يقوم بإطعام البطات، فتركت له رسالة وأنهت الاتصال.

ما إن استحمت كاي وارتدت ملابسها حتى شعرت أنها بحال أفضل، مع أن الوجه الأبيض الذي يحدق بها في المرآة يبدو كوجوه الموتى.

وضعت القهوة في إبريق القهوة الخاص بينما صعدت أمها إلى الطابق العلوي لتغتسل وترتدي ثيابها. ركعت كاي على ركبتيها لتتأكد من عدم وجود أية شظية صغيرة من الزجاج في أرض الغرفة، وسرعان ما سمعت صرير

عجلات سيارة تقف في الخارج بسرعة قصوى. إنه هنري. باركه الله! من الواضح أنه سمع رسالة أمها وأتى على جناح السرعة إلى هنا، بدلاً من أن يتصل مستفسراً.

نهضت عن ركبتيها، وسارت نحو الباب الأمامي. لم تنتظر أن يطرق هنري الباب، بل فتحته وهي تبتسم مرحبة به. بقيت تلك الابتسامة ثابتة على وجهها، إذ فوجئت بعينين فضيتين زرقاوين في وجه غامض جداً أمامها. سار ميتشل بخطى كبيرة عبر الممر، يتبعه هنري على بعد خطوات قليلة.

- هل أنت بخير؟

لم ينتظرها لتتكلم، ضمها إليه ما إن وصل قربها. أمسك بها بقوة حتى إنها لم تعد تستطيع التنفس. تابع متوعداً: «سأمزقهما إرباً إرباً، أقسم بذلك!».

- ميتشل! ميتشل!

كان عليها أن تقاوم لتتمكن من الابتعاد عنه. لكن عندما نظرت إلى ملامح وجهه، قالت بسرعة وقد أصبح صوتها لطيفاً جداً: «إنني بخير، حقاً! لم يصب أحد بأذى».

كانت قد تراجعت إلى الوراء في غرفة الجلوس وهي تتكلم. تبعها الرجلان، لكن ما إن أغلق هنري الباب حتى ضمها ميتشل إليه ثانية، وتمتم بصوت أجش: «كنت لأقتلهما معاً لو أنهما مسّا شعرة واحدة من رأسك. تبا! كان عليّ أن أكون هنا».

فهمت كاي على الفور ما يجري. رفعت يدها إلى وجهه، فأمسك بيدها وأبقاها هناك بينما كانت تقول: «لا! ما كان عليك ذلك بالطبع. لم يكن عليك أن تكون هنا. لا يمكنك أن تكون في كل مكان».

علمت أن تلك الأفكار اليائسة القديمة قد عادت إليه، وها هو يشعر بعذاب موت أخته الذي يثقل دائماً على كتفيه.

كان هنري يقف صامتاً وراءهما، وقد بدا وجهه حزيناً، فقالت كاي: «أمي تبدل ثيابها، هنري. لكنني كنت أعد القهوة في المطبخ إذا كنت ترغب في تولي المهمة... لا تكتئب هكذا أنت أيضاً! نحن حقاً بألف خير».

- كاي! كاي!

ما إن اختفى هنري في الغرفة الثانية حتى حضن ميتشل بيديه وجهها، وعانقها بقوة وهو يشعر بالخوف مما كان سيحدث.

- هل التوأمان بخير؟ هل شعرتا بخوف شديد؟

شعرت كاي بالامتنان لأنه فكر بالفتاتين. قالت بنعومة: «إنهما صغيرتان جداً لتدركا فعلاً ما الذي حدث. أنا لست متأكدة كيف ستكونان هذا اليوم، لكنهما ما زالتا نائمتين وهذا دليل جيد على أنهما بخير».

- عندما أفكر بما كان يمكن أن يحدث.

- لا تفكر بذلك.

قاطعته وهي تضع إصبعها على شفتيه، ثم تابعت: «تعتقد الشرطة أنهما مجرد لصين تافهين، وهما يعملان في هذه المنطقة كما يبدو. فهما يقتحمان المنازل ليلاً ويأخذان أجهزة التلفزيون والفيديو، لكنهما ليسا عنيفين. أحدهما جُرح بزجاج النافذة. كانا يائسين جداً ليتمكنا من الهروب عندما صرخت».

أصبح وجهه أكثر سواداً وهو يقول: «صرخت؟ تباً! كاي، أريد أن أرتكب جريمة».

فكرت كاي أنه بحاجة إلى فنجان من القهوة أكثر من حاجتها هي. شدّته نحو الأريكة، وعندما جلسا معاً وهو يضع ذراعه حولها، قالت: «ما الذي تفعله هنا؟ اعتقدت أنك لن تعود إلا بعد الظهر؟».

قال بجدية: «عملت طوال الليل، وجعلت الآخرين يفعلون ذلك أيضاً، ووصلت في القطار الباكر هذا الصباح. كان هنري يصطحبني من المحطة عندما اتصلت أمك».

- عملت طوال الليل؟ لماذا؟

قال ببساطة: «لأنني أردت رؤيتك في أقرب فرصة ممكنة».

قفز قلبها وبدأ يضرب بقوة.

تابع ميتشل يقول بنعومة: «علينا أن نتحدث، كاي. لا يمكنني الاستمرار هكذا، لكن الآن ليس الوقت المناسب... سنتحدث في وقت لاحق».

حدّقت به، والشك يمتزج في داخلها مع الابتهاج. هذه هي طريقته في القول إن عليها أن تأخذ قراراً بشأن مستقبلهما؟ هل يريدها أن توافق على

مبادئه أو أن هناك قراراً آخر؟ هل هي القبضة الحديدية في قفاز ناعم كالحرير؟ إنها ببساطة . . لا تعلم. كيف يمكن لها أن تقرأ ما الذي يفكر فيه ميتشل؟

قال بهدوء ما إن ظهر هنري من المطبخ وهو يحمل صينية القهوة: «أخبريني بالتحديد ما الذي حدث، كاي، لحظة بلحظة».

ظهرت أمها عند أعلى الدرج ما إن بدأت في سرد قصتها، ولم يعد لدى كاي أي شك بشعور هنري نحو أمها، أو بشعور أمها نحو هنري، وذلك من خلال النظرات المتبادلة بينهما.

ما إن جلس الجميع، أخبرت كاي الرجلين ما الذي حدث قبل أن ينتقلوا جميعاً إلى المطبخ لتناول التوست والمربى والمزيد من القهوة.

بدأ شعور بالقلق يساور كاي ترقباً لما سيحدث معهما. بدا ميتشل مسيطراً على نفسه بشكل كامل. ذلك الاهتمام القوي الذي ظهر عليه عندما وصل قد غاب كلياً، وكأنه لم يحدث أبداً. علمت تماماً أنها، وللمرة الثانية، لا تفهم ما الذي جعله صارماً هكذا. قالت لنفسها بحرارة: لكنه أتى إلى هنا! أسرع بالقدوم إليها ليكون بجانبها عندما اعتقد أنها بحاجة إليه، وهذا بدون شك يعني شيئاً. أليس كذلك؟ أتراه الاحساس بالذنب؟ هل هذا يعني أن لديه شعوراً بالذنب؟ ربما لم يتمكن مطلقاً من تخطي الشعور بأنه تخلى عن أخته. . .

كان الأربعة ما زالوا جالسين يتحدثون عندما نزلت جورجيا وإميلي إليهم. فرح الفتاتين الواضح لرؤية ميتشل سبب لكاي المزيد من عدم الرضى. إنهما تحبانه بقوة، قالت لنفسها بيأس وهي تراقب الفتاتين تصعدان إلى حضنه. وهو يعاملهما بلطف شديد.

كان النهار قد انتصف عندما وقف ميتشل مستقيماً وأمسك بيد كاي. قال بهدوء: «اذهبي واحضري معطفك، سنذهب لتناول الغداء في مكان ما بعد أن أتصل بشخص أعرفه ليأتي ويصلح هذا الزجاج».

حدّقت به كاي متفاجئة: «إنه يوم الأحد، وليس هناك من يعمل نهار الأحد».

- دعي هذا الأمر لي.

استدار ميتشل نحو هنري ولينورا وتابع: «هل أنتما بحالة جيدة لتتمكنا من

السيطرة على الحصن لفترة قصيرة؟».

قالت لينورا بشوق كبير: «بالطبع، نحن كذلك».

سألت جورجيا على الفور: «هل يمكننا الذهاب؟».

أجاب ميتشل بلطف: «ليس هذه المرة، عزيزتي. اتفقنا؟ لكنني أعدك أننا سنذهب إلى مكان جميل في وقت قريب جداً».

- هل نستطيع رؤية البطّات ثانية؟

ابتسم ميتشل، وجعّد شعرها الملتوي وهو يقول: «لا أرى شيئاً يمنع ذلك».

آه! من فضلك، يا إلهي! اجعل الأمور تصبح جيدة. صلّت كاي وهي تحضر معطفها. لم تتوقف حتى لتنظر إلى شعرها أو لتضع أية مساحيق على وجهها، بل تابعت صلاتها: إذا لم أكن أنا المرأة التي يريدها، وإن لم يتمكن من التخلص من مساوىء الماضي، فلا تجعل ابنتي تصابان بالأذى من جراء ذلك!

ما إن سارا باتجاه السيارة حتى أمسك ميتشل بيدها، فوجدت كاي نفسها غير قادرة على الكلام أبداً، لكن أصابعها التفت حول أصابعه.

- لقد توقفتُ عن الجري والدوران.

كان ذلك آخر شيء في العالم توقعت أن تسمعه منه. والآن، بينما هي تجلس على مقعدها، حدّقت به وهو واقف يمسك الباب المفتوح لها. سألت بعد مرور لحظة أو أكثر: «نهائياً؟».

- آه! نعم. كاي. نهائياً.

هزّت برأسها وهي تشعر بقلبها يضطرب بقوة في صدرها: «إنني سعيدة لذلك».

- ـ ني إنك سعيدة لسماع ذلك.

- ميتشل. . . !

- ليس الآن، كاي. أريد التحدث معك، حقاً. . وبجدية. التحدث في مكان هادىء حيث لا يوجد أحد غيرنا.

أغلق الباب، وسار من وراء السيارة وجلس على مقعد القيادة.

- هناك مطعم أعرفه يقدم غداء ممتازاً نهار الأحد، وهو لا يبعد كثيراً من هنا.

نظر إليها وقد بدت عيناه صافيتين كالكريستال، وتابع: «يمكننا أن نصل إلى هناك الساعة الثانية عشرة، وبعدها سأقول ما أنا بحاجة إلى قوله أولاً».

هزّت كاي برأسها موافقة وقالت: «حسناً!».

حسناً؟ ما هذا القول الأحمق بينما هي متوترة وبشدة، وهي تعلم أنها قد لا ترغب في الأكل ثانية بعد ذلك؟

قاد السيارة خارج المدينة نحو الريف ولم ينطق بأية كلمة بينما كانت السيارة القوية تلتهم الأميال في الطريق السريع. سارا لمدة عشرين دقيقة، وبعد ذلك أوقف ميتشل السيارة جانباً أمام مدخل كبير يشرف على وادٍ ما زال أبيض من جرّاء تساقط الثلوج. بدا المكان جميلاً، هادئاً، ورائعاً بشكل ملفت للأنظار، فالأشجار عارية باسقة أمام البساط الأبيض الذي يحيط بها، بدا كل شيء هادئاً وكأنه عالم تجمد عبر الزمن.

جلست تحدق إلى الأمام للحظة ما إن توقف المحرك، وبعد ذلك أجبرت نفسها على أن تدير رأسها وتنظر إلى ميتشل، لأنها أدركت أنه يحدّق بها بقوة.

رأت أن أعصاب وجهه متوترة، وأنه يضغط بقوة على فكيه وينظر إلى عينيها. قال بهدوء: «كلانا قال الكثير من الأشياء عندما التقينا للمرة الأولى.. هل ما زلت تذكرين؟»

هل تتذكر؟ تلك الكلمات ما زالت تلاحقها وتعذبها منذ تلك اللحظة. تمتمت بسخرية، وهي غير متأكدة مما سيحدث لاحقاً: «أي نوع من الأشياء؟».

ضحك ضحكة قصيرة قاسية وقال: «أشياء سخيفة!».

مرر يده في شعره ليعيده إلى الوراء. كان تصرفه يدل عن عدم صبره، لكنه يحمل أيضاً الاحساس بالتوتر والقلق. تابع قائلاً: «مع ذلك لم تكن تلك أقوالاً حمقاء حقاً، لأنني اعتقدت أن هذا هو شعوري في ذلك الوقت، وبأن الأمر لن يحدث معي مطلقاً...».

توقف بصورة مفاجئة ليقول: «ما أرغب في قوله... حتى ذلك

الوقت..».

توقف عن الكلام مرة ثانية فحدّقت كاي به غير مصدقة. ميتشل المسيطر، الذي يتكلم بإيجاز... ميتشل القاسي القلب الذي يقول دائماً كلاماً مركزاً كشفرة سكين حاد، يحاول البحث عن الكلام؟ همست بضعف: «ما الذي تحاول قوله؟».

فهي تعلم أن عليه هو أن يتكلم. فإذا كان ما تأمل به صحيحاً، عليه أن يبدأ الآن، وبشكل مناسب. هذا إذا كان لديها أية فرصة على الإطلاق...

قال بجدية وحزم: «أحبك، كاي».

نظرت إليه، وجزء صغير جداً من عقلها الذي كان يعمل بشكل منفصل عن كل ما تبقى لديها، أشار إلى أنه حتى في الإعلان عن نفسه بدا ميتشل مختلفاً عن أي رجل آخر. فيما هو يقدم لها الشيء الوحيد الذي تريده في العالم كله، تحدث كأنه يلفظ جملة للمحكوم بالاعدام أمامها.

- أعلم أنك تبادليني هذا الشعور... ليس بعد... يمكنني أن أتفهم ذلك.

قال ذلك بسرعة بينما بقيت كاي تحدّق به كالمصعوقة، وأفكارها تتسارع.

تابع كلامه: «لكن أحد الأشياء التي قلناها عندما التقينا للمرة الأولى، أنه إذا أراد أحد الفريقين تبديل الوضع القائم بيننا، بطريقة أو بأخرى، عليه أن يقول. حسناً! ها أنا أقولها: كاي، لقد عانيت كثيراً لأتمكن من التعامل بلطف، ولطف شديد، وهذه القصة الأخيرة مع هذين..».

توقف ليأخذ نفساً عميقاً قبل أن يتابع: «... مع هذين اللصين هذا الصباح كانت القشة الأخيرة. أحتاج أن تعرفي ما هو شعوري نحوك، وأريد أن يكون لدي الحق بقتل حثالة البشر مثل هذين الشخصين لو أنهما تجرآ على الاقتراب من أي مكان يخص المرأة التي اختارها قلبي».

أنهى كلامه بغضب شديد.

حدّقت كاي بالوجه الغامض الغاضب، وفكرت أنها لم تحبه مطلقاً بهذه القوة كما تفعل الآن، في هذه اللحظة بالذات.

تابع، بعد أن توقف للحظة واحدة، فيما صدره يعلو ويهبط بقوة بسبب

www.bibliotheca-alexandrina.com
jewelry

عاطفته الجيّاشة: «كاي! أريد أن يكون لدينا مستقبل معاً، أريد . . آه! أريد كل شيء، على ما أعتقد. لكنني لن أستعجلك وسأحافظ على وعدي».

وبعد ذلك، قال وكأنه يدحض كلماته الأخيرة: «قولي شيئاً ما، تباً!».

آه! ميتشل. ابتلعت كاي غصة في صدرها، وهي تحاول السيطرة على دموعها. قالت: «هل . . . هل أنت متأكد؟ أقصد، أمتأكد حقاً من مشاعرك؟ فهناك الفتاتان . . .».

- متأكد من ذلك أكثر من أي شيء في حياتي.

راح ينظر إليها بقوة الآن. تغيرت ملامح وجهه وهو يرى ارتجاف فمها. تابع: «أريدك في حياتي إلى الأبد. . أريد أن أضع خاتماً في إصبعك لإبعاد الذئاب عنك، ولجعلهم يعلمون أنك لي وحدي. هل هذا نوع من المغالاة في التصرف؟».

- ربما!

انهمرت الدموع من عيني كاي، لكنها كانت تبتسم وهي ترتجف.

مدَّ يده ولمس دمعة سقطت من رموشها. سألها بصوت مرتجف: «هل هذا يعني أنك تهتمين لأمري. . . ولو قليلاً؟».

كان يبدو كبيراً، غامضاً ووسيماً وهو يجلس وينظر إليها، غير متأكد مما سيحدث بينهما. بدا شعره الأسود نقيضاً صارخاً لعينيه الزرقاوين الثاقبتين. تساءلت ما الذي فعلته لتستحق حب هذا الرجل! فحبه لها كان يشع من عينيه. ملأ ذلك الحب قلبها بفرح كبير كاد يمنعها عن التنفس. همست: «لقد أحببتك طوال حياتي، وحتى قبل أن أتعرف عليك. وعندما رأيتك للمرة الأولى، حدث شيء ما في أعماقي أخافني حتى الموت. حاولت أن أقول لنفسي إنه نوع عادي من الأشياء، لكنه كان ينمو وينمو. وأخيراً كان عليَّ أن أعترف أنه الحب. حب أبدي، لكنك لم تكن تريدني. . .».

- آه! حبيبتي، حبيبتي.

جاء صوته عميقاً وهو يأخذها بين ذراعيه، ويضمها إلى صدره الواسع واضعاً أنفه داخل خصلات شعرها.

قالت وصوتها مخنوق داخل معطفه: «حاولت ألاّ أغرم بك بقوة هكذا،

لكن هذا ما حدث . . ومنذ البداية. لكن كان لديك العديد من النساء في حياتك، نساء جميلات».

سمعت صوته ناعماً من فوق رأسها: «لم أحب أية واحدة منهنَّ. لقد أعجبت ببعضهنَّ أكثر من الباقيات، لكنهنَّ لم يحركنَ قلبي. وإذا أردت أن أكون صادقاً، حتى اليوم الذي قابلتك فيه لم أكن أريد الاعتراف بأن هناك أكثر من الانجذاب الحسي بين رجل وامرأة. لم يكن عليَّ الاعتراف بذلك. ثم أتيت أنت إلى حياتي، و. . .».

تردد في المتابعة فقالت: «نعم؟ أخبرني».

رفعت رأسها لتتأمل وجهه، وهي لا تزال غير مصدقة أن بإمكانها أن تفعل ذلك بحرية الآن.

- كنت دائماً أقول لنفسي إن والدي لم يكن يحب أمي وإن أمي قتلت حبه لها.

قال ذلك بصوت أجش، وكأن الكلمات تنتزع من مكان مظلم داكن في داخله: «كانت تلك الوسيلة الوحيدة لأتمكن من استيعاب كيف أن شخص مميز مثله قد يغرم بامرأة مثلها. لطالما قلت لنفسي إنه بقي معها لأنه يؤمن بوجود العائلة، وإنه كان يفكر - ولو بطريقة خاطئة - أن وجود أب وأم قربنا هو أفضل بكثير من ضياعنا بينهما. لكن في أعماقي، كنت أعلم أن هذا ليس صحيحاً، وهذا ما كنت أهرب منه وأقاومه منذ أن وقع الحادث. كان لا يزال يحبها، كاي! لقد ضحى بأختي، وكان مستعداً للتضحية بأي كان ليكون معها. . ليبقى بقربها. لم أشأ أن يكون لأية امرأة هذه السلطة عليَّ. كان ذلك يملؤني بالاشمئزاز، والمقت. . .».

نظر إليها وقد لوى شفتيه وهو يتابع: «هذه أخبار مهمة، أليس كذلك؟ أشعر أنني في فوضى عارمة. . . وأنا أعترف بذلك».

- سأعمل على إصلاح كل أمورك.

ابتسمت كاي له، وطوقت عنقه بذراعيها بقوة وتابعت: «أعدك بذلك!».

قال وصوته يحمل رنة من الإعجاب: «أؤمن أنك ستفعلين».

- يمكننا القيام بأي شيء ونحن معاً.

تابعت، ودموع السعادة تنسكب من عينيها: «يمكننا أن نواجه العالم كله.. وننجح».

قال بصوت مليء بالعاطفة: «أريدك أنت فقط. عندما أخبرتني كيف تخلى عنك زوجك السابق، وكيف تمكنت من المواجهة، متحملة مسؤولية أمك والعمل. حتى إنك انقذت حياة أخيك، لم أستطع أن أصدق أن شابة صغيرة نحيلة مثلك لديها مثل هذه الإرادة والقوة الخارقة في شخصيتها. يا إلهي! هل أتعلم بسرعة؟».

أضاف وهو يسخر من نفسه: «وكان هناك المزيد من المفاجآت المخبأة؛ التقيت بابنتيك... ابنتان، وأنت لا تبدين كبيرة كفاية لتقومي بعمل واحد من تلك الأعمال كلها».

ضمها إليه ثانية، وهو يمسح الدموع عن خديها، ثم عانقها بقوة هزّت كيانها.

همست: «التوأمان. ميتشل. أنت لا تمانع أن يبقيا معي؟».

إنها تعرف الإجابة عن هذا السؤال، لكنها كانت بحاجة لتسمعه منه بالتحديد.

- أمانع؟!

عانقها ثانية وتابع: «آه! عزيزتي، كيف يمكن لي أن أمانع؟ إنهما رائعتان مدهشتان، فتاتان صغيرتان وكلاهما كاي. جورجيا وهي تحمل تصميمك وطبعك الناري، وإميلي الصغيرة هي الوجه الآخر في شخصيتك، الضعيفة التي تحتاج إلى دعم، وغير متأكدة من الأمور. اثنتان صغيرتان من سيدة جميلة جداً».

- إنهما تحبانك مسبقاً.

مدّت يدها إلى وجهه، ولمست بأصابعها خده وهي تتابع: «يرى الأطفال بوضوح أكثر منا في بعض الأحيان. فهما عرفتا ميتشل الحقيقي قبل وقت طويل مما عرفته أنا».

قال بنوع من الرضى، وهو يبتسم لها فجأة: «أعتقد أن أمك هي إلى جانبي أيضاً. فلقد شعرت أنها حليفتي منذ البداية».

التقت عيناها بعينيه بمرح واضح وهي تقول: «يمكنك قول ذلك».

- تزوجي بي، كاي!

جاء صوته ناعماً مليئاً بالرجاء، ما جعل قلبها يغني مع العصافير التي تصدح فوقهما. قالت بصوت مرتجف: «نعم، لكن ليس في وقت قريب. علينا أولاً أن ندع التوأمين تعتادان على الفكرة، ونمنح نفسينا بعض الوقت...».

لم تعرف كيف ستقول ذلك، فأكمل ميتشل عنها وقد ظهر التفهم على وجهه: «.. لكي نعتاد على الفكرة نحن أيضاً».

أيعلم أن لديها بعض الشكوك من أنه قد لا يستطيع القيام بدور الأب في العائلة؟ لم تكن تعلم، لكنها شعرت بالامتنان لأنه تفهم الأمر هكذا. هزّت برأسها وقالت: «أحبك ميتشل، ومن كل قلبي!».

www.liilas.com jewelry.com

١١ - العروس الأم

- هل أبدو جميلة، كاي؟ هل أنت متأكدة أن هذه البذلة مناسبة لي؟

- أمي، تبدين رائعة! عندما تسيرين عبر الممر سيشعر هنري كأنه أصيب بضربة من كل الجهات.

قالت كاي ذلك لتشدد من عزيمة أمها وهي تنظر إلى وجهها المتوتر القلق. إلاّ أن ذلك كان صحيحاً، لينورا تبدو جميلة جداً في بذلتها ذات اللون القشدي وقبعتها الكبيرة المناسبة لحفل الزفاف.

- هل وصلت السيارة؟

راحت لينورا تتحرك بتوتر... لكن كل عروس لديها الحق بأن تكون متوترة يوم زفافها. ابتسمت كاي لأمها، ثم مدّت يدها ولمست خدها قبل أن تقول بلطف: «كل شيء تحت السيطرة، أمي. وإذا كنت أسمع بشكل جيد، فأعتقد أن السيارة وصلت للتو».

اقتربت من نافذة غرفة النوم في إيغي كوتدج، ورأت سيارة رولز ذات لون عاجي مزينة بالشرائط. بدا طلاء السيارة لامعاً في ذلك اليوم المشرق، كما رأت السائق ينتظر في الخارج.

استدارت لينورا نحو ابنتها. بدا الارتجاف في صوتها وهي تقول: «إنها نهاية زمن طويل، كاي».

- منذ اليوم سيبدأ زمن جديد رائع.

- ما كان والدك ليمانع زواجي هذا، كاي. أليس كذلك؟

- بالطبع، لا يمانع.

أخذت كاي أمها بين ذراعيها، وهي حذرة جداً من لمس قبعتها الجديدة، وتابعت: «كما أنك لم تسرعي للقيام بذلك، أليس كذلك؟ انتظر الرجل

المسكين موافقتك لمدة سنتين، وحان الوقت لتجعلي منه رجلاً سعيداً».

ضحكت لينورا وأخذت نفساً عميقاً، ثم قالت: «آه، كاي! أنت على حق. إنني جاهزة».

كانت الرحلة إلى الكنيسة تحت أشعة الشمس الدافئة لطيفة جداً. لكن لينورا أبقت يدها بيد كاي طوال الطريق. بإمكان كاي تفهم ذلك. فأمها تشعر بالمخاوف نفسها التي شعرت هي بها قبل أن تقرر أخيراً الارتباط بميتشل. كان والد كاي رجلاً صالحاً وقد عاشا معاً حياة سعيدة لمعظم الأوقات، لكن كاي لم تدرك مدى تأثير الماضي في حياة أمها إلا بعد أن تقدم هنري طالباً الزواج من لينورا، وذلك بعد مرور عدة أشهر على طلب ميتشل الزواج بها.

لكن إصرار هنري أوصله إلى ما يريده في النهاية. هو يريدها كزوجة له، وقد أصر على ذلك بقوة. لم يردها كصديقة فقط أو كمرافقة.

قالت لينورا إن أصبحت الكنيسة أمام عيونهما: «أنا لم أشكرك أبداً على إنقاذك لي بعد وفاة والدك».

حدّقت كاي بأمها: «إنقاذك؟ أنا لم أفعل ذلك».

- آه! بلى. لقد فعلت، عزيزتي.

ضغطت لينورا على يد ابنتها وتابعت: «كنتُ في حالة مزرية.. أكثر مما أستطيع أن أعترف به لأي كان في ذلك الوقت. تركتِ عملاً آمناً، وشقة، وكل ما عملت لأجله من أجل نفسك وابنتيك بعد أن رحل بيري. لم تتذمري مرة واحدة، أو جعلتني أشعر يوماً أنك لا تريدين أن تكوني هنا».

- أنا فعلاً أردت أن أكون هنا، وهذا هو السبب.

تابعت كاي بلطف وهي تبتسم لأمها: «لا تبكي أمي، ليس الآن. بعد كل المجهود الذي بذلته لأضع لك هذه الزينة الرائعة على وجهك.

- حتى لقائي بهنري كان من خلالك.

تنفست لينورا بصوت عالٍ، ووضعت جانباً باقة الزهر الصغيرة التي كانت تحملها، وقالت: «هل لديك منديل، عزيزتي؟».

ابتسمت كاي لأمها وقالت: «آه! أمي. أنا حقاً أحبك».

- وأنا أيضاً أحبك.

توقفت السيارة عند البوابة الصغيرة المصنوعة من الأماليد. وأمام الممر الطويل الذي يقود إلى باب الكنيسة، راح كل شيء يضطرب ويتحرك في اللحظة التي كانت كاي تساعد أمها على الخروج من السيارة، وتثبت قبعتها، وتقدم لها باقة الزهور ما إن أصبحت على الرصيف.

- جدتي! جدتي!

كانت التوأمان تقفان خلف البوابة، وتمسك كل واحدة منهما بيد ميتشل. والآن قدمتا وهما تتراقصان، وتوهج وجهاهما الصغيران ما إن لمحتا لينورا وأمهما.

ابتسمت كاي لزوجها بسعادة ما إن لمحته. كانا قد تزوجا بعد ستة أشهر من طلبه للزواج. أقاما زفافاً هادئاً في الصيف بحضور أفراد العائلة فقط. قامت الفتاتان بدور مرافقتي العروس، وقد ارتدتا فستانين من الموسلين الأبيض. كان ذلك الزفاف رائعاً ومميزاً.

والآن ها هما التوأمان أيضاً تقومان بدور مرافقتي العروس، لكن هذه المرة هما ترتديان فستانين من الساتان الأزرق، مع أن لينورا هي في العادة امرأة تقليدية، إلاّ إنها لم تكن كذلك اليوم. فقد أصرّت على أن ترافقها كاي أثناء مراسم الزفاف، وتقدمها لعريسها. وبما أن ميتشل هو مرافق العريس فقد بدا هذا الزواج مسألة عائلية بحتة.

نظرت كاي إلى زوجها الآن وهو يسرع عبر الممر داخل الكنيسة ليأخذ مكانه بجانب هنري، وليكون مستعداً عندما تصل العروس. لمست بيدها الانتفاخ الصغير لمعدتها حيث ينمو طفلهما الأول... إنه صبي صغير ذو أطراف قوية وسليمة. هذا ما شاهدته من خلال الصورة الصوتية التي أجرتها مؤخراً.

ظهرت دموع الفرح في عيني ميتشل عندما رأى صورة ابنه على الشاشة. وفي الحقيقة، تأثره جعل الطبيبة وكاي تبكيان أيضاً، وذلك بسبب النظرة التي ظهرت على وجهه وهو يشعر بالدهشة من وجود حياة جديدة تنمو في داخلها.

حدث ذلك في الوقت المناسب؛ فهنري سيغادر منزلهم ليعيش مع أمها في إيفي كوتدج، وقد تخلت كاي نهائياً عن عملها فسلمته إلى بيتر.

لزمها بعض الوقت لتشعر بالراحة مع هذه الفكرة بعد أن حاربت بقوة لتحصل على استقلاليتها مع بيري. لكن الحياة مختلفة جداً مع ميتشل. فهي رائعة بشكل لا يوصف... إنها حياة مثالية وتتوهج بالفرح، وهذا ما جعل كل مخاوفها وشكوكها الخافتة تختفي كلياً. إنه يحبها بطريقة لم تحلم يوماً بها، وهو لا يطلب إلاّ الأفضل لها.

- الحب المثالي يبعد كل مخاوفنا.

تمتمت الكلمات التي قالها الكاهن يوم زفافها، والتي بقيت في مخيلتها منذ ذلك الوقت.

- ما الذي قلته، عزيزتي؟

استدارت أمها نحوها، فقالت كاي وهي تفتح البوابة: «لا شيء، أمي. هيا، لنسرع. إنه بانتظارنا».

سارتا عبر الممر الطويل يداً بيد. وعندما عُزفت موسيقى الزفاف، دفعت كاي جورجيا وإميلي لتسيرا أمامهما، لكنها تابعت السير قرب أمها وهي لا تزال تمسك بيدها، بينما كان ميتشل وهنري بانتظارهما في نهاية الممر.

ما إن أوصلت كاي أمها إلى يد هنري الحنونة حتى أخذت مكانها في المقعد الأول وهي تشعر بقلبها يرقص من الفرح.

إنها تحب الرجل الأكثر روعة في العالم كله، وهو يحبها. أيامهما مليئة بالدفء والتقارب، فميتشل متشوق لكل ما تحمله الحياة العائلية من معنى. أما في الليالي، عندما يجمعهما معاً ذلك السرير الكبير الناعم، تشعر كاي أنها فعلاً المرأة التي قدر لها أن تكونها على مدى الزمان.

في غمرة حبهما الدافئ تشعر كاي أحياناً أنها ستموت من شدة السعادة التي تعيشها. فميتشل يخبرها باستمرار أنه يحبها، فهي امرأته، وكنز حياته، والسبب الذي يدعوه للبقاء حياً. إنها المرأة الوحيدة له في هذا العالم... امرأة جميلة، كاملة غالية بشكل لا يقدر.

وفي ظلام الليل الناعم كانت تضمه إليها بقوة، فتقدم له قلبها وروحها فهو ميتشل، زوجها، وبإمكانها أن تثق به بشكل كامل، وهي تريد أن تعطيه الطمأنينة التي تعلم أنه بحاجة لها. قد يراه الناس رجلاً قوياً، مسيطراً، قاسي

www.khanasatheya.com

القلب، لكن هذا مجرد جزء من شخصيته، أما الجزء الحقيقي، الجزء الذي تعرفه هي، فهو أكثر رقة وعطفاً وحناناً . . .

ما إن انضم إليها في مقاعد الكنيسة حتى ابتسم ميتشل لها وسألها بنعومة: «هل أنت سعيدة، حبيبتي؟».

لمس بأصابعه طفله بحركة خفيفة بينما بدت عيناه كأنهما تلتهمانها بطريقة واضحة.

أجابت بغموض: «أكثر مما أستطيع أن أصف».

كان الاحساس بالفرح والامتنان لتلك الحياة التي تعيشها يملأ قلبها. والحياة غنية ومليئة بالحب. لديها ميتشل، ولديها عائلتها وهناك حياة جديدة قوية تنمو في داخلها.

إنها لا تطلب من الله أكثر من ذلك.

www.hamasatrewaiya.com
jewelry